الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية – قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

مكتبة ... للعلوم ... الإسلامية
رقم الرسالة ...
...

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل : .....

أسرة بن قانة ومكانتها السياسية والاجتماعية خلال العهد العثماني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب
محمد أوجرتني

إشراف الدكتور
أحمد صاري

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
01	أ.د/ احميدة عميراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا.
02	أ.د/ أحمد صاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا.
03	أ.د/ فاطمة الزهراء قشي	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري	عضوا.
04	أ. د. صالح فركوس	أستاذ التعليم العالي	جامعة قالمة	عضوا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنة الجامعية 2004-2005

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى أمي التي علمتني الصبر في طلب العلم
والمعرفة
وإلى كل المربين والمعلمين والأساتذة
في كل نواحي الجزائر
الذين يحترقون في صمت الشموع
لينيروا دروب الغافلين
بالخير والفلاح

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمـــة

إن البحث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني مايزال في اعتقادي في بداياته، فمهما كُتبَ عن الفترة من كتابات وما قُدمَ من أطروحات يبقى الجهد دون المستوى الكمي والنوعي المأمول، وذلك لكون الفترة المدروسة طويلة، تمتد زمنيا نحو 300 سنة كاملة، أي من 1516 إلى 1830، شهدت خلالها البلاد كثيرا من التفاعلات والأحداث والتَّحَوُّلات السياسية والإقتصادية والاجتماعية.

و لا تزال أهمُ مصادر ومراجع البحث في تاريخ الجزائر العثماني تستند بصورة كبيرة على الوثائق التي كتبها الغربيون، سواء الرحالة و الأسرى أو من جاء ليفديهم من وهن الأسر، دون أن ننسى ما قام به المبشرون و الغزاة من تسجيل لملاحظاتهم ومن تدوين لتجاربهم اليومية، ومهما كانت درجة موضوعيتهم فإن ملاحظاتهم بصورة عامة اتسمت بما يلي :

الظرفية: لأن مهمتهم لم تكن رسمية وقانونية وبالتالي لم تسمح لهم ظروف الإقامة بتدوين ملاحظاتهم بصورة متأنية ودقيقة على اعتبار أن الظاهرة الإجتماعية بحاجة إلى تكْرَارٍ حتى تَثْبُتَ كسلوك اجتماعي.

محدودية النطاق الجغرافي، الذي عبره الكتاب الغربيون خلال زياراتهم إذ لم يتجاوزوا في أغلب الأحيان الشريط الساحلي و بعض الحواضر القريبة منه، وبقيت مساحات شاسعة من البلاد بعيدة المنال بالنسبة إليهم، سَمعُوا عنها ربما عن طريق روايات شفوية وقصص شعبية، وَحَالَ بينهم وبين هذه البلاَد عوارض طبيعية قاهرة من جبال وصحار وغابات ووديان، وعوارض بشرية واجتماعية يأتي على رأسها المعتقدات السائدة آنذاك، من لغة وعادات وتقاليد.

والأكيد أن كثيرا من المخطوطات والكتابات العثمانية التي لم تحظ بدراسة معمقة وشاملة بحكم صعوبة وضعف الوسائل والأدوات المسخرة للبحث العلمي وصعوبات اللغة، تمثِّل المرآة الكبرى العاكسة لملامح الواقع التاريخي للفترة العثمانية، مثلما أكد ذلك كثير من المؤرخين الغربيين والمعاصرين منهم " لإحساسهم وشعورهم بعدم توازن الدراسات التاريخية، وحتمية الاهتمام بما يسمونه العصور المظلمة، حتى تُستَكْمَلَ الفجواتُ الخطيرة التي يشعر بها كلُّ باحثٍ لتاريخ المغرب العربي"[1]، وفي هذا

---

1 – التميمي عبد الجليل: "فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجزائر"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد2، تونس، 1972، ص 134.

الشأن يقول "مارسيل كولومب" *Marcel Colombe* أنّ تاريخ الجزائر العثمانية غير مدروسٍ كثيراً وغير معروف، ولا تزال الأساطير تحتل مكانة كبيرة ضمنه[1].

ويدرك المؤرخون الفرنسيون بصورة أخصّ أنّ المعلومات التي نملكها عن الفترة العثمانية تكاد تكون نادرة، ومستمدةٌ جلُّهَا من انطباعات الرحالة الأوروبيين، وتقارير قناصل الدول الأجنبية بالمغرب عموما كما ذكرنا آنفا، ويرى في هذا الشأن "بيار بوييه" *Pierre Boyer* أن الأخذ بالكتابات الغربية وحدها لا يؤدي سوى لرسم جداول قاتمة حول الوضع في الإيالة "ولا يُرجى من هذه الكتابات الغربية العثورُ على شيء من التسامح وحسن الفهم والتقدير للعادات والتقاليد التي تختلف عن عادات وتقاليد الغرب، والْمُؤْسِفُ أن العارفين بالإسلام كانوا نادرين ضمن البعثات الديبلوماسية و أفراد الجيش ورجال الدين والرحالة أو الأسرى، الذين قدموا من أوروبا وأمريكا ووصفوا لنا الإيالة قبل *1830*"[2].

وأغلب الظن أن الوثائق المغربية العربية منها والتركية، لم يقع الاهتمام بها و لم تُفَهْرَسْ و لم يَتِمَّ استغلالُها بالصورة الحسنة[3]، ويعتقد عبد الجليل التميمي أن هذا التحريف والتزييف للواقع الاجتماعي والثقافي في المنطقة يمكن أن يرد إلى عاملين أساسِيَّيْن هما:

1- وجود حواجز ثقافية بين الأوروبيين والمسلمين مما يهيء للأفكار المسبقة الخاطئة التي تبناها بعض المؤرخين الكولونياليين، أمثال "ستيفان قزال" وغيره، الذي كان يعتقد ويتصور أن الجزائر تمثل جزء من أوروبا اقُتُطِعَ تعسفا من إفرقيا الشمالية في العهد التركي[4]، وهو ما يمثل تكريس لنظرية التبعية الشاملة لإنسان إفريقيا.

2- عدم الاتصال بالأهالي في القرن *19*، إذ أن القناصل والأوروبيين بصفة عامة كانوا يقيمون في أماكن معينة، ولا يتصلون إلا بأصناف معينة من الأهالي

---

[1]-*Marcel Colombe,* ***Initiation à l'Algérie****, librairie d'orient, Paris, 1957, p99.*

[2]-*Pierre Boyer,* ***la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française****, imprimerie nationale, Monaco, 1964 p6.*

[3] - عبد الجليل التميمي، **المرجع السابق**، ص *134*.

[4] - محمد الميلي: "المغرب العربي في منظور المؤرخين الإستعماريين"، **مجلة الثقافة**، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، العدد *12*، *1973*، ص *15*.

كرجال الدولة وبعض التجار وأصحاب الحرف، فمعلوماتهم كانت تتميّز بالسَطْحِيَّةٌ والمحدوديةٌ جغرافياً واجتماعياً.

ويتجمع الإحساس شيئا فشيئا عند طبقة المؤرخين المعاصرين والباحثين بوجود نظرة أحادية في التعامل مع تاريخ المنطقة، ومن ثمةَ بات ضرورياً البحثُ في مستويات أخرى، كدواخل المجتمع الجزائري واستنطاق الوثائق العثمانية والمحلية، التي لا تزال في طي النسيان، وهذا ما دعا إليه المؤرخ المغربي "عبد الله العروي"، حيث اعتبر أنّ "نظام الحكم في الجزائر في الفترة العثمانية كان يدير ظهره لدواخل البلاد"، ولمعرفة طبيعة المجتمع الجزائري والضوابط التي كانت تحكمه وموازين القيم التي كان يستند إليها في تلك الفترة فلا مَفَرَّ ولا مناص من دراسة التاريخ المحلي، وهو نفس ما دعا إليه "جاك بارك" حينما ألح على ضرورة رد الإعتبار للوثائق المحلية بمختلف أنواعها[1].

ولا شك أن أكبر إشكالية تاريخية ستبقى دوما قابلة للطرح والبحث ومحل التساؤلات هي ما مدى تَكَيُّفُ النظام العثماني في وسط البيئة الجزائرية على جميع الأصعدة وفي شتى المجالات؟ وما هي الملابسات التي أحاطت بهذا التكيُّف أوهذا الإحتواء وفق ما يراه بعض المؤرخين ؟ وماذا كان موقف عناصر المجتمع الفاعلة، من قبائل وشيوخ وجماعات بشرية وطرق دينية وزوايا وثقافات من هذا الوافد الجديد؟

ضمن هذه الأفكار والتساؤلات يندرج موضوع البحث الذي بين أيدينا، والذي سأحاول من خلاله إثارة جملة من الإشكاليات، التي تتعلق بالأسر الحاكمة في بايلك الشرق وموقفها من الحكم المركزي من جهة، وعلاقتها بالقبائل الْمُتَنَفِّذَة الأخرى من جهة ثانية، وصراعها على مجالات النفوذ وميادين السلطة.

وقد حاولت أن أسقط هذه التساؤلات على أسرة "بن قانة" كنموذج للأسر المحلية التي عايشت الحكم العثماني وتفاعلت معه، في وقت لا تزال فيه جملة من الثَّغَرَاتِ والغموض يكتنف تاريخ هذه الأسرة في كثير من الْمَحَطَّات والمنعطفات، وقد سعيتُ من خلال هذا العرض المتواضع أن أثيرها وأعيد قراءتها من جوانب

---

1 – فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن *13* الهجري من أواخر القرن *18* إلى منتصف القرن *19***، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية، *1998*. ص هـ.

جديدة وزوايا مغايرة، واخترت لهذا البحث العنوان : " **أسرة بن قانة ومكانتها السياسية والإجتماعية خلال العهد العثماني**".

وتكمن أهمية الموضوع في استكشاف الدور الذي لعبته الأسر المحلية في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ومنها أسرة بن قانة في منطقة الزاب، وتسليط مزيد من الأضواء على علاقة السلطة بالاطراف، التي يدور بعضها في فلكها والبعض الآخر يدور في وجهات أخرى تفرضها عليه ظروف وعوامل خارجية قاهرة، وتبرز أهمية الموضوع أيضا في فهم الدور المتعدد الجوانب للرواية الشفوية ومكانتها، وأهميتها بالنسبة لتاريخ الجزائر، وسَيَتَبَيَّنُ لنا خلال هذا العرض أن كثيرا من الحقائق والمسلمات التاريخية عند الأوروبيين مؤسَّسَةٌ أصلا على الرواية الشفوية، مما يُوَلِّدُ لدى الباحث الرغبة في المزيد من الدراسة والتنقيب لرسم ملامح هذه الفترة، ولا يفوتنا التأكيد أيضا على مسألة "النسب الشريف" وكيف وظفت من طرف أسر البايلك بصورة عامة في شتى المسائل السياسية والاجتماعية.

ورغم ما يمثله الموضوع من مشقة للباحث لقلة المصادر والمراجع فإن المبررات التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع ظلت قائمة، يتقدمها أساسا عدم وضوح الصورة التي كانت عليها كثير من الأسر المحلية الفاعلة في بايلك الشرق، وعدم اكتمال هذه الصورة ضمن إطار تاريخ الجزائر العام، ومنها أسرة بن قانة بوجه أخص، من حيث مكانتها التاريخية ودورها السياسي والعسكري، وبالرغم مما كُتِبَ حولها من كتابات، اتسمت جلها بالتناثر والتَّشَتُّت، على صفحات المجلات التاريخية والدوريات المتخصصة كالمجلة الإفريقية وغيرها.

ويصنع هذا الغموضُ واللبس في ذهن الإنسان صورةً غير واضحة وصحيحة عن الواقع التاريخي المعاش بكل جوانبه، من حيث ترسيخ الدور الثانوي الذي لعبته بُنَى المجتمع الجزائري في تاريخ البلاد في العهد العثماني وفي الفترة الاستعمارية.

كما أن ما كُتِبَ في موضوع الأسر المحلية من المنظور الكمي قليلاً، مقارنة مع زخم الحوادث التي طَبعت تاريخ المنطقة الحديث والمعاصر، فضلا عن قابلية الموضوع للبحث والدراسة من زوايا جديدة، قد توصل الباحث لوضع صور مغايرة وجديدة عنه.

ونظرا لطبيعة الموضوع من حيث علاقة تَارِيخِيَّته بالواقع الديني والمعتقدات الفكرية والفلسفية (الفكر الشريفي)، فقد اتسعت الفترة الزمنية المدروسة (الإطار الزماني) وشملت محطات متنوعة من تاريخ صدر الإسلام كانتشار الفكر الشيعي

والفكر الشريفي في المغرب العربي، وبعض الفواصل التاريخية لدولة الأدارسة، وشملت الفترة المدروسة أيضا المرحلة التي سبقت الوجود العثماني في الجزائر، إلى غاية الحملة الفرنسية لسنة *1830* والتي انتهت بسقوط حكومة الأتراك العثمانيين في الجزائر، وكان مجال البحث في كثير من الأحيان يدفعني للرجوع إلى مؤلفات الذين كتبوا في مرحلة ما بعد الإحتلال يدفعني في ذلك الرغبة في محاولة تتبع بقايا المقاومة في بايلك الشرق الجزائري التي تزعمها أحمد باي بعد سقوط قسنطينة سنة *1837*، لاستكمال الصورة والمشهد التاريخي.

وتدور إشكالية هذا البحث حول عدة نقاط محورية منها أساسا، لقب "مشيخة العرب" الذي ظل محلّ صراع وتجاذب لأزيد من مئتي سنة بين أسرة الذواودة وأسرة بن قانة، ومهما قيل في شرعية اللقب بالنسبة لأسرة بوعكاز الذواودة سيبقى الجدل قائما، حول أسباب انتقال هذا اللقب إلى أسرة بن قانة، ودوافع ذلك، فهل كان هذا التحول في مركز القوى في الجنوب القسنطيني نتيجة لعجز أسرة الذواودة على مواكبة الحكم التركي والانسجام معه، أم أن نفوذ الأسرة أصبح يشكل خطرا على هذا الحكم فتخلص منه ببعث منافس جديد له ودعمه وتقويته ؟

وأما بالنسبة لأسرة بن قانة "موضوع البحث" فإن القارئ لتاريخها من خلال الكتابات الأوروبية، يحس بنوع من المحاباة والإطراء المبالغ فيه والتمجيد والتعظيم لأدوارها التاريخية ولماضيها " المجيد "، والتنويه بجذورها الشريفية التي تحدث عنها جل مؤرخي القرن التاسع عشر الذين تناولوها بالدراسة، أمثال "سيروكا" و"قوفيون" باستثناء "شارل فيرو" لأسباب غير معروفة، ورغم ذلك لاتزال هذه المكانة التي استقطبت الكتابات الأوروبية تثير كثيرا من التساؤلات وتشكل محور النقاط الأساسية الأخرى من بحثنا هذا، والتي يمكننا أن نوجزها في جملة التساؤلات التالية:

متى كان ظهور أسرة بن قانة على مسرح الأحداث ببايلك الشرق ؟

ما مدى صحة النسب الشريف للأسرة ولماذا وظفته في صراعها السياسي ضد خصومها وما هي نتائج ذلك ؟

لماذا قدمت الأسرة ولاءها للعثمانيين في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، هل كان ذلك عن قناعة وإيمان بمشروع إسلامي يقوده الأتراك في المركز وتعززه الأسر والجماعات المحلية في الأطراف، خاصة وأن شيوخ الأسرة الأوائل من بن قانة كانوا يزعمون لأنفسهم المكانة الدينية العريقة في منطقة الزاب ووادي ريغ؟ أم كانت ولاءاتها محلّ حسابات سياسية وقابلة للتفاوض والمزايدة ؟

ثم كيف استطاعت الأسرة الحصول على لقب مشخية العرب، هل كان ذلك بفضل كفاءة شيوخها وقدرتهم على جمع وقيادة القبائل وتوحيدها حول زعامة واحدة ؟ أم أنها حصلت عليه بطريق المصاهرة مع حكام بايلك الشرق ووجهاء الإيالة؟ أم أن هناك وسائل وطرق أخرى اعتمد عليها شيوخ بن قانة في نيل مآربهم ؟

لماذا تخلت أسرة بن قانة عن أحمد باي في أحلك الظروف بعد سقوط قسنطينة و لم تحفظ وترعى وشائج القربى والمودة والمعروف والحظوة التي نالتها الأسرة بين يديه حينما كانت أيامه أيام عزٍّ ومهابة ؟

وما الذي دفع الأسرة في النهاية إلى الارتماء بين أحضان الاحتلال الفرنسي وما هي المسوغات الشرعية التي اعتمدت عليها الأسرة في تحرير هذا الموقف ؟ ويبقى موضوع قسم الأسرة الذي قدمته بين يدي الحكومة الفرنسية محل نقاش ومدارسة من طرف علماء الشريعة والفقه لمعرفة حكم الشرع في قسم المسلم الموحد الذي يعيش في أرض إسلامية محتلة على خدمة مشروع استعماري، ويمد أصحابه بالعون وينصرهم على بني جلدته؟ تساؤلات هامة وعديدة قد يبقى بعضها مفتوحا إلى فرص أخرى من البحث حينما تتوفر الشروط المناسبة لذلك.

هذا وقد اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع والمقالات باللغة العربية والفرنسية، وسعيت إلى الوصول إلى جل وأغلب ماكتب في الموضوع، وقد ارتأيت أن أرتِّبَهَا حسب أهميتها وحجم علاقتها بالموضوع، حتى لاتختلط المراجع المهمة بالأقل أهمية.

وأهم مُؤَلَّف اعتمدت عليه هو مذكرات أغا الزيبان "بوعزيز بن قانة" آخر شيوخ العرب، والتي تحمل عنوان :

Bouaziz Bengana le cheikh el arab, Une famille de grands chefs sahariens : les Bengana

و الذي ترجمته للعربية تكون كما يلي :" أسرة بن قانة أسرة، من كبار القادة الصحراويين"، وذلك بحكم كونه أحد أفراد الأسرة المهمين الذين عاشوا في النصف الأول من القرن العشرين، وصاحب أَحَدَ الكتابين الوَحِيدَيْنِ الذين تحدثا عن أسرة بن قانة.

وقبل أن أتحدث عن هذا الكتاب يجدر بنا أولا أن نتساءل عن السبب الذي دفع أغا الزيبان بوعزيز بن قانة إلى كتابته؟

يقول أغا الزيبان بن قانة في مقدمة كتابه أن كتابة تاريخ الأسرة كان مشروعا كبيرا راوده منذ مدة من الزمن، و لم يكن اهتمامه بهذا المشروع من طرفه فقط، لأن خاله الباشا أغا "محمد بلحاج بن قانة" الضابط السامي شرع في كتابة تاريخ الأسرة لتسجيل بطولات ومغامرات وانتصارات أجداد الأسرة على رأس فرقة "القومية"[1].

ويضيف الكاتب أن خاله "محمد بلحاج" قد تكفل بإخراج هذه الحكايات والقصص إلى النور، ليطلع عليها الناس فيتصفحون أرشيف العائلة ويطلعون على شهادات الشيوخ الذين عاصروا هذه الأحداث، والذين يمثلون أفضل حام وحارس للقصص الشفوية من الزوال والضياع، وتمكن محمد بلحاج بعد مدة من تسطير تاريخ الأسرة باللغة العربية، لكنه لم يكمل مهمته و لم يبلغ الهدف المرجو[2]، فقام أغا الزيبان بمواصلة المهمة ونشر جل ما جمعه خاله معتمدا على الوثائق والمخطوطات والكتابات التي بحوزته.

ويؤكد أغا الزيبان أن هناك كاتبان فقط تخصصا في كتابة تاريخ جنوب قسنطينة هما : الكولونيل "سيروكا" الذي يبقى مؤلفه تاريخ بسكرة فريدا في هذا الميدان، وثانيهما هو شارل فيرو المترجم العسكري الذي سطر في المجلة الإفريقية *La Revue Africaine* صفحات كثيرة للأحداث الممتدة من *1844* إلى *1854*، التي تتعلق بالجنوب القسنطيني.

وكان سيروكا بحكم منصبه كضابط في المكتب العربي ببسكرة سنة *1849* أقرب إلى مصادر الخبر، وفق مايرى أغا الزيبان، حيث عَمِلَ مترجما في دائرة بسكرة وأخذ معلوماته مباشرة من الميدان، سواء عن طريق محادثة شيخ العرب "بوعزيز بن قانة" والقائد "محمد بن قانة" ورجاله، أو عن طريق إجراء بحث ميداني وسط القبائل التي تقطن المنطقة، ويضيف بن قانة أن سيروكا " تمكن بالفعل من تسطير تاريخ أسرتنا من *1771* إلى *1866* والذين تناولوا كتابه وقرؤوه يجدون أنه لا يختلف كثيرا عمَّا نكتب نحن".

ويعتقد بن قانة أغا الزيبان أن المترجم "فيرو" الذي ألف كتابه "صحراء قسنطينة" *le Sahara de Constantine* سنة *1879*، اعتمد اعتماداً كبيراً على سيروكا، لكنه في تحليله نَسَبَ كثيرا من الظلم والحوادث المشينة لأسرة بن قانة، فكان

---

[1] – الفرق القومية هم المتعاونون مع سلطة الإحتلال و"*goumes*" هي عبارة فرنسية.

[2] – لم يذكر الكاتب سبب انقطاع بحاج عن مواصلة الكتابة ولكن الراجح أنه كان بسبب وفاته.

يطيل الحديث عن هزائم الأسرة مشرِّحًا إيَّاهَا بينما يَمُرُّ بسرعة على انتصاراتها وبطولاتها، أو يرجعها لمحض الصدفة[1].

والسبب في ذلك في تصور بن قانة أغا الزيبان أن "فيرو" اعتمد في رواياته وتأويلاته كثيرا على "علي باي بن فرحات بن سعيد بن بوعكاز" و"بن ادريس" أغا وادي ريغ في هذه الفترة وهما الإثنين من ألدِّ أعداء أسرة بن قانة، وممن ورثوا أحقاد أجدادهم من الذواودة وبن زكري.

ويؤكد بن قانة أغا الزيبان في هذه الدراسة أنه لهذه الأسباب وغيرها أهمل تماما ما ذكره "فيرو"، وذَكَّرَ في هذا المضمار أن "بولخراص بن قانة" كَتَبَ كُتَيِّبًا صغيرا سماه "أسرة بن قانة منذ الإحتلال" *les Bengana depuit la Conquête francaise*، رَدَّ فيه على "فيرو" ومقالاته التي نشرها في المجلة الإفريقية، وكذلك رد على الذين قادوا حملة شعواء على أسرة بن قانة، واتهموها بالضلوع في أحداث ثورة الأوراس سنة *1879*، وقد أورد الكاتب في هذا الشأن شهادة القائد "وولف" التي اعْتَزَّ بِهَا كثيرا.

وخلاصة القول أن هذا الكتاب أَرَّخَ لأسرة بن قانة انطلاقا من أرشيف العائلة وكتابات سيروكا حول منطقة بسكرة، وكذلك انطلاقا من الشهادات والروايات الشفوية، والكتب العامة التي تناولت تاريخ بسكرة.

والملاحظ كذلك أن هذا الْمُؤَلَّفُ يشكل إضافة مهمة لدراسة تاريخ الأسرة، لكنه لم يأتي بجديد ليجيب عن جملة التساؤلات التي ظلت مطروحة، فضلا عن أن المخطوطات العائلية التي تحدث عنها في كتابه لم يطلع عليها أي باحث لحد الساعة، بغرض تحقيقها ودراستها، كما أن موضوعية الباحث ومصداقيته في هذا الصنف من المؤلفات تكون حتما نسبية، لذا يُسْتَوْجَبُ أخذ هذه المعطيات بحذر ومقارنتها بغيرها، نظرا لكون الأجواء التي كُتِبَ فيها اتسمت بالتوتر والصراع بين الأسرة وأطراف أخرى رافضة لسياستها المساندة للإحتلال.

وما أثار لدينا كثيرا من التساؤلات هو أن هذه النسخة من كتاب بوعزيز بن قانة أغا الزيبان *Les Bengana une famille de grands chefs sahariens* التي عثرنا عليها بالمكتبة الوطنية بالعاصمة كانت تضم إلى جانبها في نفس الكتاب وتحت رقمين مختلفين، نسخة ثانية تحمل عنوان : *Le Cheikh El Arab,Etude historique sur la Famille Bengana*

---

[1]- *Bouaziz Bengana* ***Une famille de grands chefs sahariens les Bengana,*** *Edition P.G. Soubiron ,Alger – 1930*

والملاحظ أيضا أن كلتا النسختين تتضمنان نفس المعلومات والبيانات والصور العائلية التي نشرها المؤلف، ولا يوجد بينهما اختلاف تماما، إلا في ما يتعلق بدار النشر، حيث أن النسخة الأولى كانت من إصدار *Edition P.G. Soubiron Alger – 1930*, أما النسخة الثانية فقد كانت من إصدار *L'Ancienne Maison Bastide Jourdan , Jules Carbonel , 1930* ، ويجهل السبب الذي دفع الكاتب إلى تغيير عنوان الكتاب، خاصة وأن كلتا النسختين لم تحويا أية إشارة تفيد في معرفة سبب ذلك، وما نعرفه أن الكتاب الأول سُحِبَ منه *1000* نسخة، و لم يُعَدْ طبعه منذ ذلك الحين، ويوجد بالمكتبة الوطنية بالحامة بالجزائر العاصمة نسخة واحدة منه هي النسخة الـــ: *298* تحت رقم *58861*، كما أن بعض نسخ الكتاب الأصلية معروضة للبيع عن طريق "الأنترنيت" من طرف بعض دور النشر والإشهار وبسعر يصل حتى *300* أورو للنسخة الواحدة.

وقام بالتقديم للمُؤَلِّف "قاستون تومبسون" *Gaston Thomson*، وزير سابق ونائب عن عمالة قسنطينة بتاريخ *20* فيفري *1930*، أما المقدمة فقد شرح فيها بوعزيز بن قانة تاريخ عائلته وتناول بالعرض والنقد الكتابات التي تناولت تاريخها، وقسم الكتاب إلى فصلين كبيرين هما :

الفصل الأول / تاريخ الأسرة خلال العهد التركي.

الفصل الثاني / تاريخ الأسرة خلال فترة الإحتلال الفرنسي.

وسطر تاريخ الأسرة خلال هاتين الحقبتين ميرزا منجزاتها وأمجادها ومُسْدِيًا في نفس الوقت نصيحة لأبنائه وأحفاده بضرورة صيانة تاريخ الأسرة وعدم تضييعه. والطريف أن بوعزيز بن قانة أغا الزيبان استشهد في مقدمة كتابه ببيت شعري مشهور للإمير عبد القادر، من قصيدته المعروفة التي مطلعها :

يا عاذرا لإمرئ قد هام في الحضر و عاذلا لمحب البدو والقفر

فرغم العداوة التي كانت بين أسرته وبين الأمير عبد القادر، ورغم الدور الهام الذي لعبته الأسرة في الحدِّ من نفوذ الأمير في منطقة الزاب، لم يستطع أغا الزيبان أن يُفَوِّتَ لنفسه فرصة الإستمتاع بهذا الشعر وضمه في كتابه هذا، الذي ينوه بأمجاد بن قانة في الزيبان، فاختار منها البيت:

*الحسن يظهر في شيأين رونقه **بيت من الشِّعر** أو بيت من الشَّعر.*

ومن المصادر المهمة أيضا التي لا يمكن لأي باحث التغاضي عنها لدراسة الفترة العثمانية في الجزائر، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، التي قام بتحقيقها وترجمتها العربي الزبيري، وتعد من أهم الكتابات التي تناولت النهاية المؤلمة التي آلت إليها مدينة قسنطينة والمقاومة الشعبية بعدما نكبت على أيدي الجيش الفرنسي، كما أن هذه المذكرات رسمت مشهدا شاحبا للأسرة نظرا للمواقف التي انتهى إليها شيخ العرب بوعزيز بن بولخراص بن قانة، بعدما آثر التخلي عن أحمد باي في وقت حرج، والوقوف إلى جانب الإستعمار الفرنسي، ومهما بلغ الحقد والكره بأحمد باي عند كتابته لهذه المذكرات خاصة أنه خطها في إقامته الجبرية بعد استسلامه، فإن كثيرا من الفوائد والعبر يمكننا استنتاجها منها وقد أفادتني كثيرا في موضوع البحث.

والمرجع الآخر المعتمد عليه هو لأحد ضباط الجيش الفرنسي ومترجميهم في منطقة بسكرة القبطان سيروكا وعنوان دراسته هو" تاريخ الجنوب القسنطيني".

واسمه الكامل هو *Joseph-Adrien Seroka* ولد سنة *1818*، والتحق بالخدمة العسكرية على ما يبدو بُعَيْدَ سقوط مدينة الجزائر بيد الاحتلال الفرنسي، اشتغل نائبا لرئيس المكتب العربي ببسكرة سنة *1848*، ثم رئيسا له سنتين بعد ذلك، وفي سنة *1855*عين قائدا عاما لقوات الاحتلال ببسكرة، وقد كانت لملاحظاته الدقيقة واطلاعاته الواسعة على أحوال المنطقة وسكانها وطبائعها دوراً في تثبيت سلطة الاحتلال، فضلا عن أنه كان شاهد عيان على الأحداث الواقعة بين *1847* – *1850* وتمكن من استجواب ومشافهة أتباع وخصوم أحمد باي وفرحات بن سعيد الذَيْنِ تنازعا منطقة الزاب طويلا، وبصورة موجزة فإن دراسته التي نشرت في ما بعد بالمجلة الأفريقية تتضمن نقطتين أساسيتين هما :

1- الحديث عن تاريخ المنطقة بصورة عامة حيث عالج فيه الوقائع السياسية والعسكرية التي شهدها بايلك الشرق والجنوب القسنطيني بعد سقوط مدينة الجزائر.

2- تدوين الملاحظات والمشاهدات حول الإمكانيات العسكرية والسياسية التي كان يستعملها سكان هذه الجهات[1]، للإستفادة منها من طرف قوات الإحتلال، ورغم أن سيروكا لم يتحدث عن إشكالية الصراع على لقب المشيخة بين بوعكاز وبن قانة، ومن كان جديرا به من البَيْتَيْنِ الصَّحْرَاوِيَيْنِ، و لم يكلف نفسه كذلك عَنَتَ

---

[1] – *Joseph-Adrien Séroka: « le Sud Constantinois de 1830 à 1855 » , in R.A , n° 56 . 1912.*

الحديث عن الأصل الشريفي للأسرة، إلا أن كتاباته لقيت استحسانا كبيرا من طرف بن قانة جميعا وصارت بمثابة مصادر مرجعية لهم، ورغم كل ذلك فإن كتابات سيروكا تعطينا رؤية دقيقة للأحداث التي عرفتها المنطقة بعد سقوط قسنطينة وبموضوعية أقرب إلى الوقائع التاريخية التي عاشتها المدينة أو تلك التي صنعتها أسرة بن قانة، أو ساهمت في صناعتها إلى جانب أحمد باي أو إلى جانب الفرنسيين فيما بعد.

وتعد كتابات فيرو في هذا الإطار رديفا مهما لكتابات سيروكا، لكونهما على طرفي نقيض شيئا ما بالنسبة لكثير من المسائل التي تتعلق بتاريخ الأسرة، بل إن أسلوب تناولهما لتاريخ الأسرة متباين أشد التباين، لكن دراسات فيرو التي نشرها في المجلة الإفريقية حول تاريخ بايلك الشرق كله، كانت أعمق وأشمل، حيث تعرض للأسر المحلية المُتَنَفِّذَة في المنطقة واعتمد على سيروكا في كثير من المحطات، لكنه كان يُوَجِّهُ الأحداث التاريخية وجهات أخرى كما يراها، مبررا ذلك باعتماده على الروايات الشفوية التي نقلها عن شيوخ عاصروا الأحداث، ورغم الزَّخَم المعرفي الكبير الذي قدمته كتابات "فيرو"، إلا أن صاحبها في اعتقاد الكثير من المؤرخين لم يتحرر من عقدة المستعمر التي كان يزعم من خلالها أنه جاء يبشر بالحضارة الغربية ومخلصا للمنطقة من الجهل والخرافات والتخلف، حينما تجاوز في الوقت نفسه عن الممارسات التي ارتكبها الإستعمار تحت هذا الشعار، وقد اتهم أغا الزيبان "فيرو" بالتواطؤ مع أعداء الأسرة من بيت بوعكاز وبن زكري في رسم معالم شاحبة لها.

لقد كانت كتابات فيرو نموذجا لمؤرخي مرحلة الاحتلال الذين أخضعوا البحث التاريخي إلى مقاصد الحقبة الكولونيالية، وفي هذا الإطار يقول المؤرخ الجزائري نصر الدين سعيدوني "*أن أغلب الدراسات التي تمت على يد كتاب فرنسيين، تُعتبر دراسات مغرضة تهدف إلى خدمة الإستعمار وتبرير وجوده بالجزائر بحيث تخضع منهجية التاريخ ومتطلبات البحث إلى واقع الاحتلال ومرامي السياسة الاستعمارية مما يحط بمثل هذه الدراسات في بعض الأحيان إلى مستوى الدعاية المغرضة*"[1].

---

[1] - نصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، (م.و.ك.)، الجزائر، 1983، ص34.

ورغم ذلك فقد جاءت هذه الدراسة لتملأ فراغا كبيرا في ما يتعلق بتاريخ الأسر النبيلة والشريفة في الجزائر، تلك التي وقفت موقفا مؤيدا للإحتلال الفرنسي وتعاونت معه.

أما في ما يتعلق بمؤلف قوفيون "إدموند ومارث" الذي يحمل عنوان" أعيان المغاربة"[1] فإن هذا العمل الكبير، يقع في ثلاثة أقسام كبرى خصصها المؤلفان لدراسة العائلات والأسر الكبرى بالجزائر التي كانت تقيم بعمالة الجزائر الوسطى وعمالة وهران وعمالة قسنطينة، وقد حاول صاحب الدراسة تقديم هذه الأسر في صور لامعة فأضفى على معظمها الأصل الشريفي والنسب الكريم لآل البيت، حتى يكون ذلك نبراسا لبقية الأسر وفئات المجتمع، فتسكن إلى الإحتلال وتطمئن إليه، ومنها أسرة بن قانة التي حاول قوفيون في هذا الكتاب أن يؤكد "عبثا" نسبها الشريف دونما دليل صريح فترك في مؤلفه جملة من التناقضات والأفكار الغامضة التي سوف نتناولها خلال البحث.

واحتلت أسرة بن قانة حيزا كبيرا من عمل قوفيون حيث خصص لها أكثر من عشرين صفحة من كتابه، فقد تحدث عن نسب الأسرة وأكد على صحة انتماءاتها الشريفية ثم تناول تاريخها خلال العهد العثماني ومواقفها "البطولية" إلى جانب أحمد باي القلي ومعاناتها من منافسة أسرة بوعكاز الذواودة وبايات قسنطينة في مرحلة الضعف مع بداية القرن *19*، ثم تحدث الكاتب عن تحول موقف بن قانة إزاء أحمد باي بعد سقوط قسنطينة، دون أن يقدم تبريرات قوية لرد فعل البيت القاني والمتمثل في موالاة سلطة الاحتلال، مكتفيا بالتنويه بهذا التحول ومباركته، وواصل الحديث عن انجازات الأسرة وموقفها البطولي من ثورات المقراني سنة *1871* والأوراس سنة *1878*، وقد زَوَّدَنا من خلال كتابه بمجموعة من الشهادات "التشريفية" التي تحصل عليها أفراد الأسرة خلال ولايتهم لمشيخة العرب في ظل الاحتلال، ومشاركتهم فرنسا في الحرب العالمية الأولى، وصور بعضهم.

ومن المؤلفات التي استعنت بها أيضا في هذا المضمار تاريخ قسنطينـــــــة لـــ" أوجان فايسيت " *Eugene Vayssette* تحت عنوان "تاريخ قسنطينة تحت الهيمنة التركية من*1517* إلى*1837*"، وفايسيت يعد قليل الشهرة بالمقارنة

---

[1] - *Gouvian (Marthe et Edmond), **Kitab Ayane el Maghariba**, imprimerie Oriontale Fontana Fréres, Alger, 1920*

بـــ"بربروجر" 1801/ 1869و"شاربونو" 1813 / 1882 و"فيرو" 1829 / 1888، الذين تخصصوا في الكتابات التاريخية حول الجزائر العثمانية رغم أنه قام بخدمته كلها في الجزائر ابتداء من 1847، وفي 1849 عين معلما بقسنطينة وارتبط بصداقة مع شاربونو، وفي 1854رُقّيَّ في رتبته حيث عين مديرا للمدرسة العربية الفرنسية بقسنطينة لمدة أربعة سنين، لكنه اعتزل التعليم في سنة 1865 نهائيا ليتفرغ للترجمة والأعمال الأكاديمية، وهذا ربما لخلاف حدث بينه وبين مدير المدرسة السابق ذكرها، ثم عاد إلى موطنه الأصلي بفرنسا ليتوفى سنة 1899، وقد نقل كثيرا عن صالح العنتري من خلال كتابه فريدة مؤنسة..و كتاب مجاعات قسنطينة ..

ومن أهم المراجع كذلك التي اعتمدت عليها بصورة كبيرة في دراسة الفصل الأول المتعلق بنسب أسرة بن قانة، كتاب العلامة سيدي عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف قاضي الجماعة بالجلفة من عمالة الجزائر، والذي عنوانه:" **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**" والكتاب من منشورات المطبعة التونسية سنة 1929.

والمفيد في هذا الكتاب الذي توجد منه نسخة بمكتبة الأساتذة بالجامعة الإسلامية، أنه ذو قيمة تاريخية كبيرة لأنه تناول بالدراسة والتراجم لأغلب الأسر الشريفية بالمغرب العربي، و لم اطلع على أي دراسة أو بحث خلال انجاز هذه الأطروحة اعتمد صاحبها على هذا الكتاب الثمين، الذي يحتوي على مقدمة شاملة وخمسة أقسام، وخاتمة.

أما المقدمة فقد قسمها الكاتب إلى ثمانية فصول خصصها للحديث عن فضل علم النسب وما يترتب عنه من المصالح العامة، وأسماء الكتب والمؤلفات التي اقتطف منها كتابه والمعتمد عليهم في جميع الأنساب.

وتناول الكاتب بعد ذلك مولد النبي (ص) ونسبه الشريف وأزواجه صلى الله عليه وسلم وأولاده الأطهاروآله، وواجب الإحترام لهم وكيفية انتقال إدريس الأول إلى المغرب وأخيه سليمان ومبايعة إدريس بالولاء والطاعة، كما تحدث عن جملة غزواته، ثم تناول شجرة الأنساب الشريفة بفروعها الخمسة الإدريسية والسليمانية والموسوية القادرية والحسنية العلوية و الحسينية وفروعها جميعا.

وقد وجدت في آخر هذا الكتاب التماسا تقدم به بوعزيز بن قانة أغا الزيبان سنة 1929 لصاحب الكتاب يدعوه فيه أن يضيف "أسرة بن قانة" إلى قائمة الأسر

الشريفية بالمغرب العربي في كتابه السابق ذكره، وهو ما يشكل حدثا بارزا في حد ذاته، من شأنه أن يغير بعضا من المسلمات القديمة بشأن الأصل الشريفي لبن قانة.

ومن أحدث الكتابات التي تناولت الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، رسالة الماجيستير لصاحبتها "معاشي جميلة" بعنوان "الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن *16* م إلى القرن *19*م"، والتي نوقشت سنة *1991* بجامعة قسنطينة، حيث تناولت أهم الأسر الحاكمة بالبايلك منها : أسرة بوعكاز الذواودة في سيدي خالد، أسرة الحنانشة في الجهات الشرقية للبايلك نواحي سوق أهراس، أسرة المقراني حكام بجانة بمنطقة القبائل، أسرة بن جلاب حكام توقرت، وأسرة بن قانة شيوخ العرب وحكام بسكرة، ورغم غزارة المعلومات الواردة فيها فقد تميزت الفصول المخصصة لدراسة أسر البايلك عموما بالمعالجة السريعة دون التعمق والمقارنة والاستنتاج، وبقاء المعلومات على شكل مادة خام قابلة للتجديد والتوظيف دوماً، خاصة مايتعلق بأسرة بن قانة مما ترك المجال واسعا للبحث في الموضوع، وقد استفدت كثيرا من هذه الرسالة في فهم الواقع الاجتماعي والإداري للبايلك خلال الفترة وكذلك استفدت من البيبليوغرافيا المعتمدة فيه، فساهمت بالتالي في تسهيل مهمة البحث وانتقاء المصادر والمراجع الضرورية.

وكانت كتابات المؤرخين الذين درسوا تاريخ بايلك الشرق بصورة عامة والأسر المحلية الحاكمة بصورة خاصة ومنها أسرة بن قانة، محل اهتمامي وقراءتي وأذكر منها على وجه العجالة، رحلة الورتلاني سواء النسخة الأصلية " **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**" التي حققها محمد بن أبي شنب سنة *1908*، و كذلك الدراسة الهامة التي قام بها "فيلالي مختار الطاهر" والمتمثلة في عرض ومناقشة وتحليل هذه الرحلة، وهي ذات جدوى كبيرة خاصة للباحثين المبتدئين، دون أن أغفل مدى أهمية كتاب ابن المبارك العطار "**تاريخ حاضرة قسنطينة**" الذي استعنت به في معرفة الأوضاع الإدارية والصراعات القبلية التي كانت قائمة ببايلك الشرق الجزائري.

وكان للفصل الأول من بحثي دورا كبيرا في دفعي إلى وجهة بيبليوغرافية مغايرة وجديدة، تتمثل في تصفح ودراسة كتب الأنساب المتوفرة بمكتباتنا، وقد تبدو هذه الوجهة فرعية بالنسبة لموضوع البحث، لكنها ليست كذلك لكون أساس الإشكالية في الفصل الأول يدور حول النسب الشريف للأسرة، وقد زادتني كتابات "قوفيون" التي ذكرتها من قبل، دفعا ورغبة في معرفة الفكر الشريفي من حيث مفهومه

ونشأته وانتشاره والظروف العامة التي أحاطت به، وفي هذا الإطار قمت بمراجعة جملة من الكتب التاريخية لعصور صدر الإسلام وتاريخ الدويلات التي قامت بالمغرب العربي على أسس شريفية كالأدارسة، وبعض التيارات السياسة والدينية التي ساهمت بطريقة غير مباشرة في انتشار الفكر الشريفي كالحركة الشيعية، محاولا أن أصل من خلال ذلك إلى استبعاد العلاقة بين الفكر الشريفي في هذه الفترة، وبين الأسر التي حاولت أن تنتسب إليه لطول الفترة الزمنية وتعاقب المؤثرات الداخلية والخارجية ومن هذه الكتب التي أفادتني كثيرا أذكر مؤلفات "الداودي أحمد بن علي" **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب** تحقيق رضا نزار، و "سمير عبد الرزاق القطب" **أنساب العرب**، و"القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي" **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب** تحقيق إبراهيم الأبياري، و"السمعاني بن منصور التميمي" **كتاب الأنساب**، و"ابن حزم الأندلسي" **جمهرة أنساب العرب**.

وكنت مضطرا بين الحين والآخر إلى الرجوع إلى بعض الكتب الشرعية والدينية، وكتب التفسير والسيرة نظرا لحجم الشواهد القرآنية والسنية التي كان يوردها بعض المؤرخين للإستيضاح أكثر حول ملابسات الأصل الشريفي لأسرة بن قانة، ومحاولة لتثبيت مفهوم عبارة الشريف، وفق ما ينسجم وثقافة أهالي المنطقة في تلك الفترة، خاصة بالنسبة لقوفيون الذي أورد في مؤلفه تعريفات وأفكار شذت كثيرا عن الحقائق المتعارف عليها، ومن هذه الكتب المعتمدة في هذا الشأن ما يلي:

كتاب الكبائر، لمحمد بن عثمان الذهبي.

،، **تاريخ الخلفاء**، لأبي بكر عبد الرحمن السيوطي.

،، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، للعبادي أحمد مختار.

،، **المجروحين**، لابن حبان البستي.

،، **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير إسماعيل.

،، **الجامع الصحيح المختصر**، للبخاري محمد بن إسماعيل.

،، **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج النيسابوري.

،، **المقدمة** لعبد الرحمن بن خلدون.

دون أغفل في نهاية المطاف مدى الاستفادة الكبيرة من دراسة "عبد الجليل التميمي"، **الحاج احمد باي وبايلك قسنطينة 1830/ 1837** في مجلة الأصالة، وأطروحات وتحاليل الأستاذ "أبو القاسم سعد الله"، في **تاريخ الجزائر الثقافي**، وفي **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، وكذلك مؤلفات الأستاذ الباحث

"سعيدوني ناصر الدين"، في **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني**، **وورقات جزائرية**، فضلا عن رسالة ماجيستير "سيساوي أحمد" التي تتعلق **بالنظام الإداري لبايلك الشرق *1791 / 1830***، وملخص رحلة "علي أفندي بن حمدان خوجة"، **وصف رحلة من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة عبر الجبال عام *1832***، التي قام بتقديمها وتعريبها الاستاذ "احميدة عميراوي"، فضلا عن "محمد بن عبد القادر الجزائري" في **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**.

ولم يكن من السهل جمع المادة الخبرية اللازمة لموضوع البحث دون مراودة المكتبات العمومية وزياراتها في كلما سنحت الفرصة لذلك، والبحث عما من شأنه أن يزيد في قيمة العمل وتوسيع موضوع الدراسة، ليمكننا من التحليل أكثر والتعمق في المقارنة والاستنتاج، وقد قمنا في هذا الإطار بزيارة المكتبة الوطنية بالحامة أكثر من خمسة مرات، كما قمنا بزيارة ولاية سكيكدة وبلدية العثمانية بولاية ميلة، وزاوية طولقة بولاية بسكرة[1]، وزاوية الهامل ببوسعادة، عسانا نظفر بما يخدم بحثنا هذا من وثائق ومخطوطات جديدة دون طائل كبير في كثير من الأحيان. دون الحاجة لذكر زياراتنا الماراطونية للمكتبات الجامعية بمدينة قسنطينة، ومكتباتها البلدية وأرشيفها الولائي الذي لايزال دون طموحات الباحثين ودون مستوى تاريخ المدينة.

أما فيما يتعلق بخطة البحث المنتهجة فقد قسمت البحث إلى أربعة فصول كبرى لتسهل عملية معالجة مضمون العنوان المختار لهذه الدراسة والذي ذكرناه سابقا والمتمثل في : **أسرة بن قانة ومكانتها السياسية والاجتماعية خلال العهد**

---

[1] – في يوم *12* أفريل *2005* اتصلنا بشيوخ الزاوية العثمانية في مدينة طولقة التي تبعد عن بسكرة نحو *30* ثلاثين كلم واستقبلنا العاملون في الزاوية استقبالا كريما ونخص بالذكر ابن شيخ الزاوية الذي حدثنا في ومضات عن تاريخ الزاوية وأصل تأسيسها الذي يعود حسبه إلى حوالي سنة *1780* ميلادية ، وأكد لنا أنّ اسم الزاوية المعروف بالزاوية العثمانية لا يمت بصلة للعثمانيين الأتراك الذين بسطوا نفوذهم في هذه الجهات من الزاب خلال نيف عن ثلاثة قرون ، وأكد لنا أن اسم الزاوية يعود إلى اللقب العائلي للشيخ والمعروف بـــ : عُثماني (بضم العين)
وبعد صلاة العصر التقينا شيخ الزاوية ولما أخبرناه عن حاجتنا التي قادتنا إلى المنطقة والمتمثلة في الإطلاع على أرشيف الزاوية المتعلق بالجانب التاريخي فاجأنا بنفي وجود أي مخطوطات، مما نصبو إليه ونفى وجودها نفيا قاطعا مؤكدا لنا أن ما لديه من مخطوطات يتعلق فقط بالجوانب الدينية من علوم التفسير والفقه والأصول واللغة العربية وما إلى ذلك.

العثماني، وتناولت في الفصل الأول **أصل أسرة بن قانة**، وحاولت مناقشة جل الأراء التي تحدثت في الموضوع متبعا الأسلوب التاريخي النقدي واعتمدت أسلوب المقارنة والاستنتاج في بعض مراحل البحث لأُغَلِّبَ رأيا على آخر حينما تشح المعلومات وتجف المصادر، وقد قسمت الفصل إلى عدة عناصر تناولت من خلالها، علم الأنساب وأهميته، ونشأة الفكر الشريفي وتطوره ودوره في منطقة المغرب العربي،ثم تحدثت عن الأصل الشريفي لأسرة بن قانة، وفق رؤى أهم الباحثين الذين عالجوا تاريخ الأسرة منهم بوعزيز بن قانة أغا الزيبان و"قوفيون"، ثم تناولت رؤية ابن الشارف علي حشلاف، الذي ذكرته سابقا، وختمت هذا الفصل بطرح نظرة الكاتب والمؤرخ شارل فيرو، الذي كان متميزا في طرحه ومتحفظا بصورة عامة على الأصل الشريفي للأسرة من جهة وعلى صدق ولائها لفرنسا من جهة ثانية.

أما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن اللبس الذي الواقع حول إشكالية نيل بن قانة لقب مشيخة العرب، تحت عنوان **مشيخة العرب وانتقالها إلى أسرة بن قانة**، وكنت مضطرا في بداية الفصل على إعطاء لمحة عامة عن الوضع السياسي و الإداري قبل *1830* والإطار الجغرافي للبايلك وحدوده، وإدارته وتنظيمه وأهمية بايلك الشرق، لأحدد أمام القارئ البيئة والواقع الطبيعي والسياسي والوضع الإجتماعي والاقتصادي القائم، لرسم الصورة الشاملة التي احتضنت لقب مشيخة العرب، وعرَّجتُ بعدها على أهمية الصحراء في الصراع ببايلك الشرق ولماذا تمركزت أسرة بن قانة في منطقة الزاب، ذات التاريخ الحافل، دون غيرها من المناطق.

وقد قدمت في هذا الإطار نبذة عن لقب شيخ العرب و بداية ظهوره متسائلا عن هذا اللقب ولماذا"الشيخ"؟ وما هي الظروف التاريخية المحيطة به وجملة الوظائف والمهام المناطة به؟ وتكتمل هذه الصورة بالحديث عن فترة حكم كلتا الأسرتين وتقييم أدائهما سواء أسرة الذواودة أو أسرة بن قانة.

وكانت الإشكالية الأولى التي طرحت في هذا البحث محل مناقشة واستفاضة والمتمثلة في إشكالية حصول بن قانة على لقب شيخ العرب، وموقف مختلف الأطرف من ذلك.

وفضلت ألا انتقل إلى الفصل الموالي دون الخوض في صراع الإخوة الأشقاء على السلطة وأقصد بذلك صراع أفراد بن قانة على اللقب، وقسمت هذا الصراع إلى مراحل وفق درجة التوتر التي انتابت أفراد الأسرة، وانتهت آخر مراحل الصراع عند وصول أحمد باي إلى السلطة سنة *1826*.

أما الفصل الثالث فقد خصصته **لدور أسرة بن قانة في تثبيت الحكم العثماني ببايلك الشرق**، محددا في البداية مكانة بن قانة عند بايات قسنطينة، بفضل المصاهرة، و القدرة على الوساطة والقرب من مصادر "صنع القرار"، وكان للمكانة الاجتماعية والدينية للأسرة، حيزا هاما لأن بها حققت تجذرها في بايلك الشرق، فضلا عن المكانة السياسية التي نالتها الأسرة لأول مرة في تاريخ الأسر المحلية بالبايلك والمتمثلة في الاستوزار ومشيخة العرب، وحتى أبرز قوة الأسرة ودورها العسكري فقد قمت بتسطير أهم المعارك التي شارك فيها شيوخ العرب من الأسرة القانية خلال العهد التركي وبداية الاحتلال الفرنسي، ونفس الشأن بالنسبة للدور الاقتصادي الذي لعبته الأسرة ومساهمتها في جمع أصناف الضرائب وتنشيط الحياة الإقتصادية بالبايلك.

وتناولت في الفصل الرابع والأخير إشكالية هامة أخرى، هي **موقف أسرة بن قانة من الاحتلال الفرنسي**، فتحدثت في بداية الأمر عن أهم الوقائع التي سبقت سقوط مدينة قسنطينة بيد الاحتلال سنة *1837*، ونظرا للإرتباط الوثيق بين شخصيتي بن قانة شيخ العرب وأحمد باي، فقد كان لزاما إفراد دراسة شبه مستقلة ووافية قدر الإمكان لأحمد باي لمعرفة مستويات دوره في المقاومة وملامح شخصيته للوصول إلى إدراك من كان سببا في دفع صاحبه إلى متاهات التنازل للفرنسيين والاستسلام.

ثم تحدثت بعد ذلك عن دور شيخ العرب بن قانة ومساهمته في إضعاف مقاومة أحمد باي، بما توفر لدينا من أدلة وشواهد تاريخية، وكذلك تناولت تجدد الصراع بين بن قانة وفرحات بن سعيد، الذي شكل هو الآخر طرفا في معادلة الصراع التي كان لها الأثر الكبير في دفع بن قانة شيخ العرب إلى موالاة فرنسا والتحالف معها لقطع الطريق أمامه، مغتنما جملة من نقاط الخلاف والتوتر التي نشبت بين أحمد باي وأخواله.

وكان من الصعوبة بمكان وقف العرض التاريخي للأسرة دون الحديث عن استمرار أسرة بن قانة في خدمة السياسة الاستعمارية الكولونيالية في الجزائر، وموقف فرنسا من هذه الأسرة، لتكتمل صورة التحالف والتعاون بين الطرفين وترتقي إلى ولاء لا تزعزعه العواصف والهزات، وظل قويا متينا حتى رحيل آخر جندي فرنسي من الجزائر.

وفي نهاية البحث حوصلت النتائج والخلاصات التي توصلت إليها في خاتمة ذكرت من خلالها أن مجالات البحث في موضوع أسرة بن قانة خاصة والأسر المحلية الأخرى عامة ما تزال قائمة، فالكثير من المخطوطات والآثار التي تتعلق بالتاريخ المحلي

هي الآن حبيسة رفوف الخزائن الخاصة والمكتبات البلدية النائية والزوايا والمساجد العتيقة وبحاجة لمن يبعث فيها الحياة، فضلا عن الرصيد الوطني من كتابات ومخطوطات باللغة التركية في الخارج.

ولقد عانيت خلال فترة البحث كثيرا من المشاكل منها خاصة اتساع الرقعة الجغرافية لموضوع البحث حيث شملت بايلك الشرق برمته، من البحر الأبيض المتوسط حتى حدود الصحراء، نظرا لتفرق الأحداث في هذه المجالات الجغرافية،كما اتسع البحث من الناحية الزمانية وانعدمت فيه تقريبا الحدود الزمنية المعلومة والواضحة، فقد اتسع مجال البحث في مسألة الأصل الشريفي للأسرة حتى بلغ تاريخ صدر الإسلام ونشأة بعض الدول كالأدارسة بالمغرب الأقصى كما ذكرت سابقا، وهذا من أجل الإحاطة بالنسب الشريف وكيفية نشوء هذا الفكر، وكيف حاول مؤرخو الأسر في بعض الأحيان توظيفه في إلحاق كثير منها بالنسب الشريف، واستغلت أسرة بن قانة هذا الفكر ووظفته أيما توظيف.

كما ارتبط موضوع البحث بتاريخ الأمير عبد القادر ومقاومته لأنه حاول هو الآخر بسط نفوذه على منطقة الزاب، ففي الفترة الممتدة من *1838* إلى *1840* تنازع الزاب أسرة بن قانة التي وقفت إلى جانب فرنسا، والأمير عبد القادر الذي نفذ سياسته في الزاب خليفته "الحسن بن عزوز" دون أن ننسى الدور الفاعل الذي لعبه "فرحات بن سعيد" المتردد بين هذه الأطراف، فكنت ملزما باتباع هذا الخط أو ذاك الذي جمع هؤلاء والإطلاع على مساحات الصراع والنفوذ التي وطؤوها مما شكل عبءً إضافياً لا يقل شأنا عن ارتباط تاريخ أسرة بن قانة بتاريخ بايات قسنطينة، وبأحداث المدينة منذ سقوط الجزائر سنة *1830* إلى سقوط قسنطينة في أوكتوبر *1837* مما يوحي للقارئ بوجود إطناب وغزارة وكثرة في المعلومات المتعلقة بتاريخ البايلك والأطراف الأخرى توازي في حجمها أحيانا تلك المعلومات التي تتحدث عن الأسرة.

وكانت الصعوبات الكلاسيكية الأخرى حاضرة بثقلها، كقلة المصادر والمراجع وتشتتها، وانعدام الإمكانيات والمساعدات المادية والمعنوية المقدمة للباحث، خاصة حرية البحث والإستسقاء بدور الأرشيف الولائي والمكتبة البلدية، فضلا عن

الأعباء الإجتماعية وتكاليفها الباهضة، التي تحملناها بعناء كتكاليف السفر والإيواء والإستنساخ واقتناء الكتب والدوريات التي تخدم موضوع البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول
أصل أسرة بن قانة

أولا / علم الأنساب وأهميته

ثانيا / الفكر الشريفي مفهومه وتاريخه

1 - **مفهوم الشريفية.**

2 - **ظهور الشريفية.**

3 - **الفكر الشريفي عند المغاربة.**

ثالثا / سلسلة النسب الشريف للأسرة.

1 - **رأي بوعزيز بن قانة.**

2 - **رأي قوفيون**

3 - **رأي ابن الشارف عبد الله علي حشلاف.**

رابعا/ رأي فيرو.

خامسا/ ملاحظات أخرى .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد تناولت في هذا الفصل أهم إشكالية طرحت في موضوع البحث والمتمثلة في أصل أسرة بن قانة، و حاولت مناقشة جل الأراء التي تحدثت في الموضوع متبعا أسلوب النقد العلمي والتاريخي التحليلي والمقارنة والاستنتاج، وكنت مضطرا في البداية إلى الحديث عن علم الأنساب وأهميته في ميدان علم التاريخ وكذلك الفكر الشريفي وعلاقته بالتطورات التاريخية بمنطقة المغرب العربي، لهدف أساسي هو تثبيت أو نفي الأصل الشريفي لأسرة بن قانة موضوع الدراسة.

أولا / علم الأنساب وأهميته.

تَنَاوَلَ عِلمَ الأنساب كثيرٌ من العلماء والمؤرخين معرفين له وشارحين أهميته، وفي هذا الشأن يقول النسابة "أحمد بن علي الداودي" في كتابه عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب:"وعلم الأنساب عظيم المقدار ساطع الأنوار أشار إليه الكتاب الإلاهي فقال سبحانه **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**، وحثّ عليه النبي (ص) بقوله **تعلموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم**، لاسيما نسب آل الرسول (ص) لوجوب توخيهم الإجلال والإعظام"[1].

و النسب : لغة يعني القرابة[2]، وهو مفرد والجمع أنساب، وكان دأب العرب أن يقولوا للرجل: استنسب لنا ؟ أي انتسب لنا حتى نعرفك، وفي الاصطلاح : هو علم، يعرف منه أنساب الناس وأصولهم، والغرض منه الإحتراز والحيطة عن الخطأ في نسب شخص معين لما في ذلك من الأذى.

ويعدُّ هذا العلم فن عربي أصيل عرفه العرب قديما، فَتَفَنَّنُوا في التفاخر بأنسابهم وبالغوا في ذكر أسلافهم وأجدادهم ومناقبهم، وفاخروا على أساسها بعضهم بعضا، وفي كثير من المناسبات الثقافية كعكاظ وذي المجاز[3]، كان يلتقي الشعراء والخطباء ويَتَفَنَّنُونَ في ذكر الأمجاد والبطولات، وكانت تعلو الأصوات وتعلن عُلُوَّ قبيلة على قبيلة

1 - أحمد بن علي الداودي، **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، تحقيق رضا نزار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1971، ص5.

2 - أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، دار الرسالة، بدون معلومات، ص314.

3 - هي أسواق تجارية ومحطات ثقافية عربية بمنطقة الحجاز، كان العرب يغتنموها في تبادل الأخبار وقول الشعر والتفاخر بالأنساب والبطولات التي وقعت في زمانهم أو وقعت في سالف الأزمان وهي بمثابة ملتقيات ثقافية وفكرية.

أخرى، وَسَبْقَ قومٍ لقومٍ آخرين في مجال معين من مجالات الحياة السياسية والإجتماعية أو الثقافية.[1]

والعرب على خلاف غيرهم من الأمم والشعوب[2]، مهتمون بأنسابهم محتفظون بكيانها، ومن الضياع عندهم أن يجهل اْمْرُؤٌ نَسَبَهُ أو أن يكون دَعِيًّا أو زَنِيمًا لا أصل له ولا جذور ينتسب إليها[3]، ويُرْوَى أنَّ أحد الخلفاء العباسيين بلغه أن "القَائم بأمر الله" الفاطمي هَجَاهُ وشَتَمَهُ وشَتَمَ البَيتَ العبَاسِيَّ كُلَّهُ، فرد عليه قائلا " يَاهَذَا عَرَفتَنَا فَهَجَوتَنَا ولَو عَرَفْنَاكَ لأَجَبنَاكَ ".

ومع مرور الزمن اتخذ علم الأنساب أسسه وأصوله وأهميته، وصار جزءً من علم التاريخ والتراجم، الذي يكون فيه الإنسان محور كثير من التفاعلات والاجتهادات والمواقف، فصار علم الأنساب من العلوم المطلوبة والمعارف الضرورية، لما يترتب عليه من منافع ومعرفة بالأحكام الشرعية والشرائع الدينية[4]، فَالنَّاقلُ للعلوم والقواعد الأصولية يجب ان تتوافر فيه جملة من الشروط الموضوعية، منها أنَ يَتَّضِحَ نَسَبُهُ ويثبت انتماؤه لبيت الصلاح والاستقامة والعدالة، فلا يصح أن تؤخذ هذه العلوم عن امرئ لا يُعْلَمُ أصلُهُ وفصله.

وقد وضع الفقهاء والعلماء جملة من المنافع لهذا العلم منها :

1- العلم بنسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه النبي القرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر منها إلى المدينة فانه لا بد لصحة الايمان من معرفة ذلك[5] .

2- التعارف بين الناس حتى لا ينتمي أحد إلى غير آبائه ولا ينتسب إلى غير أجداده وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى: " *يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا* ": وعلى ذلك "تترتب أحكام الورثة فيحجب بعضهم بعضًا

---

[1] – سمير عبد الرزاق القطب، **أنساب العرب**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، *1968*، ص *6*.

[2] – **المرجع نفسه**، ص *6*.

[3] – عبد الله بن محمد ابن الشارف علي حشلاف، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، المطبعة التونسية، تونس، *1929*، ص *7*.

[4] – **المرجع نفسه**، ص *7*.

[5] – أبوالعباس أحمد بن علي القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، *1959*، ص *8*.

وأحكام الأولياء في النكاح فيقدم بعضهم على بعض، وأحكام الوقف إذا خص الواقف بعض الأقارب أوبعض الطبقات دون بعض، وأحكام العاقلة في الدية حتى تضرب الدية على بعض العصبة[1] دون بعض، وما يجري مجرى ذلك فلولا معرفة الأنساب لفات إدراك هذه الأمور وتعذر تحقيقها"[2].

3– الأخذ بعين الإعتبار النسب الشريف في تولي "الإمامة العظمى" (الخلافة الإسلامية) وقد ذكر "الماوردي" في كتابه الأحكام السلطانية، على وجوب أن يكون الامام قُرَشيًا[3]، فقد ثبت أن النبي (ص) قال "الأئمة من قريش" ولذلك لما اجتمع الانصار يوم وفاة النبي (ص) في سقيفة بني ساعدة وأرادوا مبايعة سعد بن عبادة الانصاري، احتج عليهم أبو بكر الصديق (ض) بهذا الحديث فرجعوا وبايعوه ويروى عن النبي (ص) أنه قال " قَدِّمُوا قريشًا ولا تتقدموها". فلولا المعرفة بعلم النسب لفاتت معرفة هذه القبائل، وتعذر حكم الإمامة العظمى التي بها عموم صلاح الأمة وحماية المسلمين وكف الفتنة وغير ذلك من المصالح[4].

وقد ورد في السنة النبوية كثيرا من الآثار التي تدعو في مجملها إلى اعتناء الفرد بنسبه وواجب معرفته وحفظه لما في ذلك من فضل وأثر طيب، فعن عبد الله بن يزيد مولى المنبعث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ص) كان يقول:" *تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر*"[5].

وكان أبو بكر الصديق (ض) وأبو الجَهْمِ بن حُذَيْفَةَ العَدْوي، وجُبَيْرٌ بن مُطْعِمٍ بن عَديٍّ بن نَوْفَلٍ بن عبد مناف، من أعلم الناس بالأنساب في فترة صدر الإسلام، وقد أمر رسول الله (ص) "حسان بن ثابت" (ض) أن يأخذ ما يحتاج إليه من علم نسب

---

1 – المقصود بالعصبة في هذا الموضع الأهل والأقارب.

2 – القلقشندي، **المرجع السابق**، ص9.

3 – أثارت مسألة اشتراط النسب القرشي لتولي الخلافة الإسلامية (الإمامة العظمى) كثيرا من النقاش والجدال بين العلماء والفقهاء على مر العصور، خاصة في ما يتعلق بالنسب القرشي، ويمكن للقارئ لمزيد من الإطلاع والمعرفة الرجوع إلى أمهات الكتب التي تناولت هذا الموضوع وتحدثت عنه.

4 – القلقشندي، **المرجع السابق**، ص 10.

5 – السمعاني بن منصور التميمي، **كتاب الأنساب**، مؤسسة الكتب الثقافية، ج 1، ط 1، لبنان، 1988، ص 19.

قريش عن أبي بكر الصديق(ض)[1]، ليكون مُلمًّا بأنسابها وأمجادها وبطولاتها حينما يذكرها في أشعاره، بعدما تحولت المعركة بين النبي (ص) والمشركين إلى معركة ثقافية وفكرية بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، استعرض فيها مختلف الأطراف أمجادهم وأنسابهم القديمة.

واشتهر كثير من الصحابة باتقانهم علم الأنساب ومعرفة القبائل وتاريخها وأيامها كأبي بكر الصديق رضيَ الله عنه، و"دغفل بن حنظل" الذي يضرب به المثل في النسب وقد كان له معرفة بالنجوم وغيرها من علوم العرب، ويروى أنه قَدمَ مَرَّةً على "معاوية بن أبي سفيان" فاختبره ووجده عالما فقال له أبو سفيان:" بما نلت هذا يا دغفل؟ فقال:" بقلب عقول ولسان سؤول وآفة العلم النسيان" فقال له معاوية : "اذهب إلى ابْنِي يزيداً فَعَلِّمْهُ النَّسَبَ والنجوم"[2].

وعُرِفَ عن كثير من التابعين تَفَوُّقَهُمُ في علم الأنساب واتقانهم له، كسعيد بن المسيب، وابنه محمد بن سعيد، والزُّهْرِيّ، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأبي عبيد القاسم بن سلام[3]، وكثيرٌ من العلماء والمؤرخين منهم البيهقي، وابن عبد البر يوسف النمري[4]، وابن حزم الأندلسي[5]، وأبو الفضل عياض، وابن حماد، وابن رشيق، والحافظ السيوطي[6]، وعبد الرحمن ابن خلدون وغيرهم[7].

والدافع الأساسي الذي اضطرني للحديث عن علم الأنساب وتطوره في هذا البحث، أن كثيرا من المؤرخين عندما تحدثوا عن الأسر المحلية المؤثرة ببايلك الشرق الجزائري خلال العهد العثماني أو في بداية الاحتلال الفرنسي، توقفوا عند أسرة بن قانة

---

1 – ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، نشر دار المعارف، القاهرة، *1382*، ص*3*.

2 –.ابن الشارف ،**المرجع السابق**، ص *7*.

3 – **المرجع نفسه**، ص *4*.

4 – هو أبوعمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (*368* – *463* هـ) اشتهر بعدة مؤلفات منها **"الدرر في اختصار المغازي والسّير" و"جامع بيان العلم وفضله"**.

5 – هو ابن حزم الأندلسي، من كبار علماء الأندلس في القرن الخامس هجري، توفي سنة 456 ه.

6 – هو أبو بكر السيوطي عبد الرحمن (الحافظ)، صاحب كتاب "تفسير الجلالين" و "تاريخ الخلفاء" توفي سنة *911* هـ .

7 – ابن الشارف، **المرجع السابق**، ص *7*.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومكانتها التاريخية نظرا لما لعبته هذه الأسرة من أدوار أساسية في المنطقة وفي هذه الفترة الهامة من تاريخ الجزائر، ويعتقد عدد كبير منهم أن هذه المكانة لم تكن لتحصل عليها هذه الأسرة دون سند ديني أو اجتماعي، وهو ما نقصد به " الأصل الشريفي" في حين نفى مؤرخون آخرون هذه المزاعم معتمدين على حجج ساقها أصحابها وسنذكرها في حينها، واستمر هذا الجدل قرابة المائة سنة، أي من السنوات الأولى التي تلت سقوط مدينة قسنطينة بيد الإحتلال الفرنسي، إلى بدايات القرن العشرين، دون الوصول إلى رأي موحد في هذه المسألة .

والملاحظ أن جُلّ الآراء التي تحدثت في الموضوع لم تتوصل إلى حسم هذا الموضوع، واتسم الخلاف بينها بالتباين الكبير والتضارب الواضح في كثير من الأوقات، خاصة مع فقدان الأدلة الثابتة لدعم رأي دون آخر.

وما زاد في درجة التباين اعتماد بعض المؤرخين على الروايات الشفوية التي تفتقد للدلائل الملموسة والبراهين القاطعة في مجملها، فصار من الصعوبة بمكان إلحاق هذه الأسرة بنسب معين ومن ثمة الفصل في جملة أخرى من القضايا المرتبطة به، وهكذا فإن مسألة النسب الشريف لبن قانة يعد جزء أساسيا في إشكالية البحث، ومن أجل ذلك رأيت من الواجب أن أتحدث – بعدما تناولت مفهوم علم الأنساب وتاريخ ظهوره بصورة موجزة – عن مفهوم "الشريفية"، وتاريخ ظهورها، وعوامل انتشار الفكر الشريفي، وكيف وظفت الشريفية توظيفا سياسيا في منطقة المغرب العربي، وتندرج هذه العناصر كلها تحت عنوان " الفكر الشريفي أصوله وآثاره ".

ويعتقد أبو القاسم سعد الله أن الكتاب الجزائريون الذين جاؤوا بعد فترة ابن خلدون، لم يهتموا كثيرا بالأنساب باستثناء بعض المحاولات التي ذكرها بعض المؤرخين أمثال " أبو حامد المشرفي الذي ذكر أن محمد بن أحمد المغراوي ألّف كتاباً سماه (تمييز الأنساب) أخذ منه نسب محمد بن علي أبــهلول المجاجي المتوفى سنة *1008* " لكن المؤسف أن الكتاب لم يطلع عليه أحد[1].

ويضيف سعد الله أن مِنْ أَلْمَعِ من تحدث في الأنساب في هذه الفترة هو " أبو راس الناصري " من خلال كتابه " مروج الذهب في نبذة النسب ومن إلى الشرف

---

1 - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، (ش. و.ن. ت)، الجزائر، *1981*، ص *362*.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

انتمى وذهب "[1] تحدث فيه عن نسب الأدارسة بالمغرب الأقصى وذلك بحكم كونهم من أهم فروع الأسر الشريفية التي انتقلت إلى المغرب العربي في العصور الأولى، ويبدو أن المؤرخ كان حازما شديدا في تقصي الحقائق بعيدا عن التزلف والمداراة مما أثار عليه بعض قبائل معسكر لما جرَّدَهَا من النسب الشريف[2]، وهو ما يؤكد لنا أهمية الإنتساب لبيت النبوة عند الناس وعدم استعدادهم للتنازل عن هذا الشرف بأي ثمن كان وتحت أي ظرف من الظروف.

ثانيا / الفكر الشريفي مفهومه وتاريخه.

1 – مفهوم الشريفية.

الشريفية من شريف والجمع أشراف وشرفاء و(يقال شُرْفَةٌ في بعض الأحيان) ويدل أصل الكلمة " شرف " على العلو والرفعة والمكانة السامية، وتطلق على الشخص الحر الذي له آباء متقدمون في الشرف والرفعة[3]، ويعتقد بعض الناس[4] أن الصفات المحمودة في الآباء تنتقل بالوراثة إلى الأبناء والأحفاد، كما أن كثرة الآباء والأمجاد شرط هام للشَّرف الضخم والنسب الرفيع الذي لايعلوه نسب آخر. وتطلق كلمة الشَّريف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] – هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بوراس المعسكري الجزائري، توفي سنة *1239* هـــ، مؤرخ ونسَّابة جزائري.

[2] – أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص *363*.

[3] – جاء في تعريف الشرف ما يلي : الشرف مُحَرَّكُهُ العلو والمكان العالي والمجد، ولا يكون إلا بالآباء أو علو الحسب، والشَّرَفُ جبل قرب جبل "شريف" وهو أعلى جبل ببلاد العرب (معروف آنذاك في صدر الإسلام) وفي الشرف حمى، والشريف جمعه شرفاء وأشراف وشَرَفٌ بفتح الشين والراء، والشارِفُ من السهام: العَتيقُ القَديمُ، ومن النوق المسنة الهرمة، والشرفُ أيضاً من الأبْنِيَة: مالَها شَرَفٌ، والواحَدةُ: شَرْفاءُ. وشَرَفَهُ كنَصَرَهُ، وغَلَبَهُ شَرَفاً طالَهُ في الحَسَب، والأَشْرَفُ الخُفَّاشُ، ومَشارِفُ الأرْضِ: أعاليها، وشَرَّفَ اللَّه الكَعبةَ من الشَّرَف، وتُشُرِّفَ القَوْمُ، بالضمِّ: قُتِلَتْ أشْرافُهُم.
انظر : الفيروزأبادي محمد بن يعقوب. **المرجع السابق**، ص*314* .

[4] – لايزال إلى الآن كثير من الناس يعتقدون أن الآباء الأشراف يمنحون أبناءهم شرف النسب وأسراره وكراماته خاصة في المناطق الريفية الجزائرية حيث نجد شيـــوع عبارة " فلان معطية له ". أي ورث الكرامة والشرف عن آبائه وأجداده.

أيضا على الشخص ذي المكانة والجاه والسلطان، في مقابل الضعيف والوضيع الذي لا يملك من ذلك شيئا[1].

وكانت كلمة" الشّريف " تَردُ بهذا المعنى أيضا في كتابات صدر الإسلام، فَتجدُهَا عند البلاذري في كتابه " أنساب الأشراف " وعند ابن قتيبة في " عيون الأخبار " وابن عبد ربه في " العقد الفريد "[2]، وغيرهم .

وبالرّغم من أنّ الإسلام أقرّ مبدأ المساواة بين جميع العرب ثمّ بين جميع المسلمين لقوله تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلَقنَاكُم من ذَكَر وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لتَعَارَفُوا إنّ أكرَمَكُم عندَ الله أَتقَاكُم إنّ الله عَليمٌ خَبيرٌ "[3]، وقول رسول الله (ص) في خطبة الوداع : " أَيُّهَا النَّاسُ إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كُلُّكُم لآدَمَ وَآدَمُ من تُرَاب، أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعَرَبيّ عَلَى عجَميّ فضل إلاّ بالتَّقوَى"[4]، وبالرغم من تقلص وتراجع دعوات الانتماءات القائمة على العصبية للجنس أو اللون أو القبيلة ولو لفترة معينة[5]، فإن هذا المبدأ لم يستطع أن يتغلب دائما على الشعور بالاعتزاز القديم بالنسب الشريف وأمجاد الأوائل[6]، حتى نبّه أحدُ الشعراء بني الإنسان عامة مذكرا بوحدة الخلق للناس جميعا فقال :

الناس من جهة التمثيل أكفـــاء	أبوهم آدم والأم حـــــــــــواء
فإن يك لهم من أصلهم شرف	يفاخرون به فالطـــــين والمـــاء

وكان الأشراف في كثير من الأحيان يُمنَحُونَ لفضلهم وكرامتهم تدبير شؤون القبيلة أو شؤون أهل المدينة التي يقطنونها، فصاروا هُمْ رؤساء القبائل ذات الشأن والجاه

---

1 -. محمد ثابت أفندي و زكي إبراهيم خورشيد، **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد 13، 1933، بدون معلومات، ص 266.

2 – **المرجع نفسه**، ص 266.

3 – سورة الحجرات، الآية 13.

4 – عز الدين بليق، **منهاج الصالحين**، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص883.

5 – عبد الباقي علي محمد:" أنساب العرب ودعوى الطوتمية "، **مجلة سيرتا**، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، العدد1، ماي 1979، ص 29.

6 – محمد ثابت أفندي، **المرجع السابق**، ص 266.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يرون أنفسهم أهل الفضل والشَّرف والعزّ، في مقابل الأراذل والسّفهاء والسُّوقة من الناس الذين لا ينبغي أن يمنحوا مثل هذا الفضل وتلك المكانة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- ظهور الشّريفية.

إذا كان لفظ " الشَّريف " مفردةً بسيطة لغةً، فإن مدلوله عميق وواسع ويختلف من جهة لأخرى ومن بلد لبلد آخر، وعلى امتداد العصور، فقد كان أهل مصر يَنْسبُونَ الشُّرَفَاءَ لآل الحسن والحسين، بينما راح أهل العراق يُلْصِقُونَ هذه الصفة بآل العباس(ض) ويعتقد أهل مصر أن الشرف أنواع فمنه :

شرف عام يجمع أهل البيت كلهم دون استثناء

شرف خاص بذرية الحسن والحسين رضي الله عنهما[1].

أمَّا منطقة المغرب العربي، فيُرَجِّحُ جُلُّ المؤرخين **ظهور الشريفية** بها إلى تزايد تأثير الفكر الشيعي الإسماعيلي[2]، والذي لعب الأدارسة فيه دورًا كبيرًا، خاصة في التمهيد

---

[1] - ابن الشارف، **المرجع السابق**، ص 20.

[2] - الإسماعيلية من الفرق الشيعية الكبرى التي ظهرت في القرن الأول الهجري يرى أتباعها أن الإمامة منصبٌ إلهيٌ يختار له الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمر باتباعه، ويعتقدون أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بأن ينص على " عليّ بن أبي طالب " وينصبه على ما للناس من بعده، وقد بلغ الرسول الكريم ربه، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يتبع المسلمون أمر الله تعالى و لا أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، وتركوا ركناً من أركان الإيمان.ويرون أن النص بعد الإمام علي لابنه محمد الباقر ، فابنه جعفر الصادق، الذي في عَقبه نشأت أكبر فرقتين من فرق الشيعة هما: الجعفرية الاثنا عشرية والتي اعتقد أتباعها في إمامة أبى عبد الله جعفر الصادق، أما الفرقة الثانية فقد اعتقد أتباعها في إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق الابن الأكبر ويعرفون بالإسماعيلية، وجعلوا الإمامة بعد إسماعيل لابنه محمد المكتوم، ومنهم من وقف عليه وقال برجعته بعد غيبته (موته)، ومنهم من ساق الإمامة في أئمة" مستورين" منهم ، ثم في (ظاهرين قائمين) من بعدهم، وقالوا : لم تخل الأرض قط من إمام حي قائم، إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور، وأكثر فرق الشيعة ترى أن بعض الأئمة سيعودون بعد موتهم أو غيبتهم، فيملأون الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وبعضهم يقول برجعة النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته قبل يوم القيامة ، وكذلك رجعة أعدائهم ومن اغتصبوهم حقهم حسب زعمهم ليقتصوا منهم ، ولهم في ذلك خرافات كثيرة : كظهور جسد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب

للدعوة الإسماعيلية في المغرب الأقصى، التي تزعّمها بعدهم الفاطميون، ويعتقد مؤرخو هذه الفترة أن صاحب الفضل الأول في نجاح الدعوة الإسماعيلية في هذه الجهات، هو الدّاعية أبو عبد الله الشيعي المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية، ويروي المقريزي أن الإمام جعفر الصادق[1]، أوفد قبله كثيرا من الدعاة إلى المغرب العربي، ولعل أبرزهم الحلواني وأبو سفيان، حيث قال لهما:

" إنّ المغرب أرضٌ بورٌ، فاْذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحبُ البذر"، وقد كان للرَّجُلَيْنِ دورا بارزا في استمالة الكثير من أفراد قبيلة كتامة البربرية إلى صف الحركة الشيعية[2].

ونظراً لاعتماد أتباع المذهب الشيعي ودعاته على تمجيد آل بيت رسول الله (ص)، وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين[3]، هذا التمجيد الذي يعدّ صُلْبَ وجَوْهَرَ العقيدة الشيعية، فقد تزايد في مقابل ذلك تعظيم ذكر النبي، صلى

في قرص الشمس، يعرفه الخلائق، وينادى مناد باسمه في السماء، وينادى جبريل أن الحق مع على وشيعته، ولمزيد من المعرفة حول الموضوع الإطلاع على كتب "الفرق الإسلامية" للبغدادي،أو النوبختي، أو "الملل والنحل" للشهرستاني.

[1] - هو أحد أئمة أهل البيت المشهود لهم بالورع والعدل والاستقامة، عاش في القرن الثاني للهجرة ورغم أن الشيعة ينسبوه إليهم، إلا أنه كان عف اللسان نقي السريرة صحيح العقيدة خاصة ما تعلق ببدعة "سب الصحابة" التي قام لها غلاة الشيعة والباطنيون، فكان يرى في أبي بكر أفضل الصحابة، وقد نعته بالفضل رضوان الله عليه وقال فيه : " شَهِدَتْ له الربوبية بالصحبة وبَشَّرَهُ بالسكينة وحَلاَهُ بثَانِي اثنين إذ هما في الغار"، وكان يعتقد خلافا للشيعة في قوله تعالى " والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون " أن لا خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله، والذي صَدَّقَ به أبو بكر رضي الله عنه وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم أجمعين، انظر : الذهبي محمد بن عثمان، **كتاب الكبائر**، ج1، دار الندوة الجديدة، بيروت، ص 240.

وكان يقول رضي الله عنه : " أنا بريء ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير" انظر : أبو بكر عبد الرحمن السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ج1، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1952، ص 122.

[2] - أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص 224.

[3] - يفضل الشيعة الإقتداء والتبجيل أكثر للحسين بن علي بن أبي طالب، لأنه يمثل في رأيهم الرمز الفعلي والصادق لمعارضة نظام الحكم الأموي، الذي سلب حق آل البيت في الخلافة، وقد قُتل رضي الله عنه في موقعة كربلاء سنة 63 هـ، وبعث القائد الأموي ابن أبي زياد برؤوس الحسين وثلة من أتباعه إلى يزيد بن معاوية الخليفة الأموي فسُرَّ بقتلهم أولا، ثم نَدِمَ لَمَّا مَقَتَهُ المسلمون على ذلك وأبغضه الناس، انظر: أبو بكر السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ج 1، دار المنار، دمشق، ص 208.

الله عليه وسلم وآل بيته الأطهار استنادا إلى قوله تعالى:(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[1]، فصار الانتساب إلى بيت النبيّ (ص) علامة شرف خاص، لا يظفر به إلا من أثبت نسبه إليه، وآل البيت هم، آل علي وآل عقيل وآل جعـــفر وآل العباس[2].

ومن خلال هذا العرض يبدو أن البذور الأولى للشريفية كانت ذاتَ أبعاد سياسية محضة، اتَّخذَتْ لها مكانا مُهمًّا في المجتمع المغاربي، واستندت على جملة من المحفزات التي مفادها واجب احترام الأشراف وإظهار التعظيم والولاء لهم والدفاع عنهم، وما يتبع ذلك من إلتزامات سياسية، إن هُمْ فكروا أو سَعُوا لبسط نفوذ واكتساب سلطة سياسية، فالواجب الديني والشرعي إذا يقتضي تأييد دعوتهم لانتمائهم لبيت النبي، ولا مفر من أداء هذا الواجب أو التقاعص عنه.

واستدلَّ بعض دعاة الشيعة بما ورد في بعض السنن، لتحقيق غاياتهم وطموحاتهم في نيل السلطة وبلوغها بدعم من الأتباع المدفوعين بحب آل البيت، كقول رسول الله (ص) أنَّ كُلَّ نَسَب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نَسَبَهُ وصهره (ص)[3]، وَرُوِيَّ عنه أيضا في حديث آخر قولُه (ص): " *النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي* "[4] وهو

---

[1] – سورة الأحزاب، آية 33.

[2] – محمد ثابت أفندي، **المرجع السابق**، ص 267.

[3] – قاله الإمام أحمد قال حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثتنا أبو بكر المسور بن مخرمة عن عبيد الله بن أبي رافع عن المسور (ض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري " رواه الشيخان البخاري ومسلم .

[4]– راوية هذا الحديث هو موسى بن عبيدة بن نسطاس الربذي، كان من خيار عباد الله نسكا وفضلا وعبادة وصلاحا إلا أنه غفل عن الإتقان في الحفظ حتى يأتي بالشيء الذي لا أصل له متوهما، ويروي عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات من غير تعمد له، فبطل الاحتجاج به من جهة النقل وإن كان فاضلا في نفسه. وقال علي بن المديني : موسى بن عبيدة ضعيف يحدث بأحاديث مناكير، وقد أورد الحديث السابق ذكره في هذا النسق : أخبرنا أبو يعلى قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا إسحاق بن سليمان قال سمعت موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار وروى عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي " انظر: أبو حاتم محمد البستي بن حبان، **المجروحين**، ج2، دار الوعي، حلب، بدون تاريخ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حديث موضوع وغير ثابت عن النبي (ص) لأن الذي رواه من المجروحين[1]، فَبَطُلَ الاحتجاج به[2]، وقوله أيضا(ص) " لن يعذب اللهُ أهلَ البيت بالنار وأول الناس دخولا للجنة أهل البيت"[3].

هذا وقد شكّل موضوع الانتساب لأسرة النبي صلى الله عليه وسلم محورَ خلاف كبير بين الناس قديماً وحديثاً، من حيث المدى الذي يمكن أن تصل إليه شفاعة الرسولِ (ص) لآل بيته يوم القيامة، فمنهم من بالغ في نيل شفاعة النبي، حتى لو كان المنتسب لآل البيت من أهل المعاصي والآثام، بينما قيَّدها آخرون بشرط العمل الصالح وفعل الخيرات، إذ دلّت الكثير من الأحاديث الصحيحة صراحةً على ضرورة العمل الصالح، والحَثِّ عليه لأنه هو السَّبيل الوحيد للنجاة من النار يوم القيامة، مصداقاً لقوله تعالى : " *فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ*"[4].

وعن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما بال رجال يقولون إنّ رحم رسول الله (ص) لا تنفع قَوْمَهُ، بلى والله إنّ رَحِمِي موصولةٌ في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم، (أي أتقدمكم إلى الحوض يوم القيامة) إذا جئتم قال رجل : يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال: أخوه أنا فلان بن فلان، فأقول لهما : " أمَّا النَّسَبُ فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وارْتَدَدْتُمْ الْقَهْقَرِيّ"[5] (أي غيَّرتم سُنَّتِي وتراجعتم عنها وجئتم بالبدع) .

وعن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا

---

1 – "المجروحين": الجرح لغة إحداث أثر في البدن يسيل منه الدم، ويستعمل اللفظ اصطلاحا في مجال علم الحديث للدلالة على ظهور وصف في الراوي يثلم (يخدش) عدالته أو يخل بحفظه وضبطه، ويترتب عليه رد روايته أو تضعيفها .

2 – ابن حبان، **المرجع السابق**، ص *234*.

3 – هذه الأحاديث المروية ساقها محمد ثابت أفندي في دائرة المعارف الإسلامية على أساس أنها كانت تحض الناس على الولاء لأهل البيت لما في ذلك من الخير، وحديث "لن يعذب اللهُ أهلَ البيت بالنار ... بحثت عنه في كتب السنة المشهورة دون أن أجد له أثرا، فربما قد يكون من الأحاديث الموضوعة.

4 – سورة المؤمنون، آية *101*.

5 – إسماعيل ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج *4*، دار الشعب للنشر، القاهرة، بدون تاريخ ص*222*.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أمَّ الزبير بن العوام عمة رسول الله، يا فاطمة بنت محمد، اشْتَرِيَا أنفسكما من الله، لا أملك لكما من الله شيئًا، سَلاَنِي من مالي ما شئتما". رواه الشيخان البخاري ومسلم.[1]

ويتضح من خلال هذه الأحاديث الصحيحة، أنّ الإعتماد كليا على النسب لآل بيت رسول الله (ص)، دون رَصِيدٍ من العمل الصالح والإخلاص، قد يعرض صاحبه إلى الإفلاس والخسران يوم القيامة.

غير أن ذلك لم يمنع الناس من العناية بالنسب الشريف، الذي صارت له مكانة مرموقة في نفوس المسلمين وتنافسوا في خدمة آل البيت وحبهم وطاعتهم وولائهم، وقد صرح بما يقتضيه هذا النَّسبُ الشَّريفُ على الناس من واجبات الحب والولاء، ما ينسب للشافعي من شعر قوله :

يا آل بيتِ رسولِ اللهِ حُبُّكُمْ   فَرْضٌ عَلَيَّ وفي القرآن مكتوب

وينسب له أيضا :

يا آل بيت رسول الله حُبُّـــكُمْ   فَرْضٌ مِنَ اللهِ في القرآن أَنْزَلَـــهُ
يكفيكم من عظيم الفخر أَنَّكُـــمْ   مَنْ لَمْ يُصَلِّ عليكم فلا صلاة لـــه

---

[1] – في رواية البخاري: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا أم الزبير بن العوام عمة رسول الله يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله، لا أملك لكما من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتما "، انظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، ج*3*، ط*3*، دار ابن كثير، دمشق، *1987*، ص *1298*، أما في رواية مسلم : حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة قال : لما أنزلت هذه الآية : " *وأنذر عشيرتك الأقربين* " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا، فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها "، انظر : مسلم بن الحجاج النيسابوري. **صحيح مسلم**، ج*1* ، ط*1* ، دار إحياء التراث العربي، لبنان، *1955*، ص *192*.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- الفكر الشريفي عند المغاربة.

يعتقد "ألفرد بل" *Alfred Bel* ، أنّ "صفة الشريف صَارَ لها سحْرٌ عند البربر في المغرب العربي، وأصبحت لقبًا هامًا يتلقب به رؤساء الفرق الصوفية، والصوفية العاديُّون، يُـثْبِتَهَا لهم أوْ يَخْلَعَهَا عنهم، عن خطأ أو صواب من ترجموا لهم من مؤلفي كتب التراجم الصوفية وواضعي كتب الأنساب على مر العصور"[1]، ويعني ذلك أن فكرة الشَّرِيفيَّة تكون بالتالي قد فقدت شيئاً من مضمونها ومصداقيَّتها، وخضعت مع الوقت لأمزجة الكتاب والمؤرخين، وربما لرجال النفوذ والسلطة يستغلونها في توجيه مراكز القوة لصالحهم، مما يعني أن السلالات الشريفية الحقيقية قد فقدت عنصرا مهما من عناصر تأكيد هويتها الشريفية، سواء تعلق الأمر بطريق الرواية الشفوية المتواترة، أو بالكتابات والآثار المخطوطة.

ورغم ذلك فما من قبائل المغرب العربي في العصور الوسيطة أو الحديثة مَنْ خَلَتْ مِنَ الأسر الشريفية والصوفية، فكانت كل واحدة تستبقي بين ظَهْرَانَيْهَا أمثال هؤلاء الشرفاء، يعطونهم الأرض والمنافع العديدة ويجعلونً منهم شيوخاً روحيين وحماة صوفيين، فمكانة القبيلة وسط نظرائها آنذاك تقاس بما تضمُّه من هؤلاء النبلاء الأشراف، تَسْتَجْدي صِدْقَهُمْ وَقُرْبَهُمْ وتَقْوَاهُمْ وَتَدْفَعُ بِهِمُ الأَذَى وَتَذُودُ بِهِمْ نَوَائِبَ الدَّهْرِ وَصُرُوفَهُ[2].

وهكذا فإن الشُّرفاء، كَفِئَة متميزة قد نالوا حظوةً ومكانةً قد لا تحصل لغيرهم بسهولة خاصة بالمغرب العربي، حَيْث وجَدوا خير ترحيب من جانب السكان، وصار هؤلاء الشرفاء بمثابة دعائم القبيلة وعنوان وجودها، وحسب تعبير "ألفرد بيل" فقد نشأت نبالة دينية في القبيلة، وجرى تنظيم اجتماعي جديد وطبقة سياسية ودينية جديدة[3].

---

1 - ألفرد بيل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، *1989*، ص *422*.

2 - **المرجع نفسه**، ص *433*.

3 - **نفسه**، ص *422*.

لكن كثيراً من العلماء يطعنون في صدق أنساب هؤلاء الشرفاء[1]، ويرجحون ضياع الأنساب وتَلفهَا بسبب تَقَادُمِ الزمن وتعاقب الأجيال، وقد عَبَّرَ عن ذلك أبو راس الناصري بقوله :" إن امتياز النسب اندرس (زال) في هذا الزمان، فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع اختلافا كثيرا في الأمة الواحدة لإختلاط الأنساب وتباين الدعاوي"[2]، إذ صار جل الأشراف ينسبون إلى الأوطان التي نزلوا بها والبلدان التي سكنوها، حيث اندمجوا وانصهروا في البربر والعرب، الذين سكنوا بينهم وفضّل بعض الأشراف إخفاء نسبهم لسبب أو لآخر[3]، خشية من متابعة أو مضايقة من السلطة القائمة، أو رغبة في الزهد ورفع التكاليف والحرج عن الناس.

ثالثا / سلسلة النسب الشريف للأسرة.

اقتصرت في هذا العنصر على تحليل ومناقشة ثلاثة آراء مهمة تَنَاوَلَتْ النسب الشريف للأسرة، وتتمثل في رأي صاحب مذكرات الأسرة "بوعزيز بن قانة" آغا الزيبان الذي تحدثت عنه في مقدمة هذا البحث، و"قوفيون" الذي نهج عكس "فيرو" تماما في معالجة تاريخ الأسرة لأسباب مختلفة وأضفى عليها كثيرا من الأمجاد والشرف، وأخيرا بحثت رأي "علي حشلاف" الذي تناول النسب الشريف لبن قانة في فترة متأخرة وأثار عدة علامات استفهام هو الآخر لمَا أُثيرَ حول الموضوع، وكانت لكتابات شارل فيرو المترجم العسكري حول تاريخ الأسرة جدلا كبيرا، سأتناولها بالتحليل والمناقشة في آخر هذا الفصل.

---

[1] – يعتقد المفكر المعاصر سعيد رمضان البوطي نقلا عن والده أن البحث في تفاصيل النسب ورسم مسارات الانسان في " ظلمات الماضي" لا يجنب صاحبه الوقوع في أخطاء وهفوات والأولى تجنب التحقيق في هذا الشأن لصعوبته الجمة واستحالته في بعض الأحيان، انظر : سعيد رمضان البوطي، **هذا والدي**، ط3، دار الفكر، دمشق، 1995، ص 13.

[2] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ص 363.

[3] – ابن الشارف، **المرجع السابق**، ص37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- رأي بوعزيز بن قانة[1]

اكتفى بوعزيز بن قانة أغا الزيبان في كتابه[2] الذي ذكرناه في المقدمة، بالتأكيد أنّ لأسرته أصلاً شريفًا واتصالا ببيت النبوة الطاهر، لكنه لم يطرح الأدلة الكافية التي تثبت هذا النسب، باستثناء تلاوته لشجرة نسب الأسرة بشكل تنازلي حتى أوصلها بعلي بن أبي طالب(ض)، وذكر أنه نقل شجرة نسب الأسرة من كتاب "الأنساب" لصاحبه "محمد العشماوي"[3]، وتتمثل في ما يلي:

"**محمد** بن **علي** بن **سليمان** بن **عبد العزيز** بن **محمد** بن **عمر** بن **خالد** بن **يونس** بن **ابراهيم** بن **منصور** المدعو **قانة** بن **محمد** بن **عبدالله** بن **عبد المالك** بن **العابد** بن **الحبيب** بن **أحمد** بن **عيسى** بن **يوسف** بن **عدنان** بن **خالد** بن **يوسف** بن **محمد** بن **داوود** بن **عبد الغفار** بن **عيسى** بن **عبد الله** بن **ابراهيم** بن **عبد الله** بن **علي** بن **عيسى** بن **يحي** بن **داوود** بن **مهد** بن **مسعود** بن **موسى** بن **عزوز** بن **عبد العزيز** بن **جبار** بن **عمران**[4] بن **سالم** بن **عبد الله** بن **أحمد** بن **إدريس** الأصغر بن **إدريس** الأكبر بن **عبد الله الكامل** بن **الحسن** المثنى بن **الحسن** السبتي بن الإمام **علي** بن أبي طالب زوج **فاطمة** بنت الرسول صلى الله عليه وسلم"[5].

---

[1] – جاء في الكتاب الذهبي للشخصيات الجزائرية تعريف بشخصية بوعزيز بن قانة أغا الزيبان مايلي: "بن قانة بوعزيز شيخ العرب في بسكرة ينحدر من أسرة عريقة من وادي ريغ، ورغم الاختلاف المسجل في أصولها فإن الأصل الشريفي لها يبدو أكثر ثبوتا، تحصلت أسرته على منصب شيخ العرب خلال العهد العثماني و ظفرت به أيضا بعد الاحتلال الفرنسي ابتداء من *1839*، وكان ولاؤها لفرنسا تاما حيث ساهمت في التخفيف من حدة التمرد و الثورات التي عاشتها البلاد" وقد سجل" القاموس "رسالة أسرة بن قانة للسلطة بمناسبة اندلاع ثورة المقراني سنة *1870* مشيرا إلى كتاب قوفيون أعيان المغاربة، الذي تناول تاريخ الأسرة، ثم أشار إلى شخصية بوعزيز بن قانة الذي اعتبر عالما وفقيها في اللغة العربية والفرنسية وإداريا من الطراز الأول، خدم القضية الفرنسية بإخلاص خلال الحرب العالمية الأولى.

[2] – *BenGana B*, ***op.cit.***

[3] – اعتمد بوعزيز بن قانة على كتاب الأنساب لصاحبه محمد العشماوي بحثت عنه للإطلاع على ما أورد الكاتب بشأن النسب الشريف للأسرة دون نتيجة.

[4] – يرجى من المطلع لكتاب بوعزيز بن قانة المشار إليه أعلاه الانتباه للخطأ الموجود في الصفحة *22*، ويبدو أنه خطأ مطبعي غير أنه ألحق فوضى بشجرة النسب التي أوردها المؤلف .

[5] – *BenGana .B* , ***Op.cit*** , *p 22.*

واستخلص بوعزيز بن قانة من هذه الشجرة الفروع الكبرى التي منها تنحدر أسرته وتتمثل في قبيلة بني عطا وقد ذكرها كما ما يلي :

بَنِي عَطَا، و**القَنْوَاتْ**، و**وَنُّوغَة**، وأولاد **مَهْدْ** كانوا يسكنون جبل عفرون غير بعيد عن **بني يسنوس**، وجدهم الأول يدعى **مهد** أو **محد** (**محمد**) المدعو بن **مسعود** بن موسى بن **عزوز** بن **عبد العزيز** بن **جبار** بن **عمران** بن **سالم** بن **عبد الله** بن **أحمد** بن ادريس **الأكبر** بن **عبد الله الكامل** بن **الحسن المثنى** بن **حسن السبتي** بن **الإمام علي** بن **أبي طالب** زوج **فاطمة** الزهراء بنت **الرسول** صلى الله عليه وسلم [1].

ثم يضيف نقلا عن نفس الكتاب في صفحات أخرى بأن :

بني **عطا** يقيمون بالعطاف[2] وجدودهم هم **سليمان** بن **محمد العطاف** بن **محمد** بن **مسعود** .

أما **القنوات** فيسكنون في منطقة العدوة أي المناطق الساحلية الشمالية غير بعيد عن أفريقية (تونس) وجدهم الأكبر هو **محمد** بن **مسعود**، وإلى القنوات يزعم أغا الزيبان انتماء أسرته، وهذا بحكم التقارب في الألفاظ ودون أدلة ثبوتية.

وأما **ونوغة** فيسكنون في جبل عُزْوَة، **وجدهم** يدعى **زُغوانة** بن **محمد** بن **مسعود**.

ويقيم **مهداوة في جبل العفرون** قرب جبل يوسنوس[3] في شرق المغرب وفرقة **منهم تعيش حياة الترحال وجدهم الأول يدعى سليمان** بن **مهد** بن **مسعود** كما يُبَيِّنُهُ الشكل أدناه:

---

[1] – *BenGana .B , Op.cit , p 22.*

[2] – توجد قرب مدينة الشلف، مدينة "العطاف" وتقع بشرق الولاية بالوسط الجزائري، وتبعد عنها بنحو 26 كلم.

[3] – إذا كان المقصود بجبل العفرون مدينة "العفرون" الواقعة بمنطقة المغرب الأوسط غرب مدينة البليدة بنحو 18 كلم، فإنها بعيدة جدا عن بني يسنوس، التي ربما يقصد بها الكاتب جبال "بني يزناسن" التي تقع على بعد نحو 50 ميلا غربي تلمسان وتمتد على طول 25 ميلا وعرض 15 ميلا، وفي أعلى الجبل كانت تقيم إمارات منفصلة خاصة خلال العصر الوسيط والعهد العثماني لصعوبة الموقع ومنعته، انظر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شجرة الهرم العائلي لبن قانة.

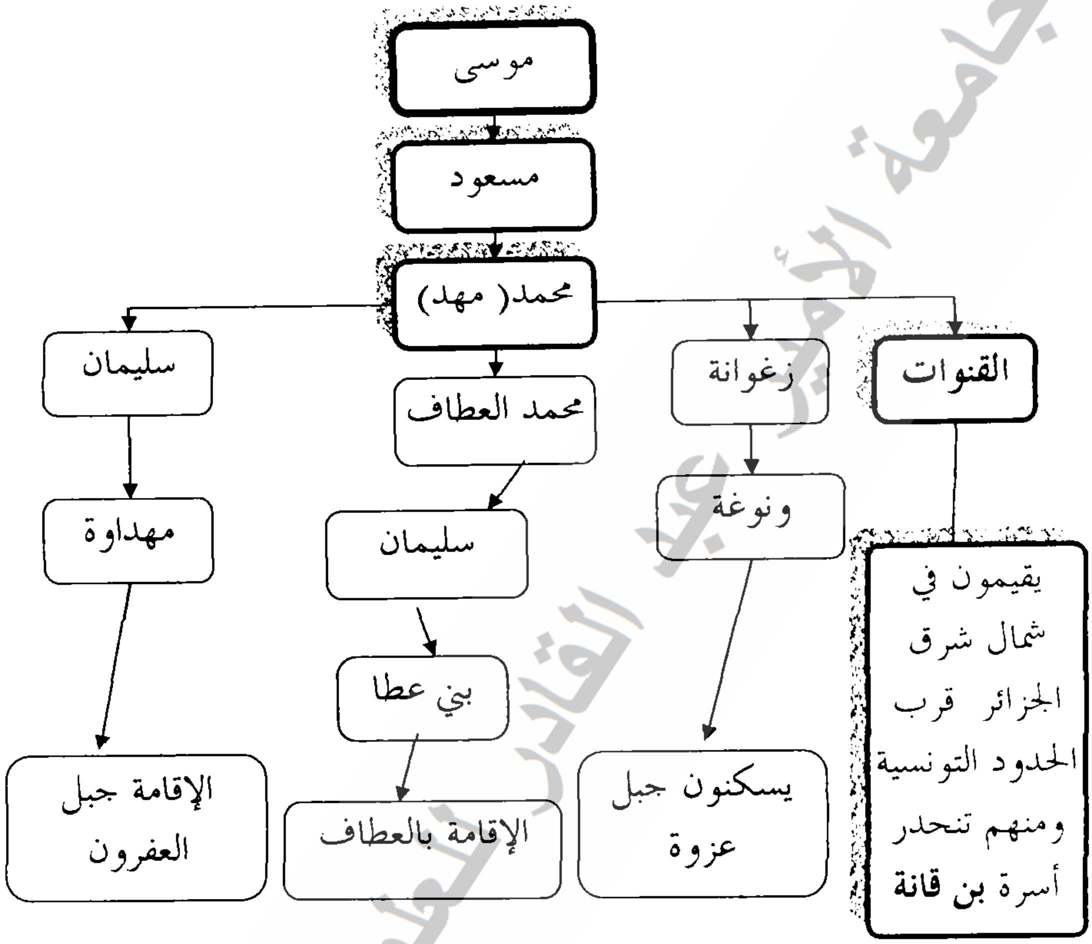

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويؤكد أغا الزيبان أن نفس هذا النسب أكده شيوخ الأسرة الأوائل للباحثين الفرنسيين، رغم أنه في مقدمة كتابه المشار إليه، والذي تحدثنا عنه في مقدمة هذا البحث، يؤكد أن الأسرة لم يتصل بها أحد من المؤرخين، وأن وثائق الأسرة من مراسلات ومخطوطات لم يطلع عليها كائن، باستثناء القبطان سيروكا[1] الذي حضر

ليون الإفريقي،**وصف إفريقيا**،ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، *1983*، ص*43*، وقد يقصد بها الكاتب ربما مدينة "بني سنوس" الواقعة جنوب تلمسان على بعد نحو *40* كلم عن الحدود المغربية، انظر **خريطة الجزائر الشمالية**، إصدار المؤسسة الوطنية الجزائرية للسياحة، بدون معلومات.

[1] - يذكر بوعزيز بن قانة أغا الزيبان أن الكولونيل سيروكا الذي ترأس المكتب العربي لبسكرة سنة *1849* كتب تاريخ الأسرة بصورة موضوعية من *1771* إلى *1866*، ويمكن ترجيح سبب ثناء ومدح سيروكا من طرف بوعزيز بن قانة شيخ العرب في اعتقادي، إلى أن سيروكا لم يتهجم على الأسرة الثانية مثلما فعل فيرو و لم يطعن في نسبها الشريف و لم يشكك في ولائها الكامل لسلطة الإحتلال.

احتلال الزاب وتوقرت" وكانت له اتصالات مع شيخ العرب بوعزيز بن بولخراص بن قانة، وكان له بفضل ذلك إمكانيات كبيرة في أن يستجوب شيوخ القبائل في هذه الجهة، فكان تاريخه الذي كتبه عن الأسرة أفضل ما كُتِبَ وأَقْرَبَ إلى الحقيقة"[1].

2- رأي قوفيون [2]

أكُد قوفيون النسب الشريف لأسرة بن قانة تأكيدا جازماً و قوياً، معتمداً على الرواية المذكورة من جهة، وعلى شجرة النسب التي أعاد صياغتها أبناء الأسرة وأكّدها شيوخُ قسنطينة وأثبتُوها حسبما يذكر من جهة ثانيةٍ.

والسؤال الذي يطرح في هذا الصدد هو: ما هي هذه الإثباتات والأدلة التي تحدث عنها قوفيون يا ترى؟ وهل ترقى لمستوى لا يحوم حوله الشك؟

لقد ساق قوفيون جملة من المبررات التي جعلته يُثَبِّتُ انتساب أسرة بن قانة إلى بيت النبوة الشريف، غير أن ما ذهب إليه لا يخلو من الغموض والنقص، مما يدعونا إلى إعادة قراءته والنظر فيه، ويمكننا في هذا العرض المختصر أن نشير إلى جملة من الملاحظات منها:

أولا :

عندما ذكر قوفيون شجرة النسب متسلسلة ابتداءا من بوعزيز بن قانة الأغا الحالي الذي عاصره في بداية القرن العشرين، وصولا إلى الرسول (ص)، يقول قوفيون أن هذه الأصول الشريفية أثبتها الكثير من العلماء والقضاة الذين لا يمكن أبدا أن نَشُكَّ في إيمانهم وعلمهم، وقد ذكر منهم الشيخ أحمد بن محمد الحساني، وسي محمد الموفق الحفصي، والشيخ المجاوي عبد القادر أستاذ علوم الدين بالمدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة، والشيخ ابن الوادفل، وسيدي الدراجي، والشيخ درويش، والشيخ بن باديس عبدُ الحميد[3].

---

1 - *BenGana .B* , ***op.cit*** , *p 10.*

2 - *Gouvian (M.E),* ***op.cit*** .

3 - بحثت عن هذه الشخصيات التي استدل بها قوفيون فلم أجد أثرا لما ذكره فيما يتعلق بتصديقها النسب الشريفي لعائلة بن قانة، وبعض الشخصيات التي وجدت لها ترجمة مقتضبة كانت مواقفها من

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والسؤال الذي يمكن طرحه بموضوعية هو من أين لقوفيان إثبات هذه الروايات وتأكيدها عن هذه المجموعة من الشيوخ الذين ذكرهم ؟ هل ترك هؤلاء الشيوخ و العلماء الذين ذكرهم هذه الأقوال في أثر مكتوب ؟

وإذا كان هؤلاء الشيوخ قد تركوا هذه الشهادات في أثر مكتوب فلماذا لم يشر إليه قوفيون ليقطع الشك باليقين ؟ أم أن المسألة لا تعدو أن تكون رواية شفوية سمعها المؤلف وتناقلها أناس معينون في فترة كتابته لمؤلفه، ثم اندثرت وزالت بعد ذلك في ظروف معينة ؟

إن الرؤية المنطقية الأولى التي يمكن أن نأكدها في البداية هي أن هذه الشهادات و الروايات التي ذكرها قوفيون تفتقد للمكانة العلمية، وموضوعيتها التاريخية مَحَلٌ نقد، لأن صاحبها لم يزودنا بالدليل الكافي الذي يثبت صحة كلامه.

ثانيا :

إن إشهاد بعض الشيوخ المصلحين أمثال الشيخ ابن باديس (*1889 – 1940*) على صحة نسب ابن قانة الشريفي[1]، يبقى قابلا للطعن بحكم أن الشخصيتين على طرفي نقيض في كثير من المسائل المبدئية، فابن باديس كان من أشد المعارضين لسياسة الإدماج والذوبان في الشخصية الفرنسية، على خلاف بوعزيز بن قانة أغا الزيبان وصاحب المذكرات التي أشرنا لها في المقدمة، والمدافع عن خط السَّيْر الذي انتهجته أسرته منذ ارتمائها في أحضان سلطة الإحتلال الفرنسي، فمن غير المعقول أن يُلْبِسَ ابن باديس على بن قانة هذا الشرف وقد علم منه ومن أسرته ولاءهم الكبير لفرنسا ومواقفهم "الغير وطنية".

لقد كان بوعزيز بن قانة أغا الزيبان، وفي كثير من المناسبات يسلك سياسات مضادة لتلك التي ينتهجها العلماء الجزائريون المصلحون في بداية الثلاثينيات من القرن

سلطه الاحتلال والموالين لها مبدئية وغير قابلة للمساومة كالشيخ "ابن باديس" و"الطيب بن الوادفل" و"عبد القادر المجاوي".

1 - *Gouvian (M.et E),* ***Op.cit*** *.p 4.*

الماضي(القرن 20)[1]، هؤلاء المصلحين الذين كانوا في نضال مستمر من أجل المحافظة على رموز الشخصية الجزائرية العربية الاسلامية، من خطر الإدماج والمسخ، مما يدفع على الإعتقاد أنّه من غير المعقول أن يستقر في ذهن ابن باديس، أن ينتسب أحدٌ لبيت النبوة ثم يتعاون مع الاستعمار ويواليه على حساب بني جلدته وبني وطنه، ولا يقف عند حد الولاء الذي ربما قد نجد له مبررا في أمثلة أخرى مشابهة لكنه يتمادى في التمكين للإحتلال بكل ما يحمل من وسائل التغريب والطمس للهوية من دين ولغة وتاريخ، وقد بحثت في مؤلفات ابن باديس من مقالات وآثار، خاصة في مذكرات رحلاته إلى الجنوب القسنطيني بصورة عامة وبسكرة على وجه الخصوص[2]، وفي آثاره التي جمعها الدكتور عمار طالبي[3] للوصول إلى ما يوضح العلاقة بين الرجلين دون جدوى.

أما إذا كان قوفيون يقصد بالشيخ بن باديس" محمد بن باديس" الذي نَعَتَهُ ابن جلول وأصدقاؤه من جماعة النخبة بـــجماعة "الوي وي"[4] فالمسألة مختلفة تماما ولا تطرح هذه الأبعاد التي تناولتها سابقا.

ثالثا :

عندما حاول قوفيون إثبات الأصل الشريفي لبن قانة كغيرها من الأسر الإقطاعية الكبيرة في البايلك، انطلاقا من السلالات الشريفية التي استوطنت المغرب الأوسط ابتداء من القرن السابع والثامن والتاسع الهجري[5]، والتي جعلها تنحدر جميعها من سلالة الأدارسة[6] الأشراف بالمغرب الأقصى، ذكر أنه "بعد وفاة إدريس الثاني اقتسم أبناؤه

---

1 - من الأفكار التي كان يدعو إليها بوعزيز بن قانة ضرورة الوفاء لفرنسا وتأييد بقائها في الجزائر لأن الفضل في استقرار الجزائر وتمتعها بالسلام والاطمئنان الذي لم تشهده منذ الرومان إنما يعود لفرنسا، ومن الواجب أن يعمل الجزائريون على التمكين والإمتنان لفرنسا، انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

2 - محمد الطاهر فضلاء، **قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس**، دارالبعث، قسنطينة، *1968*.

3 - عمار طالبي، **عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره**، ط*1*، دار مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، *1968*.

4 - عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، رسالةدبلوم الدراسات المعمقة، دار البعث، قسنطينة، *1981*، ص *230*.

5 - توافق القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الميلادية.

6 - الأدارسة نسبة إلى "إدريس بن عبد الله" بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي انتقل إلى المغرب بعد فشل الثورة على العباسيين التي تزعمها الحسن بن علي بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي

الإثنى عشر مُلْكَهُ، فكان من نصيب ابنه الحادي عشر واسمه "داوود" مملكة تلمسان وضواحيها"، لكن الراجح أن ابنه "محمد بن إدريس" أكبرَ أبنائه، هو من قام بتقسيم البلاد بين إخوته[1]، حتى يشاركوه السلطة ولا يتنازعوها، وكان هذا التدبير عملا برأي جدته كنزة[2]، كما أن إمارة تلمسان في هذا التقسيم، كانت من نصيب "حمدون"(حمزة) وكذلك مدينة "وليلي" و"وطيط"[3] وليس من نصيب "داوود" كما ذكر قوفيون[4].

ويضيف أن هذا الأخير "داوود"، ترك بعده ابنَهُ "يَحْيَى" الذي اشتهر بعلمه وحكمته، فأنشأ قبيلة قوية هي " أولاد سيدي يحي" ومن هذه القبيلة ينحدر الشرفاء الذين أقاموا في المغرب الأوسط، خاصة صحراء سيدي عقبة وجبل عمور في القرن السابع والثامن والتاسع الهجري، حيث قاموا بنشر الدعوة والإسلام ومبادىء القرآن هناك، وزاد في انتعاش هذا الجو الديني استقرار العائلات القوية في الجهة الشرقية منها: عائلة عبد المؤمن التي منها أمراء الركب(الحج)، وعائلة بن لفقون التي منها شيوخ

طالب غير أنه قتل في موقعة فخ سنة *169* هـــ ، ولما نشط العباسيون في طلبه فر إلى مصر ثم إلى المغرب بمساعدة مولاه "راشد" وفي وليلي بالمغرب نزل إدريس عند "إسحاق بن عبد الله" أمير قبيلة "أوربة" البربرية فآواه ونصره، ولما علم مكانته وأمره عزم على بيعته واجتمعت عليه قبائل أوربة ومغيلة وصدينة فقويت شوكته، وظهر شأنه. انظر الطمار محمد بن عمرو، **تلمسان عبر العصور**، (م.و.ك)، الجزائر، *1984*، ص *25 - 26*.

وكان لإدريس دورا كبيرا في إحياء مجد العلويين ولكن في المغرب الأقصى، بعد اضطهاد الأمويين والعباسيين لهم انظر: موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، (ش.و.ن.ت) الجزائر، *1979*. وانظر كذلك، أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية بيروت ، *1971*، ص *228*.

[1] - أبو القاسم ابن أبي الدينارالقيرواني، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط*1*، المطبعة التونسية، *1286*هـــ ، ص *59*.

[2] - لما هلك إدريس الأصغر و اقتسم بنوه ملكه، كان هذا التدبير عملا برأي وإشارة "كنزة"، زوجة إدريس الأكبر، حتى لا يتنازع الأبناء والأحفاد السلطة وتذهب جهود المؤسسين هباء، للمزيد من المعرفة، انظر عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر**، ج*4*، دار بولاق، القاهرة، *1982*،.

[3] - زامباور(المستشرق)، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي**، ترجمة زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأولى، القاهرة، *1951*، ص *103*.

[4] - انظر عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير الجزء الثاني،العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية** وأثرية. دار النهضة العربية، بيروت، *1981*، ص *480*.

الإسلام، عائلة بن باديس ومنها القضاة والكتاب، وعائلة بن قانة الإداريون والمقاتلون[1]..

وإذا سلمنا بهذا الإستنتاج الذي ذكره قوفيون فبماذا نفسر ذلك الصراع الذي نشب بين هذه الأسر على مجالات السيادة والمناصب القيادية كالإفتاء وقيادة الركب ومشيخة الإسلام في فترة الوجود العثماني خاصة ؟ كالصراع الذي تجلى بين عائلة عبد المؤمن وعائلة بن الفقون ؟ وعمل الأتراك على تغذيته وتأجيجه..[2]

وَبِمَ نفسِّرُ الصراع الذي نشب بين بن قانة وقبيلة الذواودة حول مشيخة العرب في جنوب إقليم قسنطينة؟ فلو كانت هذه الأسر حقيقة تنحدر من أسر شريفية مثلما أشار له قوفيون لنالت مكانة سامية داخل بنى المجتمع الجزائري في ذلك العهد حيث كان للفكر الديني تأثيره الكبير في مجريات الأحداث ...

رابعا :

ومايدعو أيضا للطعن في رواية قوفيون ما أورده من أخبار فيما يتعلق بحركة انتقال السلالات الشريفية في المغرب العربي، وأيده في هذا المعنى "أرنيست مارسيي"[3] *Ernest Mercier* حيث اعتبرا أن منطقة "درعا" جنوب المغرب الأقصى، هي منطلق الأسر الشريفية[4]، وكانت بمثابة مشتلة "*Pipinière*" للشرفاء الذين نقلوا

---

1 - *Gouvian (M.et E),* ***Op.cit*** *.p 4 .*

2 - ترى الأستاذة فاطمة الزهراء قشي في كتابها الجديد (قسنطينة في عهد صالح باي البايات) : أن ركب الحج لم يقع حوله أي خلاف بين الفقون ومن سبقه – من خلال كتاب منشور الهداية – فقد ذهب محمد الفكون إلى الحج في ركب يرأسه عبد المؤمن ومات الفقون في المكان المسمى المويلح في طريق العودة ... و لم ينتقد صاحب المنشور أمير ركب الحج السابق له وهو الذي لم يتردد في انتقاد بعض المفتين والقضاة و لم يسلم منه حتى جده للأم، فضلا عن أن مسار أفراد عائلة الفقون البارزين أثبت عدم محاباتهم للحكام، وإنما فرضوا على هؤلاء الإحترام والإعتراف بهم كوسطاء وهذا ما تفاخر به الفقون في منشور الهداية، وردده العنتري نقلا عن شيخ البلد سنة *1837*، لمزيد من الإطلاع انظر فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، *2005*، ص *44*.

3 - *Ernest Mercier ,* ***Histoire de l'Etablissement des Arabes dans l'Afrique Septentrionale*** *, édition Chalamel, Paris 1875.*

4 - انظر الملحق رقم *2*.

الفكر الشريفي في مختلف أرجاء المغرب الأوسط خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وكذلك أَيَّدَ هذه الوجهة "ألفرد بيل" الذي يعتبر موطن الشرفاء الأوائل الجنوب الغربي لمراكش أي منطقة "الساقية الحمراء"، أين وجد الشرفاء على حدِّ قوله، خَيْرَ ترحيب من جانب القبائل البربرية والعربية، لكن آراءً أخرى رجحت نشأةَ الشريفية وحركةً انتشارها ليس فقط عبر محور : غرب / شرق، بل إنَّ كثيراً من المؤرخين السابقين من أكَّد أن المغرب الأوسط نال حظاً وافراً من الفكر الشريفي، و لم ينفرد به الأدارسة في المغرب الأقصى فقط دون غيره من المناطق المجاورة، فالأدارسة وهم من العلويين وجدوا بيئة مناسبة في كثير من المدن والمراكز في المغرب الأوسط والأقصى تنتسب لبني سليمان[1] أو لبني محمد أو لأقربائهم من الأدارسة، وتبدأ هذه المراكز بانتهاء حد إقليم الزاب حتى المغرب الأقصى، وقد أشار إلى بعض هذه المراكز الرحالة "ابن واضح اليعقوبي" الذي زار المنطقة في القرن الثالث الهجري[2]، وذكر كثيراً من المراكز التي نزل بها الشرفاء منها :

1 – إمارة "هاز" قرب المسيلة يسيطر عليها **الحسن** بن **سليمان** بن **سليمان** بن **الحسين** بن **علي** بن أبي طالب .

2 – منطقة متيجة، بالمغرب الأوسط ذكر منها عدة قرى .

3 – حوض الشلف ومن مدنه تنس وأَغْزَرْ.

4 – مدينة "حمزة" (البويرة) بالمغرب الأوسط نسبة إلى **حمزة** بن **الحسين** بن **سليمان** أول من نزلها من العلويين .

5 – مدينة "سوق" على طريق تيهرت سيطر عليها **ابراهيم بن محمد** بن **سليمان** بن **عبد الله**.

6 – الطريق الذي يربط بين تيهرت وتلمسان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

1 – انظر شجرة الأدارسة وفروعها في الملحق رقم *3*.

2 – موسى لقبال، **المرجع السابق**، ص *210*.

7 - إمارة "تمَطْلاَس" في مضارب "مطماطة" وهي فرع من فروع "البتر" كان بها مركزٌ يتجمع فيه الحسينيون من بني **محمد** بن **سليمان** وغيرها من المدن والمراكز.[1]

خامسا :

استدل قوفيون بمجموعة من الأحاديث النبوية الغربية التي لم تثبت صحتها عن النبي (ص)، وإن ثبتت فلا يمكن بحال من الأحوال أن نستدل بها في إثبات الأصل الشريفي لبن قانة منها قوله عن النبيّ (ص) : **فيما معناه** *"أن اتفاق أصحابي وأحفادي على حل قضية هو دليل قاطع"* ؟ والحديث باللغة الفرنسية هذا نصه :

" *L'accord de mes compagnons ou de mes déscendants sur la solution d'une question est une preuve inviolable* [2] "

فهل كلما اتفق قوم حول شخصية ما أو قبيلة معينة أو مسألة يعني أن هذه الشخصية مقدسة أو شريفية أو نبيلة ؟

كما استدل قوفيون أيضا بهيأتهم (أفراد أسرة بن قانة) الأرستقراطية ونُبْلِ سلوكهم، ومصهارتهم لأعيان البلد في الإستدلال على أصلهم الشريف، وهي كلها صفات لا تمت بصلة إلى الموضوع، ويبدو أن قوفيون عندما استعمل هذا المنطق القياسي كان ربما متأثرا إلى حَدٍّ ما، بِمَا كانت تعيشه طبقة النبلاء الأوروبيين في القرون الوسطى، من حياة الترف والبذخ والطبقية، دون غيرها من فئات المجتمع المحرومة، فدفعه ذلك ربما إلى الاعتقاد أن النبالة والشرف ترتبط بالمكانة المادية للفرد، وبقدر ما يرتديه من ألبسة فاخرة وما يملك من أراضٍ وعقاراتٍ وخدمٍ وعبيدٍ ؟؟

وأخيرا يعتبر قوفيون أن زواج الأسر النبيلة والأعيان من أسرة بن قانة أمثال أحمد باي القلي وسلطان توقرت المريني عبد الله سي عمر[3] وغيرهما، يمكن اعتباره دليلا على الأصل الشريفي للأسرة وهي تبريرات لا يمكن بحال أن ترقى إلى صف الأدلة القطعية، طالما أن قصة زواج الباي أحمد القلي من إحدى بنات الحاج سليمان بن قانة تبدو

---

1 - موسى لقبال، **المرجع السابق**، ص *211*.

2 - *Gouvian. M.et E ,**Op.cit** .p 4.*

3 - ***Ibid.*** *p 5.*

عادية، ولم يكن للباي حسب ما أوردته الرواية التي ذكرها كثير من المؤرخين، علم سابق بأصل الأسرة ولا بشرفها من عدمه بل كان الباعث طبيعي وبسيط، اقتران ذكر بأنثى، حملت هذه الأخيرة لأسرتها بدايات تحول وانتقال من طي النسيان والشقاء إلى مراتب العز والسلطة والتمكين.

3- رأي ابن الشارف عبد الله علي حشلاف.

اسمه الكامل هو "ابن الشارف سيدي عبد الله بن محمد بن سيدي علي حشلاف" قاضي الجماعة بالجلفة ومن علمائها، عاش على ما يبدو في الفترة الممتدة من نهاية القرن التاسع وبداية القرن العشرين، أما كتابه فهو: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، واعتقد أن هذا الكتاب لم يستغله أحد ممن كتب في هذا الموضوع من قبل في حدود ما اطلعت عليه، وقد أقحمته في هذا البحث لأهميته القصوى، وهو كتاب جَمَعَ فيه أنساب الشرفاء جميعا، مِمَّنْ ينحدرون من الرسول (ص).

وأهم ما في هذا الكتاب صلته المباشرة بإشكالية بحثنا، والذي يمكن أن يُعَدَّ من الطرائف والنوادر التاريخية، ذلك أن الشيخ سيدي عبد الله بن محمد ابن الشارف ذكر أنه لَمَّا كاد ينتهي من كتابة مؤلفه المذكور أعلاه، حسب تعبيره، اتصل به بوعزيز بن قانة أغا الزيبان وطلب منه أن يضيف أسرته إلى شجرة أنساب الرسول (ص)، وقد لبى ابن الشارف طلب بن قانة وأضاف في آخر الكتاب ملحقا خاصا بأسرة بن قانة، وكتب فيه مايلي : " بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المنفرد بالعز والتعظيم ثم الصلاة على أشرف مخلوقاته نبيه الكريم وآله ، أما بعد فلما قرب إنجاز طبع كتابنا سلسلة الأصول إلتمس منا صاحب الفضيلة سليل بيت النبوة تاج الفضلاء الكرام ونخبة أعيان الأشراف الفخام كعبة الجود والأمل ومقصد الوفود كسلفه الأول باشا أغا وشيخ العرب بوعزيز نجل المرحوم باشا أغا السيد محمد بن محمد الصغير بن علي بالقيدوم بن علي بالقيدوم بن الحاج بن قانة بن علي بن سليمان، إلحاق نسبه الشريف لكتابنا المومى إليه (المشار إليه) كي يبقى محفوظا لخلفه وخلف خلفه إلى آخره، وأطلعني على شجرة نسبه الشريف فقرأتها وتأملتها غاية التأمل فإذا هي شجرة مباركة طيبة أصلها ثابت من سيد المرسلين وفرعها من البتول أم الحسين، حررها علماءٌ أجلاءٌ وقضاةٌ بدورٌ أهلةٌ، وضعوا عليها خطوط أيديهم وَرَوْنَقُوهَا بخواتمهم، ولطولها نقتطف منها ما يتم به المقصود، وهذا النص الذي أحدثناه وجد في النقل الرابع الواقع سنة 894هـ بخط قاضي القضاة السيد محمد بن عبد القادر البْجاوي أصلا ودارا ومنشأً القائل أن هؤلاء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأشراف المعروفون بالعلم والعمل والبرهان الكامل وأنهم ذوو الحظ الأوفر لدى أمراء بجاية وعلمائها وغيرهم من ولاة إفريقية" [1].

ثم أورد الكاتب شجرة النسب التي أطلعه عليها صاحب الطلب وكانت كما يلي: الشريف السيد بن **قانة** بن **علي** بن **سليمان** بن **عبد العزيز** بن **محمد** بن **عمر** بن **خالد** بن يونس بن ابراهيم بن **منصور** المكنى **قانة** بن **محمد** بن **عبد الله** بن **عبد المالك** بن **العابد** بن **الحبيب** بن **أحمد** بن **عيسى** بن **يوسف** بن **عدنان** بن **يوسف** بن **محمد** بن **داود** بن **عبد الغفار** بن **عيسى** بن **عبد الله** بن **ابراهيم** بن **عبد الله** بن **علي** بن **عيسى** بن **عيسى** بن **داود** بن **مهدي** بن **مسعود** بن **موسى** بن **عزوز** بن **عبد العزيز** بن **جبار** بن **عمران** بن **سالم** بن **عبد الله** بن **أحمد** بن **إدريس الأصغر** بن **إدريس الأكبر** بن **عبد الله الكامل** بن **الحسن** المثنى بن **الحسن** السبط بن **علي** بن **أبي طالب** زوج **فاطمة** بنت **رسول** الله صلى الله عليه وسلم".

ورغم أن هذه الشجرة سَلَّمَهَا أغا الزيبان بن قانة للكاتب بصورة مباشرة على ما يبدو، إلا أنها تختلف عن الشجرة التي ذكرها بن قانة في كتابه السابق ذكره وذلك في موضعين هما :

1 - الموضع الأول.

في رواية ابن الشارف

أحمد بن **عيسى** بن **يوسف** بن **عدنان** بن **يوسف** .

في رواية بوعزيز بن قانة

أحمد بن **عيسى** بن **يوسف** بن **عدنان** بن **خالد** بن **يوسف** الفرق إضافة اسم **خالد**.

[1] - ابن الشارف، **المرجع السابق**، ص ص 149 - 150.

2- الموضع الثاني .

في رواية ابن الشارف

عبد الله بن علي بن **عيسى** بن **عيسى** بن **داود** بن **مهدي** بن **مسعود** .

في رواية بوعزيز بن قانة

عبد الله بن **علي** بن **عيسى** بن **يحيى** بن **داود** بن **مهدي** بن **مسعود** .وفيها تعويض اسم عيسى باسم يحيى.

وهذا ما يدفعنا مجددا للتساؤل حول صحة شجرة النسب والظروف التي أحاطت بهذا الإلتماس الذي تقدم به بوعزيز بن قانة لابن الشارف وما قصته وخلفياته ؟

إننا بمواصلتنا قراءة الصفحات التي خصصها الكاتب لتدوين الإلتماس المشار إليه، نجد جملة من الملاحظات التي سنقف عندها في حينها، وفي هذا الشأن يقول ابن الشارف مواصلا حديثه عن النسب الشريف لبن قانة " أن سبب تسميتهم بالكنوات أنهم كانوا وقت إسلام البرابر[1] يدعون بالكنوات حيث كانوا يجولون على منازلهم في كل النواحي ويترقبونهم خوف ارتدادهم لكونهم حديثي عهد بالإسلام، ومتى ما يسأل عنهم يجابون عنهم بهذا اللفظ بأنهم كانوا وكانوا إلخ...ولأجل ذلك اشتهروا بالكنوات ثم تغيرت الكاف إلى قاف، حسبما يشهد لذلك ما بذخائرهم من الكتب والرسائل القديمة المنصوص عليها تارة (ق) ، وتارة أخرى (ك) ". مما يدفع إلى الاعتقاد أن ابن الشارف هو أيضا اطلع على أرشيف الأسرة، ورغم قرب الفترة الزمنية بين تلك التي كتب فيها بن قانة أغا الزيبان كتابه وهي سنة *1930* وتلك التي كتب فيها ابن الشارف هذا الكتاب الذي بأيدينا *1929*، إلا أنَّ كِلاَ المُؤَلِّفَيْنِ لم يُشِرْ أحدهما إلى كتاب الآخر ولو باقتضاب واختصار ؟ فما هو السبب يا ترى ؟

[1] - يتسم كلام الكاتب في هذا الموضع بالعموم عندما يتحدث عن وقت إسلام البرابر، ومن المعروف أن البرابر الذين يسكنون المغرب العربي دخل جلهم في الإسلام، و لم يتخلف عن ذلك إلا النزر القليل منذ القرن الأول الذي تلى فتح البلاد، وساهموا أنفسهم في نشره في الجهات الغربية حتى بلغوا الأندلس، وكثير منهم اعتنق التيارات الإسلامية التي ظهرت منذ ذلك التاريخ كمذهب الخوارج والشيعة مما يدل على رسوخ قدمهم وثباتهم على هذا الدين.

واعتبر ابن الشارف أن شرف بعض العائلات يَثْبُتُ عنده " بالحيازة لنسبهم وشهرتهم لدى الخاصة والعامة حيث أنهم مصدقون في أنسابهم حسبما لهم من الحيازة كما نص على ذلك مالك رضي الله عنه بقوله : (الناس مصدقون في أنسابهم على ما حازوه وعرفوا به كحيازة الأملاك[1]) " ، ثم يضيف : (أن الشرف منه مظنون ومنه مشهور ومنه متواتر.. إلى أن قال : فالمتواتر على سبيل العموم الذي لا يشك فيه في سائر البقاع هو عمود شرف نسبهم في الجملة من غير تعيين لفروعه والمتواتر على سبيل الخصوص هو غالب فروعه الشهيرة المتفرقة في الأقطار، فكل فرع من تلك الفروع الشهيرة تواتر شرفه عند أهل قطره)[2].

ومن خلال دراستنا لهذا المؤلف وبالاضافة إلى ما أشير حوله في ما سبق، يمكننا أن نسجِّل جملة من الملاحظات الأخرى الهامة منها :

أولا: أنَّ هذا المُؤَلِّفَ لم يكن يعلم أصلا بشرف أسرة بن قانة، الذي طلب منه زعيمها بوعزيز أغا الزيبان، والتمس منه أن يضيف أسرته، إلى قائمة الشرفاء بالمنطقة، فمعنى هذا أن شرف الأسرة لم يكن متواترا عند أهل قطره كما يزعم ابن الشارف.

ثانيا:لو كان شرف الأسرة ونسبها صحيحٌ وثابتٌ ومتواترٌ ومشهورٌ لما التمس أغا الزيبان من صاحب الكتاب أن يضيف أسرته إلى قائمة السلالات الشريفة، فإلحاحه على الكاتب أن يسدي له هذه الصنيعة ثم تزويده بدلائل تثبت صدق دعواه بالنسبة إليه، يدعو إلى الشكِّ والارتياب في خلفيات هذه الحادثة.

ثالثا : ذكر المُؤَلِّفُ في بداية عرضه للكتاب أنه اعتمد على مجموعة من الكتب التي تُعَدُّ مرجعا لكل علماء الأنساب وذكر من بينها كتاب العشماوي الذي اعتمد عليه بن بن قانة أغا الزيبان نفسه في كتابه، ثم يورد في الملحق السابق ذكره : " وقد ثبت هذا النسب في كتب التاريخ المعتبر التي عليها الإعتماد فمن ذلك ما قرره الشيخ العشماوي في كتابه "، وهو ما يدفعنا أن نُشَكِّكَ في مدى اطلاع المُؤَلِّف على هذا الكتاب، ولو فعل لما احتاج أن يلتمس منه بن قانة إضافة أسرته إلى قائمة الأسر

---

1 – يجب التفريق هنا بين حيازة الأنساب، و حيازة الشرف الذي قد يحصل لأي إنسان بفضل أعمال أو مآثر طيبة قام بها، وبين الإنتساب لبيت النبوة الذي يدخل صاحبه في شرف أعظم وأخص، وشتان بين المعنيين.

2 – ابن الشارف، **المرجع السابق**، ص *126*.

الشريفية، ما دامت الأسرة مذكورة في كتاب العشماوي كغيرها من الأسر الشريفية الأخرى.

ومهما حاولنا الإحاطة بملابسات هذا النسب يبقى الموضوع غامضا وبحاجة إلى مزيد من البحث في المخطوطات وأرشيف الأسرة الذي لم يطلع عليه كائن بعد .

هذا وقد ساق ابن الشارف عدة شهادات قديمة لعلماء وقضاة لإثبات صحة النسب المذكور، نقلا عن المخطوط الذي قدَّمه أغا الزيبان، وبعض هذه ذكرها قوفيون في كتابه أعيان المغاربة الذي تحدثنا عنه سابقا، ومنها :

الشهادة الأولى : " الحمد لله وحده اعلم فإن ما بأعلاه من ذكر أسلوب النسب الشريف الصحيح لا ريب فيه شهد بصحته الفضلاء الأقدمون والولاة الوطنيون الأعدلون ببجاية ونواحيها وكذلك اعترف علماؤها المشهورون بالعلم، وبسببه نقول نحن أولاد علي البهلولي في نواحي بجاية والسلام " المطلع عليه محمد البهلولي من نواحي بجاية.

الشهادة الثانية : " الحمد لله وحده اعلم أن ما بأعلاه من سلسلة النسب الشريف صحيح حيث وقف عليه وحكم بصحته الفقهاء المشهورون بالعلم والعمل كأولاد السيد علي البهلولي وغيرهم وبه يقول عبد الله الواضع خنفسته[1] الملقب بالمسعودي الشريف بلقاسم بن أحمد الشريف المغراوي بن سيد الخير بن يعقوب قاضي بجاية".

الشهادة الثالثة : " الحمد لله وحده اعلم أن ما رقم أعلاه من ذكر النسب الشريف صحيح لا شك فيه ويحرم القدح فيه حيث شهد بصحته الفقهاء الموثوق بهم وبعلمهم كأولاد البهلولي وغيرهم من الفضلاء، وأن الشرف في أسلوب ذلك النسب المسند لمن هو له حق وعليه يوافق محمد الشريف بن الموفق قاضي بجاية".

الشهادة الرابعة : " الحمد لله وحده اعلم أن الشرف لما ثبت إسناده لمن ذكر أعلاه بشهادة من يوثق به من علماء بجاية وغيرهم فعلى الواقف النظر فيه بعين الإتباع والقبول بعدالة من أثبت لهم الشرف وهذا كافي تحقيق في الشرف لقوله صلى الله عليه

---

[1] – تقال هذه العبارة للتواضع .

وسلم : أنا جد كل تقي ولوكان عبدا حبشيا ؟ فما بالك بهؤلاء الأشراف قال به أحمد بن محمد قاضي محروسة تلمسان تاب الله عليه".

الشهادة الخامسة : " الحمد لله وحده وليعلم أن ما زُبِرَ[1] أعلاه صحيح الإسناد حسن الأسلوب، نَسَبُ الشريف لا يجوز الطعن فيه ولا فيمن أثبت لهم الشرف من أجلة العلماء المشهورين، لتحقيق عدالتهم مع كون ذلك المسند الشريف المذكور في مناقب الأشراف الصحيح ببجاية حقيق الثبوت بلا ريب، شَهِدَ بذلك أفقر العبيد إلى مولاه عمر بن ابراهيم الشريف البجاوي قاضي بجاية".

الشهادة السادسة : " الحمد لله وحده وَلَمَّا ثَبَتَ شرفُ من ذُكِرَ بشهادة سادات علماء وقضاة بجاية، فالواجب على الواقف عليه أن يعمل ويقتدي بما ذُكِرَ فيه ولا ينبغي لأحد الإهام في النسب المرسوم فيه، بل يجب زَجْرُ من أطلق لسانه فيه على من له القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الولاة والأمراء والأشراف والعلماء وغيرهم، وبذلك يقول عبد الله بن أحمد مفتي بجاية سنة *1033*هـ".

الشهادة السابعة : " الحمد لله وحده إعلم أن ما سُطِرَ في النسب المذكور أعلاه قال بصحته جميع الأشراف وأمراء وعلماء بجاية وغيرهم، مِمَّنْ لهم الدراية بمناقب الأشراف، وبذلك يقول اقتداء بهم عبد الله بن عبد الرحمن بن سعـــيد الغبريني قاضي بجاية".

كما أورد في نفس النسق وبعبارات مماثلة شهادات لبعض أعيان الجهة منهم :

- مفتي المالكية بقسنطينة السيد **الطيب بن وادفل الشريف**[2].

- الشيخ **عبد القادر بن عبد الله المجاوي**[1] مدرس العلوم الدينية والشرعية بالمدرسة الثعالبية بالجزائر والخطيب بها ، وهو الشيخ الذي أشار إليه قوفيون في كتابه أعيان المغاربة.

---

1 - بمعنى كُتِبَ ودُوِّن .

2 - لبث في الإفتاء نحو ثلاثين سنة توفي سنة *1907* انظر: محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر بين الماضي والحاضر **"تاريخ مدينة قسنطينة"**، مطبعة البعث، قسنطينة *1980*، ص *315*.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الشيخ السيد **محمد بن الحاج القاسمي الحسني** الخلوتي الهاملي[2].
- قاضي توقرت السيد **الحاج الطاهر**.
- قاضي الحنفية بالجزائر السيد **حَمُّ بن الدراجي**.
- قاضي المالكية بالجزائر الشيخ السيد **عمر بن حمدان**.
- قاضي ومفتي قسنطينة السيد **بوشريط بن سيد الحاج** بن عامر.
- قاضي سطارنو[3] بقسنطينة الشيخ **مصطفى بن الحاج الدرويش**.
- قاضي الحضنة السيد **محمد بن الحاج الصالح**.
- قاضي المليلي السيد **عبد الباقي بن المعتوقي**.
- قاضي طولقة السيد **الهاشمي بن غضاب**.
- قاضي سيدي عقبة السيد **أحمد بن داود**.
- قاضي شناورة السيد **إبراهيم بن الحاج بن محمد عزيز**[4].

وعندما ندقق في الشهادات السبع الأولى يمكننا أن نستنتج جملة من الملاحظات نوردها فيما يلي :

---

1 - غير أن بن شغيب عندما يتحدث عن شخصية "المجاوي" يصفه بالعداوة الشديدة للإستعمار ولأذنابه وأنه كان رافضا لسياسة المهادنة والرضا بالمناصب التي يتصدق عليه بها ويقترحها له في عديد من المرات فكيف يمكن أن يكون له شهادة على صحة نسب بن قانة الشريف من هذا المنطلق، للمزيد انظر: **محمد المهدي بن شغيب، المرجع السابق**، ص ص *302 - 303*.

2 - ينتمي الشيخ القاسمي إلى الطرقية الذين فقدوا نفوذهم وقوتهم وتماسكهم الإجتماعي مما جعلهم يتقهقرون أمام العلماء المصلحين، لكن سلطة الإحتلال شجعتهم على جمع صفوفهم وتأسيس جمعية "رؤساء الطرق الدينية" برئاسة الشيخ قاسمي الرئيس الديني للطريقة الرحمانية بزاوية الهامل في بوسعادة، وانضم إلى الجمعية أيضا الشيخ "سي أحمد التيجاني" من زاوية توقرت، والشيخ "باشتارزي" و"ابن الحملاوي" وكان هدفها محاربة جمعية العلماء المسلمين، للمزيد انظر، عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار البعث قسنطينة، *1981*، ص *193*.

3 - "ستارنو" أو *Saint Arnaud* هو الإسم الذي أطلق على مدينة العلمة خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي، تبعد عن قسنطينة بنحو *100* كلم غربا.

4 - الشخصيات الأخرى التي ذكرها المؤلف بحثت عنها لمعرفة منزلتها العلمية والاجتماعية في بعض المؤلفات الغنية بالتراجم، **كتاريخ الجزائر الثقافي** لأبي القاسم سعد الله، **وعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، لأبي العباس أحمد الغبريني، دون الوصول إلى نتيجة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- أن الشهادات السبع اعتمدت على ما ذكره علماء بجاية وقضاتها وخاصة أولاد علي البهلولي .

2- تحمل بعض الشهادات عبارات زجرية لمن يقدح في هذا النسب أو في من أثبته من العلماء مثل :

"ويحرم القدح فيه"، و"فعلى الواقف النظر فيه بعين الإتباع والقبول بعدالة من أثبت لهم الشرف"، و"لا يجوز الطعن فيه ولا فيمن أثبت لهم الشرف من أجلة العلماء المشهورين فالواجب على الواقف عليه أن يعمل ويقتدي بما ذكر فيه"، و"ولا ينبغي لأحد الإتهام في النسب المرسوم فيه بل يجب زجر من أطلق لسانه فيه على من له القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الولاة والأمراء والأشراف والعلماء وغيرهم"[1].

مما يجعلنا نعتقد أنّ هناك حملةً قويةً قائمة ضد أسرة بن قانة، قامت بها أطراف معينة في هذه الفترة أو قبلها تقدح في نسبها وتدعو إلى إبطاله، وربما تهجمت على العلماء الذين أيّدُوا هذا الطرح ووافقوا بن قانة على الإقرار بصحة نسبهم الشريف لسبب أو لآخر، وإن لم يكن الأمر كذلك فما الذي يدعو العلماء والقضاة إلى استعمال مثل هذه العبارات ؟ ولماذا يحرص بن قانة على تسجيل شهادات كل هؤلاء العلماء والقضاة إن لم تكن المعركة القائمة ضارية ومتأججة بين بن قانة وخصومه ؟

3- أن الشهادات السبع الأولى كان منها ست شهادات من قضاة بجاية والشهادة الرابعة لقاض من تلمسان وهم :

محمد البهلولي من نواحي بجاية .

المسعودي الشريف بلقاسم بن أحمد الشريف **المغراوي** بن سيد الخير بن يعقوب قاضي **بجاية** .

محمد الشريف بن **الموفق** قاضي بجاية .

أحمد بن **محمد قاضي** محروسة **تلمسان** (**وقد نوه هو الآخر في شهادته** بمن يوثق بهم من علماء **بجاية**).

---

[1] - ابن الشارف، **المرجع السابق**، ص127.

عمر بن ابراهيم الشريف **البجاوي** قاضي **بجاية** .

عبد الله بن **أحمد** مفتي **بجاية** سنة *1033* هـــ .

عبد الرحمن بن سعيد **الغبريني** قاضي **بجاية** .

فما هو الدافع ياترى الذي جعل بن قانة يحصل على شهادة النسب الشريف لأسرته من بجاية هل هو تأكيد على صلة الأسرة بهذه المنطقة والمتمثلة في إمارة كوكو التي يقال أن المرأة قانة تنتمي إليها ؟ فجعلت سكان بجاية وعلماءها يتعاطفون معها أم أن هناك عوامل أخرى خفية ؟

4- الملاحظ أن أغلب هذه الشهادات لم يقم أصحابها بالتحقيق في صحة النسب الشريف لبن قانة من عدمه، ولم يباشروا البحث عن هذا النسب وفق الطرق العلمية الصحيحة التي ضبطها علماء الأنساب، بل اكتفوا بتزكية شهادات من سبقهم والوقوف عندها ؟؟

ويؤكد ابن الشارف مرَّةً أخرى بعد هذه الشهادات " أن هذا النسب الشريف صحيحٌ صريحٌ لا يرتاب عاقل في صحته لكثرة شهوده وبلوغهم الإستفاضة مع ثبوت عدالتهم، وكيف لا وهم قضاة الإسلام ومفاتي الأنام وعلماء الملة المحمدية التي يكشف بهم غياهب الجهل"[1]، مما يدفع إلى الاعتقاد بالرغبة الملحة التي عند الكاتب في إقناع قرائه بكل وسائل الترغيب والترهيب المتاحة، بعيدا عن التحقيق العلمي النزيه والموضوعي.

وفي معرض حديثه عن الشيخ العشماوي وكتابه حول الأنساب، وهو نفس الكتاب الذي اعتمد عليه بوعزيز بن قانة وقوفيون، يقول ابن الشارف : "أن الكناوة وونوغة هم أولاد **مهدي** بن **مسعود** بن **موسى** بن **عزوز** بن **عبد العزيز** بن **جبار** بن **عمران** بن **سالم** بن **عبد الله** بن **أحمد** بن **إدرس** الأصغر بن **إدريس** الأكبر بن **عبد الله** الكامل بن **الحسن** المثنى بن **الحسن** السبط بن **علي** بن **أبي طالب**، والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل هناك من علاقة بين "القناوة" أو "الكناوة" التي اعتمد عليه ابن الشارف، وبين "قانة" ؟ إذْ أن العرف السائد في المجتمع، أنَّ الفردَ إذا نودي بالجهة التي يسكن

---

1 - ابن الشارف، **المرجع السابق**، ص *152*.

فيها أو ينحدر منها، تتضح العبارة لدى السامع بوضوح، فالفرد من القناوة أو الكناوة يصبح : قناوي أو كناوي وليس قانة ؟؟.

وقد أكد الكاتب أن القناوة هؤلاء مرتبطون بشجرة النسب الشريفي من خلال جملة من المصادر الهامة التي يزعم الاطلاع عليها منها :

أولا: كتاب العشماوي ، **التحقيق في النسب الوثيق،** (بحثت عنه دون أن أجده).

ثانيا: **أئمة الأبصار في ذكر الشرفاء الأخيار**[1] وقد نبه صاحبه على أصل هذه العائلة في عدة مواضع منها ، أنه لما عدد أصول الأشراف قال : والقناوة من خيار الأشراف ومنهم السيد المسعود الملقب بـــ" اقناوة " فهو جد أشراف القناوة وونوغة، ويبقى هذا كله لا يمثل دليلا كافيا يعتمد عليه في ربط "القناوة" بين "قانة"، وإذا سلمنا بارتباط القناوة أو الكناوة ببن قانة فما الدليل على ارتباط القناوة أوالكناوة بالأصل الشريفي ؟

ثالثا : كتاب "**الدرر البهية**" للسيوطي حيث قال عند ذكره لأصول الأشراف ومنهم بنو كانون أو قنون[2] بالقاف المعقودة فمنهم فرقة في الصحراء، يعتقد ابن الشارف أنها ربما قد تمثل منحدر أسرة بن قانة ؟

ويذكر الكاتب في موضع آخر عند حديثه عن فروع الشجرة الإدريسية أن "**أحمد** بن **إدريس**" كان خليفة أخيه ببلاد "هكسورة" و"فازاز"بالمغرب الأقصى، وما إلى ذلك من القبائل ثم بدا له نبذ طاعة أخيه مثلما فعل إخوته، ولازم على ذلك إلى أن توفي وَخَلَّفَ أولادَه هناك، وفَرَّ بعضهم لبلد زواوة وغيرها، وانتقل منهم السيد **أحمد** بن **كانون** وقيل كنون إلى الصحراء وأما أبناءه فقد انتقلوا لبني مسارة[3]، وجلهم ببلد مغراوة يعرفون بالكنونيين بالقاف المعقودة وانتقل بعضهم لتطاون (تطوان) ومنهم لـــ" مدشر الكرف" ومنهم بفاس ويعرفون بالزواقيين، والجد الجامع لشعبهم هو السيد

---

1 - لم يذكر مؤلف هذا الكتاب.

2 - ابن الشارف، **المرجع السابق**، ص 75.

3 - قد تكون بالمغرب الأوسط إذا تتبعنا السياقي الكلامي والجغرافي.

كانون بن **عمران** بن **عبد الرحمن** بن **سليمان** بن **الحسن** بن **عمران** بن **محمد** بن **محمد** بن **أحمد** بن **كنون** بن **أحمد** بن **إدريس** باني فاس[1] .

ويبدو من خلال كتاب ابن الشارف، أنه أورد شجرتي نسب حاول من خلالهما أن ينسب بن قانة إلى الأصل الشريف والملاحظ أنهما غير متطابقتين، ولا تتفقان إلا في بعض الأسماء :

الشجرة الأولى : التي ذكرناها في السابق وتتمثل في ما يلي :

الحاج بن **قانة** بن **علي** بن **سليمان** بن **عبد العزيز** بن **محمد** بن **عمر** بن **خالد** بن **يونس** بن **ابراهيم** بن **منصور** المكني قانة بن **محمد** بن **عبد الله** بن **عبد المالك** بن **العابد** بن **الحبيب** بن **احمد** بن **عيسى** بن **يوسف** بن **عدنان** بن **يوسف** بن **محمد** بن **داود** بن **عبد الغفار** بن **عيسى** بن **عبد** الله بن ابراهيم بن **عبد الله** بن **علي** بن **عيسى** بن **عيسى** بن **داود** بن **مهدي** بن **مسعود** بن **موسى** بن **عزوز** بن **عبد العزيز** بن **جبار** بن **عمران** بن **سالم** بن **عبد الله** بن **أحمد** بن **إدريس** الأصغر بن **إدريس** الأكبر بن **عبد الله** الكامل بن **الحسن** المثنى بن **الحسن** السبط بن **علي** بن **أبي طالب** زوج فاطمة بنت رسول صلى الله عليه وسلم .

الشجرة الثانية : تنطلق من :

السيد **كانون** بن **عمران** بن **عبد الرحمن** بن **سليمان** بن **الحسن** بن **عمران** بن **محمد** بن **محمد** بن **أحمد** بن **كنون** بن **أحمد** بن **إدريس** باني فاس .

والفرق بين الشجرتين واضح وصريح ويتمثل في ما يلي :

الفرق الأول أن الشجرة الأولى تمر **بإدريس الأصغر** ثم **إدريس الأكبر** باني مدينة فاس أما الشجرة الثانية تمر مباشرة إلى **إدريس الأكبر** باني مدينة فاس.

الفرق الثاني لايوجد انسجام واضح في الأسماء المذكورة بين الشجرتين.

---

1 ابن الشارف، المرجع السابق، ص 75 .

مما يجعلنا نشكك في الشهادة التي أوردها ابن الشارف بصورة عامة بما تحمله من تناقضات وشكوك، والذي يختتم كتابه بقوله: " *فإذا تأملت ما قررناه من كتب النسب مع الشهائد المتقدمة الموثوق بها يظهر جليا ثبوت نسب العائلة القانية الطيبة الذكر العالية القدر المشهورة في العالم عند العرب والعجم، فلا يختلف في فضلها وعلو قدرها اثنان، وبذكر فضائلها ومحاسنها سارت الركبان، وكان الجد الجامع لشعبهم الذي طار صيته في الآفاق وعمَّت سيادته على الإطلاق ونفذت كلمته بصحراء إفريقية وأعطي لقب شيخ العرب هو الفاضل الأجل القدوة الأكمل السيد الحاج بن قانة بن علي بن سليمان نسبه الشريف، ونعني بالشجرة هم الفروع الموجودون الآن مع ذكر أصولهم، أما الذين ساروا لعفو الله ولم يعقب فلا نتعرض لذكرهم في الشجرة والله المستعان*"[1]

ولأسلوب المبالغة والإطراء والمدح مايدفعنا في الأخير للارتياب في الرواية والعبارات الفخمة التي استعملها الكاتب عند وصف أسرة بن قانة والتي توحي بوجود دوافع ما وراء ذلك، من مثل قوله - بعد حديثه عن فروع الأسرة التي كانت معاصرة له آنذاك ومنها شيخ العرب وأغا الزيبان بوعزيزبن قانة : "*أمَّا قُطْبُ رَحَى مَجْدِهِمْ وذرْوَةُ فَضْلِهِمْ وتَاجُ مِرْفَقِهِمْ وغُرَّةُ عِزِّهِمْ هو الفاضل الجليل والقدوة الأصيل تُشَدُّ لَه الرِّحَالُ وتخضع له رقاب الرجال حميد المكارم والخصال طيب الأخلاق كريم الشِّيَم والأعراق ذو السّماحة والوجاهة السرّي باشا أغا وشيخ العرب سيدي بوعزيز بن باشاأغا السيد محمد، فتسابقت الأدباء لمدحه ولهجت العرب والعجم بذكره* "، وساق ابن الشارف مجموعة من القصائد التي قالها فيه بعض الشعراء بمناسبة تولّيه مشيخة العرب نقتطف منها الأبيات التالية:

يا عظيم القدر يا عالي النسب	يا كريم الأصل يا سامي الحسب
يا أبا الناصر يا بدر العـــــلا	من له في الخلق أخـــلاق تحـــب
لك لو لم يك من مكرمــــــة	غير سد[2] سد أبواب الـــــشغب
يا بني قانة يا أهـــل الـــحمى	يا رجال المجـــد يا أهل الحســـب
يقدم المجد إليكم خاضـــــعا	راضيا مستجديا لا مغتـــــصب[3]

---

[1] - انظر الملحق رقم 4.

[2] - يقصد بعبارة السد الأولى، سد "فم الخزرة" الذي بني شرق مدينة بسكرة على وادي "الأبيض" في بداية القرن العشرين، وكان لبوعزيز بن قانة دورا في إقناع الفرنسيين ببنائه.

[3] - ابن الشارف، **المرجع السابق**، ص 127.

4- رأي فيـرو.

كتب فيرو عن أسرة بن قانة في المجلة الإفريقية لسنة *1883* وقدم روايةً حاول من خلالها رسم سيناريو آخر لتاريخ الأسرة، غير الذي أراده أفرادها سواء من حيث النسب الذي أثار جدلا كبيرا أو من حيث الولاء لسلطة الإحتلال.

وانتقد فيرو في مقدمة مقاله "سيروكا" إنتقادا لاذعا واصفا ما كتبه عن تاريخ الأسرة بقلة الموضوعية والقيمة التاريخية والعلمية، كيف لا وقد كتب مقاله في بسكرة مَعْقِلَ أسرة بن قانة وبين أفرادها وفي كنفهم، وكانوا يحيطون به من كل جانب وكانوا لايزالون آنذاك أقوياء بإمكانهم أن يوجهوا الرأي العام بما يملكون من قوه النفوذ والمال[1].

وانتقد "سيروكا" في روايته لتاريخ بن قانة ونَسَبِهِمْ وقال أنها رواية تفتقر للدقة وأنها خلطت بين "سليمان" الجد الأول للأسرة و"الحاج سليمان بن قانة" صهر الباي أحمد القلي[2] وبين الرجلين ثمانية أحفاد وهم :

بوعزيز بن قانة الأغا الحالي بن **محمد بوعزيز** بن **محمد** الصغير بن **علي** بن **القيدوم بلقيدوم** بن **علي** بن **القيدوم القيدوم** بن **محمد** المعروف **بالحاج** بن **قانة** بن **علي** بن ***سليمان***= صهر الباي أحمد القلي، بن **عبد الباقي** بن **محمد** الشريف بن **عمر**

---

[1] - *Charles-Louis Féraud : « Notes historiques sur la province de Constantine les beni djellab sultants de tougourt » , in R. A . N° 26 , 1882 p 377.*

[2] – انتقدت جميلة معاشي في رسالتها : **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري**، رواية فيرو لقصر الفترة التي دارت فيها أحداث روايته حيث لا تزيد عن خمسين سنة وهي قصيرة وزاخمة بالأحداث، ورجحت أن يكون الأسرة أصلها منذ منتصف القرن *18* لأنه لا يوجد ذكر للأسرة قبل هذه الفترة، غير أن مزيدا من الإطلاع على أرشيف الأسرة الخاص قد يضع حدا لكثير من التساؤلات. وتعتقد الأستاذة معاشي أن الأسرة كانت موجودة على مسرح الأحداث قبل وصول أحمد أي القلي إلى السلطة، وإنما قام هو بزيادة نفوذها وقوتها في الصحراء، و أن دعم البايات للأسرة عسكريا الذي ورد على ألسنة كثير من المؤرخين الغربيين يتناقض مع وصف الورتلاني الذي وصف شيوخ بن قانة بالقوة والهيبة والمكانة لما مر بمنطقة الزاب. لمزيد من الاطلاع انظر، جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري**، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، *1991* .(رسالة غير منشورة).

بن **عبد الله** بن **عبد الحق** بن **يوسف** بن **عمر** بن **علي** بن ***سليمان*** = الجد الأول للأسرة، بن **عبد العزيز** إلخ ..

وبذلك جعلت الرواية شخصية **محمد** بن **قانة** تعيش لعدة قرون من دخول الأتراك إلى قسنطينة في سنة ***1534*** إلى عهد أحمد باي القلي ***1756***[1].

والرواية " الأسطورية " -التي فَنَّدَهَا فيرو- تقول أن جد الأسرة الأول المدعو : " محمود بن قانة " كان من كبار علماء الأندلس فرّ إلى المغرب الأوسط سنة ***1452*** وأنه كان من أشراف الأندلس، لكنه في رحلة الطريق من الأندلس إلى المغرب يكون قد أضاع ما يثبت نسبه الشريف.

ويصف فيرو أن ما قام به من إعادة لكتابة تاريخ الأسرة، إنما تمّ بعد ما توفرت جميع الشروط الموضوعية لذلك، وأن هذه المعلومات التي استعرضها استقاها من أحد أفراد الأسرة آنذاك وهو سي بوالخراص بن قانة الذي سلمه مخطوطا عائليا[2]، لكن فيرو لم يكتف بهذا المخطوط بل راح ينقب في الروايات الشفوية دون أن يقدم صورة لهذا المخطوط أو يعرض للقارئ نقدا واضحا له.

وَيذكرُ هذا المخطوطُ وفق فيرو ونقلا عن الأقدمين، أنّ الجد الأكبر للأسرة كان يدعى محمود بن قانة وكان عالما كبيرا ببلاد الأندلس، ولما وقعت الأندلس بيد الإسبان وأخذوا يطاردون العرب والمسلمين منه، فرَّ محمودٌ مع النازحين إلى بلاد المغرب، ولما سُئِلَ عن أصله كان يجيب بأنه شريف ينتمي إلى بيت الرسول (ص) لكنه فقد شجرة نسبه وكل الوثائق الدالة على ذلك[3].

1- *Charles-Louis Féraud*, « *les beni djellab sultants de tougourt* » ***Op.cit.*** *p 380.*

2 - ***Ibid***, *p 377.*

3 - ***Ibid***, *p 380.*

وكانت أول محطة نزل بها محمود بن قانة هي مدينة بجاية ثم واصل مسيرته بعد ذلك حتى بلغ مضارب قبيلة زواوة في الغرب القسنطيني، لكنه عندما بلغ مدينة رجاس[1] استقر بها نهائيا بعدما تزوج من أحدى نساء القرية[2].

ولم يمر سوى وقت قصير حتى صار محمود بن قانة ثريا بفضل ممارسته مهنة الفلاحة وتربية المواشي، فساهم في مساعدة الفقراء والمساكين الذين استأنسوا به وعظمت مكانته في قلوبهم، وفي نفس هذه الطريق سار ابنه سليمان الذي صار نفوذه كبيرا في حوض وادي الرمال من شرق سطيف حتى قسنطينة، وكان قد اختار أسلوب التنقل بين التل والصحراء في فصلي الصيف والشتاء بأتباعه. وفي إحدى السنوات قدمت مجموعة بشرية من الغرب تدعى أهل بن علي نزلوا بالقرب منه وتآلفوا فيما بينهم وتحالفوا وتعاونوا وأثمر كل ذلك بزواج ابن سليمان واسمه قانة من ابنة صخري زعيم قبيلة أهل بن علي، لكن الوُدَّ لم يستمر بينهما طويلا، فقد تعكرت الأجواء واشتعلت نار الحرب بينهما وتلتها نار الإنتقام لسنوات أخرى[3].

وقد خلف سليمانُ ولداً سَمَّاهُ "قانة"، سار هو الآخر على نهج أبيه واستمر في سياسة أسرته وعشيرته بنفس الوتيرة وكذلك فعل ابنه من بعده والذي يدعى : محمد بن قانة .

وبعدما كبر محمد بن قانة قرر الذهاب إلى الحج، وقال بأنه سوف يتكفل بنفقات كل من يرغب في الذهاب معه لأداء هذه الشعيرة وكذلك نفقات العودة[4]، فذهب معه الكثير من الناس.

---

1 - تقع مدينة رجاس بولاية ميلة، وتعرف اليوم بوادي النجا نسبة للواد الذي يمر قربها وهو أحد روافد الوادي الكبير "وادي الرمال" الذي يمر بمدينة قسنطينة ويصب في البحر الأبيض المتوسط شرق مدينة جيجل، انظر الملحق رقم 5.

2- *Charles-Louis Féraud* : .« *les beni djellab...* » ***Op.cit*** . *p 378.*

3 - ***ibid***, *p 379.*

4 - يبدو هذا الكلام مبالغ فيه ربما يهدف صاحبه إضفاء هالة من الزعامة الدينية والمكانة الروحية على محمد بن قانة.

جمعية الإصلاح والإرشاد العالم للعلوم الإسلامية

ولما عاد الركب من الحج أعلن كثير ممن رافق بن قانة في هذه الرحلة، تعلقهم الشديد وحبهم وولاءهم المطلق لمحمد بن قانة، وطردوا من مضاربهم أفراد عائلة بن صخري ولم يقبلوا بالطاعة والولاء إلا له أي محمد بن قانة[1].

وتواصل الرواية سرد الوقائع المختلفة التي ساهمت في بروز قوة بن قانة حيث تذكر أن عدة قبائل التَفّتْ حوله فزادت شوكته وقوته التي بها قاوم الأتراك لما جاؤوا الى قسنطينة لأول مرة سنة *1535*، لكن بن قانة كان يخشى أن يأتي هؤلاء في الشتاء ففضل البقاء في قسنطينة، ولما اشتكى اتباعه من الطين والوحل أمر بحمل الرمال من الصحراء ورميها على جنبات الواد ، ومنذ ذلك التاريخ صار الواد يعرف بوادي الرمال؟[2].

وَلَمَّا عَلِمَ الأتراكُ بهذه التحولات والتطورات جاؤوا هذه المرة بالسلم فتركهم بن قانة يدخلون المدينة ويتعاملون مع أهلها بحرية دون سفك للدماء أوحرب وقتال[3].

واستمر بن قانة يحكم مناطق شاسعة تمتد من قسنطينة حتى توقرت جنوبا، وساعد الأتراكَ في التوغل في "سوف" و"توقرت" و"ورقلة" وإخضاع "الشّعانبة"، وعاد الجيش التركي ومعه بن قانة منتصرا الى قسنطينة وكوفئ بن قانة بما يليق به فَمُنِحَ لقب الوزير الى جانب الباي، وفي حملة جديدة نحو "فليسة" قتل محمد الحاج بن قانة سنة *1764* بعدما أبلى البلاء الحسن[4].

هذه هي الرواية التي رواها بولخراص بن قانة لفيرو، حينما كان في الخدمة العسكرية ببسكرة، لكن فيرو رَدَّ بقوة على هذه الرواية معتبرا إياها مَحْضَ خَيَالٍ نَسَجَهُ بن قانة لإثبات نسبهم الشريف.

1- *Charles-Louis Féraud , « les beni djellab ...», **Op.cit** , p 379.*

2 - ***Ibid**, p 377.*

3 – من الملاحظات التي يمكن أن نسجلها على هذه الرواية سذاجة المحتوى وبساطة ويسر أسلوب انتقال الزعامة إلى محمد بن قانة وولاء القبائل له في فترة كانت القبلية العصبية هي السائدة، فإذا قابلنا هذه الرواية بما ذكره ابن خلدون في مقدمته في فصول الرياسة فإنها حتما ستسقط بين أيدينا، حيث يؤكد ابن خلدون " أن الرياسة على أهل العصبية لا تكون إلا في نسبهم ذلك أن الرياسة تكون بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية، فلا بد في الرياسة على القوم من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة " انظر عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، المطبعة الأزهرية، القاهرة، *1930*، ص *111*.

4 - *Charles-Louis Féraud , « les beni djellab...», **Op.cit** , p379.*

وإذا سلمنا بالرواية التي نقلها فيرو عن بولخراص فإنها لا تتفق هي الأخرى مع رواية بوعزيز بن قانة أغا الزيبان في عدة جوانب منها :

- تبطل هذه الرواية عن الأسرة النسب الشريف المنحدر من السلالات الإدريسية، ورَبْطِهَا بأشراف الأندلس، مما يزيد في شكوك الأصل الشريفي.

- لم تتعرض هذه الرواية نهائيا للذواودة الذين نافسوا أسرة بن قانة في مشيخة العرب، وتغافلت عن السجالات العسكرية الطويلة التي كانت بين الأسرتين.

- وُرُودُ بعض الأساطير والخرافات، كقصة ملئ "وادي الرمال" .

- تطرح الرواية لُبْسًا آخرَ يتعلق بالاسم الذي منحه سليمانُ بن قانة لولده فقد سَمَّاهُ "قانة"، فكيف يمكن أن يأخذ الفرد اسما ولقبا واحدا " قانة بن قانة " ؟ وهو ما لم نجده في كتابات تاريخ الأسرة ..

من خلال هذه الملاحظات يمكنُنا أن نستنتج أن رواية فيرو التي نقلها عن أفراد الأسرة، لا تخلو من الغرابة والتناقضات التي لم يُشِرْ إليها بوعزيز بن قانة أغا الزيبان في كتابه، مما يدفعنا للتساؤل حول مكمن الخلل وسبب هذا الخلط ؟؟

أما رواية فيرو التي يقول أنه استخلصها بعدما استمع إلى آراء شيوخ الجهة سواء في يتعلق بالنسب الشريف للأسرة أو بمكانتها الإجتماعية، فيمكن تلخيصها فيمايلي :

يقول فيرو أنه في بديات القرن 18 م كانت امرأة أرملة ذات جمال، تدعى "قانة" تعيش في إمارة كوكو[1] بمنطقة جرجرة، لكنَّ "الجماعة" طَرَدَتْهَا لتنافس الشباب

1 -. مملكة "كوكو" تقع بمنطقة القبائل يعود تاريخ تأسيسها إلى الفترة التي تلت حكم الدولة الزيانية وبداية ظهور الأخوين عروج وخير الدين (القرن 16)، ويعتقد أن أصل ملوكها من الأدارسة ملوك فاس وتلمسان، بعد سقوط الدولة الإدريسية، والجد الأكبر لهم هو عمار بن إدريس، وكانت العلاقات سيئة ومتوترة على ما يبدو بينها وبين السلطة العثمانية التي نصبت بالمنطقة حامية عسكرية قوامها نحو 8000 جندي ، انظر أحمد ساحلي ، **أعلام من زواوة – إقواون** – مطبعة الثورة الإفريقية، الجزائر، بدون سنة، ص 50.
ونظرا لموقع الإمارة المنيع في قلب جبال جرجرة فقد كان الأتراك يتحاشون الدخول في مواجهة معها، انظر : *Tahar Oussedik, **le royaume de Koukou**, E.N.A.L, Alger, 1986, p22*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حولها لجمالها الفائق، فالتجأت إلى قرية "فليسة"، ونظرا لمروءة السكان وإشفاقهم على هذه المرأة فقد تزوجها أحد الإقطاعيين يدعى " عبد العزيز "، ومنح لإبن زوجته"يحي" قطعة أرض كانت بداية ثراء الأسرة، وتضيف الرواية أن"يحي" بقي بالقبيلة حتى توفي بها وأن قبره ظل يشاهد قرب قرية تيقناتين[1].

استقر بعض أبناء بن قانة في منطقة سباو في حوض بجاية، في قبيلة تدعى "الفناية" وشَكّلوا نواةً لأسرهم ما تزال تدعى "آيت قانة"، وكان من عادة القبائل الهجرة خارج القرية للعمل، وهو ما دفع محمود بن قانة إلى الانتقال الى ميلة[2]، عبر الواد الكبير وزواوة حتى وصل قرية "رجاس" قرب مدينة ميلة، حيث استقر بها بعدما تَزَوَّجَ وَكَوَّنَ عَائِلَةً كبيرة فيها-وهذا هو الحداد الذي تكلم عنه سيروكا كما يقول فيرو-.

وواصل إبْنُهُ سليمان ممارسة هذه المهنة ولما أنجب ولداً سَمَّاهُ "قانة"[3]، ربما تيمّنا بجدته ولكن كيف يسمّى الذكر على تسميّة جدته الأنثى؟ وهذا ما يدعو للطعن في رواية فيرو، بالاضافة إلى جملة من الملاحظات الأخرى التي نَسُوقُهَا في ما يلي :

أولا : إن الواقع الإجتماعي والديني وجملة العادات والتقاليد التي كانت تحكم المجتمع الجزائري آنذاك يجعلنا نشكك في هذه الرواية، إذ لا يعقل في المنطق الإجتماعي آنذاك طرد امرأة وتشريدها وذريتها لمجرد جمالها الفاتن أو لتنافس الذكور حولها بحجة حماية شرف القبيلة وصيانة وحدتها وأمنها خاصة في منطقة اشتهرت بتمسكها بالعادات والتقاليد.

ثانيا : هل يعجز أفراد القبيلة على إيجاد مخرج معقول ومنطقي لهذه المشكلة وقد وقعت أمثالها مرارا في كثير من البقاع ولا تزال الذاكرة الشعبية تختزن الكثير من

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ورغم ذلك فقد نشطت بها التجارة التي ربطتها بمختلف جهات البايلك، وكانت القوافل تغدو وتروح إليها خصوصا من ورجلان (ورقلة حاليا)، انظر: أبو زكرياء يحي بن أبو بكر، سير الأئمة وأخبارهم (**المعروف بتاريخ أبي زكرياء**) تحقيق إسماعيل العربي،(د.م.ج)، الجزائر، *1984*، ص *127*، انظر خريطة إمارة كوكو في الملحق رقم 6 .

1 - *Charles-Louis Féraud « les beni djellab…», **Op.cit**, p 381 .*

2 - ميلة من مدن الجزائر العتيقة التي بناها الرومان تبعد عن قسنطينة نحو *32* ميلا تحيط بها أسوار قديمة فيها عدد كبير من الصناع والحرفيين وقد ذكرها ليون الإفريقي في رحلته، وعدَّدَ كثيرا من صفاتها الجغرافية والبشرية.

3 - *Charles-Louis Féraud : « les beni djellab …», **Op.cit**, p 381 .*

القصص من هذه الشاكلة؟ كأن يتنافس الراغبون في زواج المرأة على قتال سلمي أو على سباق أو شيء ما، يكون الفوز فيه للأقوى والأجدر ويضع حدا للتنافس المذموم ويضع مخرجا مشرفا للجميع ؟

ثالثا : لقد أثار فيرو بروايته إشكالية أخرى مهمة والمتمثلة في ما يلي : هل كان أفراد أسرة بن قانة يمارسون حرفة الحدادة التي بها وصلوا مدارج الرقي والدراجات العليا في المسؤوليات بعد قصتهم المشهورة مع أحمد باي القلي؟ أم أنهم كانوا مزارعين بحكم استقرارهم في مناطق زراعية كبجاية ورجاص؟ وكيف استطاعوا التأقلم في ما بعد حينما تحصلوا على لقب مشيخة العرب، مع أسلوب الحياة الصحراوية حينما اتخذوا من مدينة بسكرة قاعدة أساسية لحياتهم ولمعيشتهم ؟ هل بالامكان أن يَتَحَوَّلَ نَشَاطُ مجموعة بشرية ما في ظرف مائة سنة من مجموعة مزارعة إلى مجموعة تمتهن حرفة يدوية تتطلب تراكما معرفيا وتجاربيا كثيفا كحرفة " الحدادة " ثم تَسْتَقِرَّ في النهاية على أسلوب حياة آخر، هو أسلوب "البدو والرحل" القائم على التنقل من محيط جذب وجاف إلى محيط رطب وخصيب بين فصلي الشتاء والصيف دون أن نغفل ما يتطلبه هذا النمط من المعيشة من تأقلم مع البيئة القاسية وقدرة على التحمل لمشاق التنقل والترحال وسابق معرفة بطبائع الكائنات الحية من نباتات وحيوانات وزواحف وغيرها؟؟

إنّ المتأمل في هذه التساؤلات يجدها ضرورية وهامة لترتيب القطع والأجزاء الأساسية لمنحنى التطور العام الذي مرت به أسرة بن قانة عبر مختلف مراحل تاريخها، من أسرة زراعية إلى أسرة حِرَفِيَّة إلى أسرة إدارية وعسكرية، وهو تطور إيجابي وفق رؤية ابن خلدون[1]، لكنَّ الباحِثَ في اثناء ذلك يجد نفسه مجبرا على ضرورة الاستعانة بعلوم أخرى ومعارف جديدة وأساليب بحث في مراحل متقدمة، للفصل في إشكالية ظهور الأسرة ونسبها ومكانتها،كعلوم الأنتروبولوجيا، والتاريخ الاقتصادي وعلم الإجتماع وغيرها.

---

1 – في هذا الشأن "يتحدث ابن خلدون في مقدمته عن"المعاش" ويعتبره عنصرا حاسما للعمران، فالعمران البدوي يتقرر قوامه على عيشة البساطة والشظف : أي تربية المواشي وقليل من الزراعة، أما العمران الحضري فيتقرر بمعاش قوامه السعة في العيش والترف في الأحوال أي زراعة أو تجارة وصنائع " انظر محمد غالم :« من التاريخ الوضعي إلى التاريخ العلمي ملاحظات حول التاريخ الاقتصادي » ، **مطبوعات مركز الأبحاث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، نوفمبر1995، ص 5.

وإذا حاولنا أن نربط بين حرفة بن قانة التي من المفترض أنهم كانوا يمارسونها في الفترة الأولى لوجودهم، قبل أن يُمَكَّنَ لَهُمُ والمتمثلة في الحدادة بقرية رجاس-ميلة- والتي كان لها الفضل في تبوئهم المراتب السامية فيما بعد، وبين لقب "بن قانة" ذَاتَهُ، وَجَدْنَا نوعا من العلاقة بين الصفة والموصوف، ففي اللغة العربية يقال : **قان، يقين، قينا،وقيانة** الرجل أي احترف الحدادة، **وقان** الحديدة صنعها وسواها[1]، ويقال أحمر قان أي شديد الإحمرار كاحمرارالحديد حينما يكون منصهراً، وفي كثير من الحالات كان يلقب صاحب الحرفة بحرفته فيقال فلان النجار نسبة لحرفة النجارة، وبائع العطور يلقب بالعطار وغير ذلك، والنتيجة المنطقية أنه بمرور الوقت يمكن أن يكون قد أطلق على هؤلاء لقب بن قانة، لما اشتهروا به من صنعة الحديد و اتقانها.

غَيْرَ أَنَّ بن قانة أغا الزيبان يربط إشكالية لقب عائلته بـــ: " قانه" اللفظ المترجم حرفيا للكلمة الفرنسية المنطوقة باللهجة الدارجة في مجتمعنا والمتمثّلة في: قانا *Gana* أيْ رَبِحَ وَاغْتَنَى، والتي أصلها *Gagner* [2] في اللغة الفرنسية.

وأما في ما يتعلق ببداية سير بن قانة في طريق الشهرة والمجد، فيعتقد المؤرخ فيرو في صدْق وَوَاقعيَّة الرِّوَايَة المعروفة، التي تَتَحَدَّثُ عن ارتباط **أحمد باي القلي**[3]، حينما كان أغا محلة بمدينة القل الجزائرية، بإحدى بنات الحاج **بن قانة** حينما كان يقيم في نواحي مدينة رجاس بميلة، وكان يشتغل في إصلاح حذوات الخيول.

---

[1] - الفيروزأبادي، **المرجع السابق**، ص *213*.

[2] - *BenGana .B , **Op.cit** , p 6.*

[3] - **ويعرف هذا الباي بالقلي نسبة لمدينة القل الجزائرية** (انظر الخريطة بالملحق رقم) وهي مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر الأبيض المتوسط على سفح جبل شاهق كما وصفها ليون الإفريقي وهي مدينة متحضرة أهلها ظرفاء كرماء ، فتحها الاتراك سنة *1521* في عهد خير الدين وتركوا بها حامية تركية من *200* جندي وجعل قيادتها تحت زعامة قائد العسكر، و لم تعرف المدينة أية أزمة في التموين والاتصال لموقعها البحري المنيع، تبعد عن عاصمة البايلك نحو *95* كلم، غير أن رواية أخرى تنسب الباي أحمد القلي إلى مدينة كولة *Kula* التركية الواقعة في جنوب غرب الأناضول في إقليم روملي إلى الغرب من بحر إيجة والذي تبعد عنه نحو *150* كلم، ومهما يكن فإن أحمد باي القلي الذي مارس كثيرا من مهامه العسكرية بمدينة "القل" قبل أن يتولى البيلكة و ترك بها سمعة طيبة وذكرا حسنا نظرا لاعتنائه بالسكان وعطفه عليهم، استمر في سياسته السابقة في الاعتناء بالمدينة، حتى بعد توليه بايلك الشرق، حيث بنى لسكانها مسجدا في مدخل المدينة في أول سنة تولى فيها شؤون بايلك قسنطينة يعربون وفاء ومحبة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وتقول الرواية التي ذكرها فيرو بإسهاب أن أحمد القلي كان كلما خرج في المحلة قاصدا مدينة القل، مرّ ببَيْتِ بن قانة الذي كان يتقن مهنة إصلاح حذوات الخيل[1]، ومع مرور الوقت نشأت بين الرجلين علاقات طيبة، انتهت بزواج أحمد القلي بإحدى بنات بن قانة.

ويؤكد فيرو على صحة هذه المعلومات التي استقاها من سكان قسنطينة والقبائل التي تسكن حول ميلة وأكد أنه قبل *30* سنة[2] عندما كان في حملة في هذه الجهة، كان يستمع مرارا بواسطة "بوعكاز بن عاشور" شيخ فرجيوة و"بورنان بن عز الدين" شيخ زواغة إلى روايات شيوخ المنطقة التي جَمَعَتْ أحداث الماضي، وذكروا له أنّ آبَاءَهُمْ كانوا يذهبون إلى رجاس من أجل إصلاح حذوات خيولهم، وهكذا حصل لهم اطلاع مقبول وإلمام بتاريخ المنطقة.

والملفت للنظر أن كثيراً من الروايات الشفوية تشير إلى أنّ جل القرى والأرياف في ضواحي قسنطينة والمدن الكبرى، في الأزمنة الماضية كانت بها ورشات الحدادة التي تتخصص في معالجة حذوات البغال والخيول، وهي عملية ضرورية للسَّيْرِ الحسن لباقي الأنشطة الزراعية في الأرياف من حرث وحصاد ودرس، فلماذا يتحمل أحمد باي القلي عناء الإنتقال إلى قرية "رجاس" بالذات، ما دام أنّ جل القرى المجاورة تمتهن هي الأخرى هذه الحرفة ؟

وحينما نتأمل شبكة الطرقات التي تربط مدن الجزائر ببعضها البعض خلال العهد العثماني نلاحظ أن الطريق الوحيد الذي يربط مدينة قسنطينة بمدينة القل الساحلية لا يمر بقرية رجاس، لأن المرور بها يعني الخروج عن خط السير الأساسي، خاصة الطريق الذي كان يسلكه البايات والضباط الأتراك (الطريق السلطاني) الذي تكون وجهة السير فيه تقود نحو الشمال، عبر حوض وادي الرمال، أما قرية رجاس فهي تقع غربا من مدينة قسنطينة، والمرور إليها ثم التوجه نحو مدينة القل سيزيد من مضاعفة مسافة السير ومضاعفة المشاق، بما سوف يقطعه الراكب من أودية وجبال وعرة وغابات كثيفة، وهذا ما يدفعنا إلى الطعن في هذه الرواية أصلا التي ربطت بين أسرة بن قانة وأحمد باي القلي.

---

[1] - انظر الملحق رقم5.

[2] - ألف فيرو كتابه صحراء قسنطينة سنة *1879* حين كان يشتغل مترجما عسكريا.

5- آراء أخرى حول أصل الأسرة .

لقد حاولت من خلال الإطلاع على بعض كتب الأنساب المتوفرة، الوصول إلى تثبيت نسب أسرة ابن قانة خارج الفترة العثمانية، فاستوقفتني عدة أحداث يشترك أصحابها مع بن قانة في اللفظ وفي المجال الجغرافي، وقد خلصت في النهاية إلى طرح رأيين يمكن الاعتماد عليهما في إضافة مقترحات وفضاءات جديدة للدراسة حول أصل الأسرة.

الرأي الأول.

ترجع بنا الأحداث إلى القرن العاشر الميلادي، وبالضبط إلى الفترة التي شهدت فيه منطقة المغرب العربي صراعا سياسيا وعسكريا كبيرا بين مختلف التيارات التي كانت تسعى للاستحواذ على السلطة، كالصراع بين الأغالبة والشيعة الاسماعيلية، وقد استعمل الأغالبة الضغط العسكري والدعاية السياسية والفكرية ضد الإسماعيلية، وعند رجوع الداعية الاسماعيلي إلى مدينة إيكيجان[1] وبقاء مدينة بغايا[2]، بدون حامية عسكرية كبيرة، رأى ابن الأغلب[3] أن الفرصة مواتية كي يُسَدِّدَ ضربةً مفاجئة لهذه المدينة وللنفوذ الإسماعيلي المتزايد في المنطقة، لذلك فقد أمر بالهجوم العام عليها وقاده بنفسه، وشدّد الأمر على المدينة وقتل كثيرا من المتشيعين فيها، غير أن مقاومة رجال الحامية وشجاعة " عروبة بن يوسف " و" رجاء بن أبي قنة " وولاء السكان الذين وقفوا ضد الجند الأغلبي حالت دون احتلال المدينة نهائيا فانسحب ابن الأغلب بعد وصول نجدة كتامية صدَّت الغزاة .

وقد أورد ابن عذارى كلاماً في مثل هذا المعنى وثَبَّتَ فيه نسبَ شخصيةِ رجاء بن أبي قنة، إلى قبيلة كتامة الأمازيغية المتشيعة، والتي تدفعنا للتساؤل عن إمكانيةِ وجود علاقة بين شخصية رجاء بن أبي " قنة " وبن" قانة "، وأن يكون ابن قنة هذا ما هو إلا

---

1 - مدينة إيكيجان مدينة منقرضة كانت تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة سطيف، انظر ألفرد بيل، **المرجع السابق**، ص *157* .

2 - مدينة بغاي (بغايا) تقع قرب مدينة خنشلة، انظر نفس **المرجع السابق**، ص*157* .

3 - هو القائد الأغلبي ابراهيم ابن الأغلب الذي أرسله العباسيون لوقف الدعوة الشيعية في بلاد المغرب.

جزء من فروع العائلة القانية التي استوطنت هذه الجهات، وذلك بحكم جملة من المعطيات منها:

1 - المجال الجغرافي المشترك : فكلتا الشخصيتين عاشتا مما يبدو ولعبتا دورهما في منطقة (الزاب) بـــ"الشرق الجزائري" والتي عُرِفَتْ فيما بعد ببايلك الشرق.

2 - الروح القتالية والمعنوية العالية التي تتقاطع بينهما، فرجاء بن أبي قنة تمكن بقوته وشجاعته من صد الهجوم الأغلبي ودَحْرِه، وفي المقابل نجد أن بن قانة كانوا مقاتلين أشداء وقوّادا أكفاء، كما شهد لهم بذلك قوفيون، وَسِجِلُّهُمْ حافلٌ بالمعارك والخصومات على مرِّ العصور.

الرأي الثاني.

انطلاقا من نفس الاعتبارات التي ذُكِرَتْ في الرأي الأول السَّابق يدفعنا البحث هذه المرة إلى الإعتقاد بوجود علاقة بين "بن قَانة" الأسرة والثائر "ابن غانية" ؟

و"غانية" نسبةً إلى المرأة غانية، التي تزوجها "علي بن يحي المسوفي" المقرب لدى يوسف بن تاشفين[1]، فولدت له محمد الذي تولى جزيرة "ميورقة"[2] سنة 520هـــ، وكان يدعو للخلفاء العباسيين، ثم خلفه ابنه إسحاق الذي مات بدوره سنة 579 هـــ، وترك بعده "يحي" و"عليًّا" .

كان ليحيى طموحات في إحياء دولة "المرابطين"، فاحتل بجاية سنة 580هـــ ثم الجزائر، ومليانة، ومازونة، والقلعة، وحاول احتلال قسنطينة، بعد أن حاصرها وقطع

---

1 - يوسف بن تاشفين (اللمتوني) هو أحد مؤسسي دولة المرابطين ببلاد السوس جنوب المغرب ثم اتخذت من مراكش عاصمة لها، ويعرف بخصاله الحميدة وتفانيه في خدمة الدين ونصرة المسلمين، ومن أشهر مآثره موقعة "الزلاقة" الشهيرة، التي وقعت في 12 رمضان من سنة 479 هـــ ، وكان سببها أن المعتمد بن عباد أحد أمراء الأندلس غزاه الروم في أرضه وهددوا ملكه فاستنجد بيوسف بن تاشفين الذي لبى استغاثته به وأنجده بجيش كبير، وقال: له "أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ولا يتولى هذا الأمر أحد إلا أنا بنفسي"، وانتصر يوسف على الروم بزعامة "الأدفنش"في هذه الموقعة.انظر، عبد الواحد بن علي المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، بدون معلومات ص 17-18.

2 - جزيرة ميورقة من جزر البحر الأبيض المتوسط تقع شرق الأندلس.

الماء عن أهلها لكن الله "أغاثهم" بمطر غزير فانهزموا وفرّوا إلى "نقاوس" و"مقرة" بمنطقة الحضنة.

وبافريقية اجتمع لابن غانية عرب "رياح" ولُقّبَ بأمير المسلمين فَعَظُمَ سُلطانُه مجددا وعاث فسادا في إفريقية كما فعل بنو هلال من قبل، ثم هاجم بجاية وقسنطينة مرة أخرى، دون أن يتمكن من دخولهما، واستمرت ثورة ابن غانية زهاء نصف قرن، أي الشطر الأول من القرن الثالث عشر، واتخذ من منطقة اغدامس قاعدة لثورته على بقايا حكم الموحدين، لكنه انهزم وتراجع جنوبا نحو ودان، وبعد معارك عديدة تعرض جيش الموحدين لدى عودته منها إلى هجمات القبائل ولملاحقة ابن غانية الذي انبعث مجددا على إثره وتمكن من السيطرة على بسكرة ومنطقة الزاب، ولم يستطع إيقافَه وهزمَهُ إلا أبو زكرياء الحفصي وذلك سنة 625 هـ[1]، وظل يحي بن غانية بعد ذلك شريدا طريدا حتى قتل في الزاب سنة 631 هـ.

فالزاب مرة أخرى شكل محور الالتقاء في هذه المرة بين"ابن قانة" و"ابن غانية" مما يدفعنا من جديد إلى التساؤل حول إمكانية الصلة بين الثائر ابن غانية، الوافد من ميورقة من الشمال والذي أعلن التمرد على بقايا الحكم الموحدي في المغرب الأوسط ودخل في صراع مع الحفصيين وانتهى به المطاف في الزاب، وبين بن قانة الذي يؤكد أصالته في منطقة الزاب وانتماؤه إليها، ألا يمكن أن يكون أفراد بن قانة هم أحفاد ابن غانية الثائر، تساؤلات بحاجة إلى مزيد من البحث والمعاينة والتنقيب.

---

1 – مبارك محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1976، ص ص 690، 691.

الفصل الثاني
مشيخة العرب وانتقالها إلى أسرة بن قانة

أولا / مدخل.

ثانيا / الصراع على مجال النفوذ.

ثالثا / لماذا تمركزت الأسرة في منطقة الزاب؟

رابعا / لقب " شيخ العرب"

خامسا / التنافس والصراع على لقب "شيخ العرب".

سادسا / صراع بن قانة على لقب شيخ العرب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا /مدخل.

لقد كان من الضروري قبل الحديث عن إشكالية لقب شيخ العرب وكيف انتقل إلى أسرة بن قانة أن نحدد الإطار الطبيعي والبشري والوضع الإداري الذي احتضن هذه الإشكالية ولماذا كانت منطقة الزاب بوجه خاص مسرحا للصراع حول مشيخة العرب دون غيرها من جهات البايلك؟...

1- الإطار الجغرافي والحدود.

لا تزال حدود إقليم بايلك الشرق المترامي الأطراف تطرح جملة من الإشكالات بسبب عدم استقرارها، واستمرار النزاع بين الجماعات البشرية القاطنة قربها، كما هو الشأن بالنسبة للجنوب الجزائري والتونسي[1]، وقد تأجج الصراع في هذا الإطار بين إيالة تونس وبايلك قسنطينة، الّذَيْنِ اعتبرَا ضِمْنيًّا أنّ الحدود بينهما مرسومةٌ بتلك القبائل والعشائر التي كانت تقطن بهذه الجهات والخاضعة لهذا النظام أو ذاك، ومادام ولاء هذه الجماعات غير ثابت لسلطة معينة فقد كان هذا الأمر أَحَدَ العوامل الهامة التي مَنَعَت رَسْمَ الحدود بين الإيالتين[2]، بالاضافة إلى انحسار سلطة "الدولة" في المدن والحواضر، تاركة الفضاءات الريفية الشاسعة لنفوذ القبائل والأعراش والدواوير، ولذلك كانت كثيرا من القبائل المتواجدة في الحدود لا تتعامل مع الأنظمة السياسية القائمة، كأحرار الحنانشة، فالحدود في واقع الأمر تمتد حيثما تصل سطوة هذا النظام أو ذاك، حَتَّى يعتبرَ هذا الإقليمَ ضِمْنَ ممتلكاته، فَيَجْرِي عليه سُلْطَتَهُ وَتَرْتِيبَاتِهِ المختلفة من تحصيل الضرائب إلى المساهمة في الجَهد العسكري.

ويمكن القول رغم ذلك أن بايلك قسنطينة كان يحده من الشرق أطراف الأوراس الشرقية حيث يجري هناك وادي صرات[3]، الذي ينبع من بلاد بني مراد شرق الأوراس ويلتقي بوادي مرجانة بعد ذلك، أما من الشمال فإن بايلك قسنطينة يشرف على واجهة عريضة من البحر الأبيض المتوسط، تمتد من القالة حتى بجاية، ومن جهة الغرب فتصل حدود البايلك إلى وادي السمار المعروف بوادي بني منصور وبني عباس، والذي يصب

---

[1] - احميدة عميراوي، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس**، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص 17.

[2] - **المرجع نفسه**، ص 19.

[3] - ابن أبي الدينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، المطبعة التونسية، 1286 هـ، ص 184.

بالقرب من مدينة بجاية، وتنتهي حدود البايلك في الجنوب عند تخوم الصحراء الشرقية الواقعة جنوب بسكرة[1]، والتي ظلت الحدود عندها دوماً غيرُ مستقرة[2] في أغلب الأحيان، بسَبَبِ تَوَتُّرِ العلاقات بين البايلك وسلطنة بني جلاب التي كانتً قائمة في الجهات الجنوبية من المنطقة، والتي اتخذت من مدينة "توقرت" عاصمة لها.

وتتنوع مظاهر التضاريس كثيرا داخل إقليم بايلك الشرق، حيث يضم هذا الإقليم مساحات شاسعة ومتنوعة من سهول وأحواض كحوض وادي الصومام، وسهوب كالسهول العليا القسنطينية التي تمتد من شمال تبسة حتى برج بوعريريج، وجبال منها خاصة جبال البيبان وجبال البابور وجبال الاوراس والنمامشة وجبال تبسة وجبال الحضنة التي تشرف على حَوْضهَا الشاسع، وجبال الزاب، وواحات كواحات سوف في حوض وادي ريغ[3]، وواحات شمال الصحراء الشرقية على رأسها بسًكرة وتقرت وورقلة بل حتى واحات وادي ميزاب بوادي الشبكة[4].

2- إدارة البايلك وتنظيمه.

من الصعب الحديث عن وجود دولة بالمعنى الحديث أي التي تقوم على مؤسسات وتحكمها قوانين وتشريعات ثابتة، والراجح أن سلطة الدولة في الجزائر خلال العهد

---

[1] - انظر الملحق رقم 9.

[2] - نصرالدين سعيدوني: " مذكرة حول إقليم قسنطينة "، **مجلة الأصالة**، العدد 70 / 71 السنة 1979، ص 10.

[3] - جاء في معجم البلدان أن "ريغ " كلمة بربرية معناها السبخة فمن كان منها يقال له الريغي، انظر : ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المجلد 3، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1906، ص ص 364، 365. وجاء في تاريخ العدواني أن ريغ اسم رجل يقال له "باهوت بن شملخ" بن كعب بن غاوية من ولد اندلس بن يافث بن نوح. انظر محمد بن محمد بن عمر العدواني، **تاريخ العدواني**، تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، بيروت، 1996، ص138.

ووادي ريغ هو الوادي الذي يحد سوف غربا ويمتد شمالا من ورغلة عن طريق توقرت إلى مستنقع ملغيغ المالح، (انظر الملحق رقم) وفي فترة الأمطار يسيل وادي إغرغر ووادي ميا ويصبان سيولهما في وادي ريغ الذي ينقلها بدوره إلى البحيرات المالحة ومع انقطاع الأمطار تجف هذه الوديان لتمتلئ بالحصى والحجارة، وتشتهر منطقة وادي ريغ بتمورها التي تعرف بـــ: " دقلة نور" والفضل في ذلك لمياهها الجوفية الوفيرة، انظر جورج غيرستر، **الصحراء الكبرى**، تعريب خيري حماد، منشورات المكتب التجاري، ط1، بيروت، 1961، ص 110.

[4] - محمد الصالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تحقيق رابح بونار، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1974، ص 17.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العثماني يندرج ضمن سلطة المدينة[1] وسلطان الدولة يتسع ويتقلص وفق قوة هذه المدينة[2]، وقسمت الإيالة إداريا إلى ثلاث ولايات هي بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة، وبايلك التيطري في الوسط وعاصمته المدية، وبايلك الغرب وعاصمته معسكر[3]، ثم "مازونة" و"وهران" بعد تحريرها من يد الإسبان سنة 1792.

وينقسم البايلك إلى عدة أقاليم ونواحي، على رأس كل منها قائد يتصرف فيها ويستخلص الضرائب من سكانها[4]، وكان كل بايلك يُسَيَّرُ من طرف باي يُعَيِّنُهُ الداي، وينال هذه المرتبة حسبما يقول شارل أندري جوليان "الأكثر قوة في جمع المال وتمثيل السلطة المركزية وفي حالة فشله في مهامه فإن العقوبة تكون صارمة بالتنحية والعزل أو القتل أحيانا"[5].

وللباي مجموعة من القبائل المخزنية المعفاة من الضرائب تساعده في جمعها وإلزام القبائل الأخرى بدفعها والتي تعرف بقبائل الرعية[6].

كماكان البايْ يُعَيِّنُ قائد "الوطَنْ"[7] الذي يملك صلاحيات مدنية وعسكرية وقضائية مهمة، منها تَعْيِينُ شُيُوخِ القبائل والفِرَقِ والدَّوَاوِيرِ وكان تعيين القواد يتم من

---

1 – أقام العثمانيون بصورة خاصة في المناطق الشمالية الساحلية، لأن الغاية من وجود الحكم هو حماية الأهالي من الاعتداء الخارجي وتحقيق مقدار من العدالة وقد نجح العثمانيون في تأمين ذلك للشعوب العربية" انظر، هند فتال ورفيق السكري، **تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر**، دار جورجوريوس، ط1، 1988، ص14.

2 – *Lahouari Addi , **De l'Algérie précoloniale à l'Algérie coloniale Economie et Société** ,E.N.A.L, Alger, 1985 , p 24 .*

3 – جلال يحي، **تاريخ المغرب الكبير**، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 52.

4 – سعيدوني نصر الدين : " مذكرة حول اقليم قسنطينة "، **مقال سابق**، ص 10.

5 -*Charles- André Julien , **Histoire de l'Algérie contemporaine,la conquète et les débuts de la colonisation 1827-1871**, prèsses universitaires de France, Paris , 1964 , p223.*

6 - ***Ibid**, p223.*

7 – "لُوطَنْ" هي عبارة شعبية لا تعني "الوطَنْ" بالمفهوم الحديث، وإنما يقصد بها منطقة معينة تعيش بها مجموعة من القبائل التي تربطها علاقات عائلية أو نسب ومصاهرة، تفرقت نتيجة عوامل ومؤثرات شتَّ ،كتنافس قيَّادَاتهَا على السلطة أو غياب التفاهم والإنسجام حول طريقة استغلال الأرض.

طرف آغا المحلة أومن البايلك مباشرة[1]. وعرّف "هايدو"[2] *Fray Diego. De Haido* في كتاباته، القائد بأنه الذي يحكم القرى والمدن بضواحيها مثل، تلمسان، ومستغانم، وبسكرة، وتنّسْ، ومليانة، وشرشال، وقسنطينة،وغيرها.

ويطلق لفظ "القائد" أيضا على الموظفين الذين يمارسون بعض المسؤوليات المهمة في قصر السلطان، و حتى المكلف بجمع الضرائب من التجار والقابع في باب المدينة، كان يلقب بـــ"القائد"، وكان هذا المنصب الرفيع والبالغ الاهمية يباع كالسلعة لمن يدفع أكثر، ولا يُنال بالاستحقاق أو بحكم تقادم الخدمة في بلاط الداي[3].

ويتصل القائد مباشرة بالباي، يساعده في مهامه كَاتبٌ، و"بَاشْمْكَاحْلِي" و"زِمَالَة" وكان يسير تحت أوامره شيوخ القبائل، والأوطان والقيادات الصغرى وتشتمل مهمته فضلا عن مراقبة توزيع الأراضي وتحصيل الضرائب قيادة الفرسان[4]، مما يؤكّدُ أهمية هذا المنصب.

وقد يصبح منصب القائد في بعض القبائل وراثيا عندما يكون القائد هو نفسه شيخ القبيلة، وكان من أهم هؤلاء القادة، قائد الحنانشة الذي كان تحت تصرفه 12 قبيلة، وشيخ العرب في زاب بسكرة الذي أطلقت يده على عدة قبائل رحل، وقائد الحراكتة وقائد الحنانشة وقائد الأوراس وفي الجهات الشمالية التلية يمكننا ذكر قائد أولاد ابراهيم بسكيكدة وأولاد مقران[5]، وكذلك شيخ أولاد عز الدين بزواغة وأولاد عاشور بفرجيوة الذين كانت لهما علاقات طيبة بالبايلك على خلاف جهات الشمال القسنطيني الأخرى كالبابور ومرتفعات القل التي بقي سكانها رافضين الخضوع لسلطة البايلك[6]، وكان هؤلاء القادة بالتنسيق مع باشا الجزائر يحصلون على فرقة عسكرية تسمّى "المحلة"،

---

[1] - *Haido (Fray Diego. De)* , ***Topographie et Histoire Générale d'Alger***, *traduction , Dr.Monnereau et A.Berbrugger, présentation, de Jocelyne Dakhlia, éditions Bouchène , Paris , 1998 , p 38.*

[2] - *Haido (F. D)*, ***Opicit***, *p 38.*

[3] - *Haido (F. D)*. ***Op.cit***, *p46.*

[4] - *Claude Bontems*, ***Manuel des Institutions Algériennes de la domination Turque a l'indépendence***, *T1, éditions Cujas, France,1976, p57.*

[5] - أحمد سيساوي، **النظام الإداري لبايلك الشرق 1791 / 1830** ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية ، قسنطينة ، الجزائر ، 1988، ص141. (رسالة غير منشورة)

[6] - *Alain Romey « l 'Etat Turc et les pouvoirs religieux en Algérie de la fin du 18ème et au début du 19ème siècle »,in* ***Cahiers de la Méditéranée***, *N°41, dec 1990, p34.*

يتراوح عدد أفرادها بين 400 و 600 جندي أو أكثر، بالنظر إلى وضعية الظروف الأمنية، وكان الهدف منها المساعدة في جمع الضرائب وَسْبِي أملاك القبائل الغير خاضعة للحكم المركزي، ومعاقبتها وتأديبها[1].

وإذا كان القائد يخص مجال عمله بصورة أكبر الأرياف والقرى، فإن شؤون المدينة يسيرها ويسهر على خدمة سكانها وراحتهم وأمنهم "الحاكم" ، وله تقريبا نفس المسؤوليات التي الكتي للقائد كتنظيم الإدارة والسهر على حسن سير الشؤون الإقتصادية والإجتماعية للسكان آنذاك، ويساعد الحاكم موظفون مختصون كأمين العيون والمزور أمين الشرطة والمقتصب المنظم لشؤون الأسواق[2].

3- أهمية بايلك الشرق.

اكتسى بايلك الشرق أهمية قصوى خلال فترة الحكم العثماني وقد أجمع تقريبا جُلُّ من تحدث عن البايلك على أنه يتوفر على إمكانيات هائلة، لقد كان حقيقةً من أهم البايلكات وأكثرها مردودية[3]، وأكثرها ثروة وخصبا ومساحة وسكانا حيث يستقطب أكثر من خمسي سكان الإيالة[4]، بفضل امتداداته الشاسعة وتنوع مصادر الرزق والحرف والأنشطة الزراعية والتجارية، إذْ يمتد من البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا على امتداد يزيد عن 300 كلم ومن الغرب من وادي الصومام حتى إقليم تونس على مسافة تزيد على 400 كلم .

ويدخل ضمن الإقليم أيضا برج حمزة (البويرة) الغني بزراعة الزيتون، وذلك لكون القائد المتصرف فيه يعين من طرف باي قسنطينة[5].

ومما ساهم في أهمية بايلك الشرق تنوع مقوماته الطبيعية والبشرية تنوعا إيجابيا، حتى وصفه المؤرخ الفرنسي "قاليبار" *Galibert* ، بأنه مملكة تفوق في أهميتها بايلك

---

1 -*Haido (F. D) . Op.cit , p46 .*

2- *Claude Bontems, Op.cit, p59.*

3 - *Pierre Boyer , la vie quotidienne a Alger a la veille de l'intervention Francaise , imprimerie nationale , Monaco , 1964. p 100*

4 - نقولا زيادة ، "قراءة في مذكرات أحمد باي حاكم ولاية قسنطينة": في مجلة بحوث ودراسات عربية، بدون معلومات ، ص249 .

5 - نصر الدين سعيدوني :" مذكرة حول إقليم قسنطينة"، مقال سابق، ص 10 .

التيطري وبايلك وهران مجتمعين، لمساحته الشاسعة وثرواته الكبيرة ومناخه المعتدل[1]، حيث توجد به جل أنواع المواد الزراعية من حبوب وبقول وتين وزيتون وكروم وزيوت ومواشي وتمور وأصواف وأخشاب،كما استحدثت مزروعات جديدة مثل الأرز في سهول الحامة واستصلحت الأراضي التي يغلب عليها المستنقعات، مثل سهول عين مليلة والفزقية[2]، فضلا عن الحرف التي كانت تُعَدُّ بالعشرات، كل ذلك مَكّنَ من تحقيق مستوىً معيشياً مقبولا للسكان من جهة، وشَكّلَ مصدراً هاماً من مداخيل الإيالة من جهة ثانية .

ثانيا/ الصراع على مجال النفوذ.

كان المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني مجتمعا قبليا، وكانت القبيلة تمثل النواة الأولى لهذا المجتمع، وكان أفرادها يرتبطون معا برابطة الدم وهي رابطة متينة تعمل على إبقاء القبيلة متينة محافظة على كيانها، وتفرض على ابن القبيلة أن يتعصب لقبيلته، لأن هذه العصبية هي مصدر القوة لها، وتتمثل العصبية في الإجماع على الرأي وعدم الانقسام وعدم التناحر بين أفرادها[3]، هذا فضلا عن استبعاد أي أجنبي من هذا التنظيم[4].

وكان لكل قبيلة شيخ يتولى رئاستها وإدارة شؤونها ويتصرف في ولايته المعبر عنها بالوطن تصرف الأمراء الإقطاعيين بمثل النظام السائد في القرون الوسطى بأوروبا[5]، ويشترط فيه أن يكون من ذوي العصابات الكبيرة التي تشد أزره وتعينه على تنفيذ أوامره ومطالبه ، ورئاسة القبيلة يكون غالبا وراثيا ، وتضم القبيلة عدة جماعات داخلية انطلاقا من الأسرة والرهط والعائلة والعشيرة والفخذ والبطن[6].

1-فلة القيشاعي، **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني** *1771-1837*، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، *1990*، ص *8*.

2- عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق، **مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية**، ط*1*، دار البعث، قسنطينة،*1984*،ص*83*.

3- عبد الكريم يوسف جودت، **الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين** (*9*و*10* الميلاديين)، (د.م.ج.)، الجزائر، بدون سنة، ص ص *251*، *252*.

4 - محمد الميلي :« نماذج من تشويه بعض الأجانب لتاريخ الجزائر» **مجلة الأصالة**، وزارة الثقافة (الجزائر)، عدد *36*، سنة *1973*. ص *136*.

5 - عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، المطبعة العربية، الجزائر، *1955*، ص *281*.

6 - لمزيد من الإطلاع انظر : عبد الكريم يوسف جودت، **المرجع السابق**، ص ص *251* ، *252*.

1- علاقة القبائل بالسلطة الحاكمة .

يشكل سكان الريف في الجزائر تقريبا أكبر نسبة، حيث تزيد عن 80 % إذا قمنا باستنتاجها من خلال ما ذكره المؤرخون والباحثون الذين تناولوا الموضوع[1]، مما يعني أن حكومة البايلك كانت تتعامل مع أكبر نسبة من السكان مشكلة من القبائل سواء المستقرة في قراها وأريافها أو البدو الرحل، و تختلف علاقة هذه القبائل بالسلطة الحاكمة من حيث الخضوع والولاء، إذ كان بعضها غير خاضع تماما للسلطة التركية كالأوراس ومنطقة القبائل (زواوة)، شأنها في ذلك شأن كل القبائل التي تسكن الجهات الجبلية الصعبة[2].

وتتخذ القبائل عدة أشكال إزاء السلطة الحاكمة فهناك:

قبائل المخزن التي تنفذ سياسة الباي وتنسق معه مقابل فوائد مادية ومعنوية، واعفاءات ضريبية وكانت بعض القبائل التي تؤوي بين جوانبها أسر شريفية هي الأخرى تتمتع بالاحترام والتبجيل[3].

قبائل الرعية وهي التي تخضع مباشرة للباي وتتعرض لصنوف شتى من الضغط والاستغلال .

القبائل المتمردة عن السلطة التركية والتي تتحصن بالمناطق البعيدة أو الجهات الجبلية كالأوراس ومنطقة البابور الواقعة شمال سطيف وبلاد القبائل[4] .

أما المدن الداخلية فكانت جلها بحاجة إلى حاميات تركية تتكفل بحفظ الأمن والنظام، لأنها تشكل الإمتداد الرئيسي لجهاز الدولة في هذه الجهات، وبه يتحقق الولاء للدولة عن طريق دفع الضرائب بانتظام، وتوفير الرجال لوقت الحاجة، ومن أهم هذه المدن: "عنابة"، "تبسة"، "زمورة"، "بسكرة"، "بجاية"، و"تلمسان"، وفي ربيع كل سنة تغادر الحامية مكان الحراسة وتخلفها حامية جديدة وهكذا دواليك[5] .

---

1 - عميراوي احميدة، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس**، المرجع السابق، ص 21.

2 - *Pierre Boyer*, ***Op. cit*** *, p101* .

3 - محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1982، ص 46.

4 - انظر الملحق رقم7 .

5 - محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1972 .

2- الصراع القبلي.

لقد كان الصراع القبلي خلال فترة الحكم التركي قائما أساسا حول مصادر الرزق من ماء وكلأ ومرعى، وجباية الضرائب وكذلك حول مناطق النفوذ ونقاط العبور، وكان هذا الصراع يَسْكُنُ حينًا وَيَشْتَدُّ أحيانًا، ليَتَطَوَّرَ إلى حروب طاحنة تأتي على الأخضر واليابس، كما وقع بين الذواودة وقبائل الشابية حول الأراضي الجنوبية من إقليم البايلك، وانتهت بتقسيمها بين القبيلتين وتحديد معالمها بما يقتضيه ممارسة النفوذ من حق التملك والاستغلال، لقد كانت هذه القبائل تشكل أحيانا شبه جمهوريات صغيرة داخل إدارة البايلك[1]، بما توفره لنفسها من أدوات ممارسة السلطة كاملة.

وقد يتحول الصراع القبلي أحيانا إلى نعرات جهوية وطائفية، حتى في أقدس الأماكن الدينية وخلال إقامة أنبل الطقوس التعبدية، كالحج مثلا ، فقد ذكر الورتلاني أن المشاجرات العنيفة كانت تَعْتَرِي ركب الحج، فينقسم أقساما عديدة حسب الأعراش، وقد ذكر مثالا على ذلك، في مرة من المرات حينما انقسم الركب فيها قرب مصر إلى قسمين، قِسْمٌ ضَمَّ سكان قسنطينة والجزائر (الحَضَرْ والبَلْدِيَّة)، وقِسْمٌ ضَمَّ سكان الجنوب القسنطيني (البدو) من "أهل عامر" و"قصر الطير" و"أولاد عبد النور" و"أولاد سعيد" و"بن سلامة" أهل بسكرة والمسيلة، وكافة حجاج الصحراء والزاب[2].

وقد استفاد الأتراك كثيرا من العداوة التي كانت بين القبائل[3]، و عَبَّرَ عن ذلك أحمد باي في مذكراته بقوله : " إن الحرب هي عادة الأعراب وأن الذي يريد أن يحكمهم قد يَتَحَتَّمُ عليه إبقاؤُها بينهم والتحريض على المنافسات بين القبائل المختلفة الأصول والأجناس"[4].

وعندما يلاحظ الباي أن إحدى القبائل تملك قوة ضاربة في جهة معينة و بإمكانها تكوين "وْطَنْ" فإنه يعهد رعايتها إلى أحد أقربائه أو خلصائه من شيوخها.

---

1 - أحمد سيساوي، **المرجع السابق**، ص 142.

2 - مختار فيلالي، **رحلة الورتلاني عرض ودراسة**، دار الشهاب، باتنة، الجزائر 1998، ص 140.

3 - أرجموند كوران، **السياسة العثمانية تجاه احتلال الجزائر 1827 / 1847**، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، ص 16.

4 - محمد العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1981، ص 47.

وكان كثير من القبائل النبيلة في بايلك الشرق قد حافظ على هيبته وقوته واستقلاليته، مثل عائلة "المقراني" بمجانة وعائلة "بن حبيلس" في جيجل وعائلة "بورنان" بفرجيوة وعائلة "بن عز الدين" في زواغة وعائلة "بن زعمون" في القبائل الغربية، ويعود هذا إلى الأسلوب الذي اتبعه الأتراك في تسيير شؤون البايلك والقائم على تقاسم السلطة مع القوى المحلية النافذة، وذلك بهدف تحقيق التوازن بين مختلف جهات البايلك سواء تعلق الأمر بالأسر السابق ذكرها أو بالقبائل الكبيرة كالذواودة في الجنوب القسنطيني والحنانشة في شرق البايلك وأولاد مقران في الجهة الغربية من البايلك[1].

وكانت القبائل الصحراوية الكبيرة يربطها الباي مباشرة بقوته وسلطانه، مثل بوعكاز الذواودة، وبن قانة في الجنوب القسنطيني بعد ظهورها على الساحة السياسية والذي يعد إعادة ترتيب وتكييف للبيت الداخلي، كلما طرأت عليه مستجدات معينة أو تغيَّرت موازين القوى فيه[2].

ويعني الاستقرار بالنسبة للقبائل الرحل القاطنة في الجهات الصحراوية، أن هناك تغييرٌ جذريٌّ قد طرأ في نمط معيشتها وفي مفاهيمها، فإما أنها امتلكت من القوة ما تستطيع أن تدفع به الشَّرَ عن نفسها وأفرادها، أو أنها صارت على استعداد لقبول الذل والخضوع ودفع المغارم للقبائل الأخرى الأقوى منها[3].

3- القيادات الدينية والمرابطية ومكانتها.

لعبت القيادات الدينية والمرابطية دورا كبيرا في إدارة بعض الجهات البعيدة عن النفوذ العثماني، فَتُعَيِّنُ في هذه الجهات من يحكمها من هذه القيادات مع التزامها بدفع أنواع الزكاة والضرائب كواجبات دينية ودنيوية، وكانت الإدارة العثمانية تتعامل بحذر مع القيادات الدينية المرابطية وتتجنب الدخول في صراع مباشر معها مادامت منصرفة عن إثارة الفوضى والتمرد ومنشغلة بأمور الدين والتعبُّد، وقد أورد "شارل فيرو" في المجلة الإفريقية لسنة *1867* فقرةً من نَصٍّ أَمْرٍ بتعيين مْرَابَطْ في منطقة جيجل من طرف باشا الجزائر تبين مدى الاحترام والتبجيل الذيٍ تلقاه هذه الفئة وهذا نصه : " الحمد لله وحده

---

[1] - *Leila Babès*, ***Tribus et structures sociaux et Pouvoir politique dans le province de Constantine sous les turcs,*** *D.E.A. Universite d'Aix Marseille 1981, p3* .

[2] - *Charles- André Julien*, ***Op.cit*** *, p 64.*

[3] - عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص *340*.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم من القواد والعمال الخاص والعام وجميع المتصرفين في الأحوال خصوصا قرية جيجل، أما بعد فإنّ حامله المعظم الأجل السيد الحاج بن أحمد المكي نجل القطب سيدي محمد أمقران نفعنا الله ببركاته آمين، أَنْعَمْنَا عليه وقدمناه مُرَابْطْ بقرية جيجل ... ولا يتعدى عليه أحد من أهل النوبة ولا من يكسر عليه حرمة لا أغا النوبة ولا غيره من سكان قرية جيجل من العسكر، هذا كله حرمة منا ولوقوفه مع النوبة في إتيان الأرزاق ولوجه جده المذكور ولطعمه الفقراء والمساكين.. كتب عن إدن المعظم الأرفع مولانا الدولاتي السيد علي باشا"[1].

4- الثورات ضد الحكم التركي.

شكلت الثورات والانتفاضات ضد الحكم التركي، عبئاً كبيراً على الإدارة المركزية فَهَدَّدَتْهَا في كيانها ووجودها، وفي هذا الصدد يرى محمد بن ميمون الجزائري في كتابه "التحفة المرضية"[2]، أن " الإدارة التركية كانت عاجزة على وضع القطر الجزائري كله تحت يد حكم واحد، لأن هناك من الجزائريين من هو ضد حكم الأتراك، فإذا غفل سعى في التهريج والتهويش فينتج عن ذلك الفوضى في البلاد وتمرد العباد"، لهذا قسم القطر إلى أربع ولايات ليكون سلطان الحاكم قريبا من الأهالي، إحداها تحت تصرف الباشا مباشرة، والباقي لحكام ينوبون عنه، ليسوا مكلفين بأمور الإدارة وحماية الولايات فحسب بل هم مكلفون كذلك بإدخال الضرائب لخزينة الدولة[3]، ويعد تحصيل الضرائب وجبايتها المحرك الأساسي للثورات الشعبية في الجزائر ولم يكن محرك هذه الثورات في أغلب الأحيان عرقيا أو سياسيا أو دينيا[4].

وقد سجل التاريخ العديد من الثورات ضد الحكم العثماني في بايلك الشرق الجزائري، الذي شهد أكبر الثورات وأشدها على مر العصور ضد الأجانب سواء كانوا رومانا أو عربا أو أتراكا، وقد ظلت بعض جهاته ممتنعة عن الأجانب طوال قرون عديدة

---

1 - حنوف علي، **السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري (نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي)**، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999، ص ص 22-20.

2 - محمد بن ميمون الجزائري، **المرجع السابق**، ص 253.

3 - **المرجع نفسه**، ص 253.

4 - أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800 / 1830**، جامعة الإسكندرية، 1988، ص 69. رسالة ماجيستير غير منشورة .

دون أن يتمكنوا من إخضاعها، كالجهات التي تقطنها قبيلة فليسة في بلاد القبائل أو منطقة زواوة في الشمال القسنطيني لصعوبة تضاريسها[1].

وكانت السلطة التركية تلجأ إلى وصف زعماء الثورة بالمغامرين والمشعوذين حتى تُصْرِفَ الناسَ عنهم[2]، ومن أهم هذه الثورات، ثورة "أحمد بن الصخري" التي امتدت من الزاب وحدود تونس حتى دار السلطان، حيث قاد جموع العرب والحنانشة والذواودة ضد العثمانيين، وهاجموا قسنطينة وامتدت الثورة نحو عنابة شمالا، وإلى مشارف الصحراء جنوبا وَجَنَّدَ لها "يوسف باشا" لخطورتها إمكانيات كبيرة للقضاء عليها وَوَضْعِ حَدٍّ لَهَا[3].

وفي عهد صالح باي شهد بايلك الشرق ثورة المرابط الزواوي، وثورة محمد الغراب، التي ارتبطت بكثير من الأساطير المعروفة[4]، حيث يذكر بعضها أن المرابط محمد الغراب الذي قضى عليه صالح باي تحول إلى غراب أسود كبير وكان يَتَبَدَّى له في الهواجس والرؤى المزعجة فَنَذَرَ أَنْ يَبْنِيَ له قبة ومزاراً في نفس المنطقة التي كان يعيش بها اتقاء شره.

أما في بدايات القرن التاسع عشر فقد اشتعلت ثورة ابن لحرش[5]، الذي تمكن من تهديد مدينة قسنطينة نفسها، وتحالف مع "عبد الله الزبوشي" مقدم الطريقة الرحمانية الذي كان متمركزا في قرية "رجاس" بناحية ميلة، وخَطَّطَا للإستيلاء على مدينة قسنطينة، لكن سكانها دافعوا عنها دفاعا مستميتا، وامتدت عدوى الثورة ولهيبها حتى مدينة جيجل التي قذفها الرايس حميدو عن طريق البحر، للقضاء على الثوار دون جدوى، وامتدَّت شرارة

---

[1] - *Venture De Paradis, Tunis et Alger au XVIII siecle, la Bibliothèque Arabe Sindibad, Paris, 1980, p118.*

[2] - أرزقي شويتام، **المرجع السابق**، ص 77.

[3] -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ص ص 213، 217.

[4] - **المرجع نفسه**، ص ص 213، 217.

[5] - كان ينتمي للطريقة الدرقاوية التي كانت منتشرة كثيرة بالغرب الجزائري ومستقلة عن الزاوية الأم الموجودة بالمغرب الأقصى، وتعد منطقة الونشريس المقر الرئيسي للطريقة ويلزم الأتباع ألا يعترفوا إلا بالشرع الإسلامي ومعارضة كل إنسان يمارس السياسة واحتقار كل ما هو بعيد عن الإسلام لهاذا فهم لا يلجؤون إلى الحواضر إلا لقضاء حوائجهم ونشر دعوتهم كثيري الذكر والعبادة والصلاة قليلي الكلام مجبرين على الجهاد ورهن إشارة شيخهم لمزيد من الإطلاع انظر، إدوارد دونوفو، **الإخوان**، دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ت كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص 88.

الثورة حتى سهول بجاية، واستمرت مشتعلة متأججة خلال الفترة الممتدة من 1804 إلى 1807[1].

وكان من أهم نتائج هذه الثورة، حدوث الوحشة والجفاء بين الطرق الصوفية والحكم التركي[2]، الذي كان رد فعله شديدا حيث قام بتضييق الخناق على الطرق الصوفية، ومنها الطريقة القادرية، التي كانت منتشرة خاصة في الغرب الجزائري، وفي المقابل فقد رفض بعض زعماء الطرق الصوفية مَدُّ يَد المساعدة للمدن التي كان يحكمها الأتراك، بعد سقوط مدينة الجزائر سنة 1830، فتركَت على سبيل المثال مدينة وهران دون نجدة في مقاومة الإحتلال الفرنسي وَتُرِكَ الباي "حسن" حَاكِمَهَا لمصيره[3]. كما ساهمت هذه الثورات كذلك في تردي الأوضاع الأمنية وركود الإقتصاد بشمال بايلك الشرق[4] لسنوات طويلة.

ثالثا / لماذا تمركزت الأسرة في منطقة الزاب؟

1 – أهمية الصحراء في الصراع ببايلك الشرق.

يَنْسبُ "أرنولد توينبي" حضارة بدو الصحراء إلى" الحضارات المتطلعة أي الحضارات التي ظلت على قيد الحياة ولكنها أخفقت في متابعة نموها بسبب البيئة الصحراوية وجفافها ويعتبر استجابة البدو لتَحَدِّيهَا عَمَلاً فَذًا "، وبالمقابل لم يغادر البدوُ مسرحَ التاريخِ دون أن يخلفوا علاماتهم المميزَة كالإغارة على الجيران.

و"البداوة مجتمع بلا تاريخ، والقبيلة تدور في مدارها السنوي، قد تدور إلى الأبد إن لم تظهر قوة خارجية توقف حركتها، بفعل ضغط الحضارات القائمة حولها"[5]، فَتُحَوِّلَ قوةَ هذه القبيلة أو تلكَ لفائدة صراعٍ بين قوًى أخرى.

ولعبت الصحراءَ في منطقة المغرب العربي على مر العصور أدوارا أساسية ومارست كثيرا من التأثير على شمال الجزائر تماما في بعض الأحيان كالتأثير الذي كان يحمله البحر

---

1 – محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص 26.

2 – محمد بن ميمون الجزائري، **المرجع السابق**، ص 253.

3 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ط2، (م. و.ك)، الجزائر، 1985، ص217.

4 – صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تحق رابح بونار، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1974، ص 33.

5 – هشام الصفدي :« دور الصحراء في تاريخ الجزائر »، في **مجلة الثقافة**، العدد 11، سنة 1972، ص 32.

الأبيض المتوسط، وعندما نسقط هذا القول على منطقة صحراء الجنوب القسنطيني نلاحظه يتجلى إلى أبعد الحدود في ما لعبته أسرة بن قانة من أدوار بارزة، بعدما أدركت العمق الاستراتيجي للصحراء وتعدد أطراف الصراع فيها، ومهما يقال في ترجيحها الخضوع لفرنسا وولائها لها، فقد ساهمت بصورة كبيرة في تسهيل مهمة قوات الإحتلال في التوغل في هذا الإقليم، الذي وصفه المستكشفون الأوائل بأوصاف شتى تبرز صعوبته وقساوته، قبل أن يطلعوا على واحاته وينابيعه ونخيله، ولقد كانت المصالح متبادلة بين الأسرة من جهة التي كانت ترغب في الإحتفاظ بلقب شيخ العرب وعدم التفريط فيه "مهما كان الثمن"، وبين سلطات الإحتلال التي وجدت في الأسرة الإستعداد الدائم للتضحية بكل شيء في سبيل حماية مكانتها السياسية والاجتماعية، فهي بالنسبة لها فرصة سانحة لا تُعَوَّض، استغلتها إلى أبعد الحدود لإخضاع قبائل الجنوب تارة بالولاء والمراوغة وتارة أخرى بحد السيف، خاصة زمن اندلاع الثورات الشعبية[1].

وقد اعترف بذلك كثير من المؤرخين وأثنوا على الدور البارز والولاء الكامل للأسرة في هذه المحطات الحاسمة والدقيقة، فعلى سبيل المثال يذكر قوفيون في معرض حديثه عن أحداث النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والتي شهدت نشوب العديد من المقاومات الشعبية ضد الإحتلال الفرنسي:"خلال هذه الفترة الجد مضطـــــربة 1865 / 1870، وبفضل قوة التأثير التي تملكها أسرة بن قانة تَحَكَّمْنَا في القبائل رغم قوتها وَتَأَثُّرِهَا بالعناصر الثورية الخطيرة، إن خدمات بن قانة كانت رائعة وبفضلها تمكنا من الاحتفاظ بمواقعنا في الجنوب"[2].

2- التعريف بالزاب.

وقبل أن نتطرق إلى الدوافع التي كانت وراء اختيار الزاب كمركز حكم لكثير من الأسر الفاعلة، يجدر بنا في البدء أن نعطي لمحة عن الزاب وأقسامه ومكوناته وتاريخه وأهميته، حتى ندرك قيمة هذه المنطقة وتأثيرها في مجريات الأحداث ببايلك الشرق.

والأكيد أن المؤرخين والجغرافيين في القديم اختلفوا كثيرا في تحديد إقليم الزاب وأقسامه، فإذا كان "ياقوت الحموي"[3] يدرج ضمن هذا الإقليم مدن بسكرة وتوزر وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفزاوة وبادس وبلاد ريغ، فإن "ليون الإفريقي" كان أكثر دقة

---

1 - *Gouvian, (M.et E), **Op.cit** .p11.*

2 - ***Ibid**, p 11.*

3 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المجلد الثالث، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1906، ص326.

وتحديداً، حيث يذكر أنّ الزاب إقليما يضم خمسة مدن هي: بسكرة، البرج نفطة، تلكة، دوسن[1]، ويقع هذا الإقليم في وسط مغازات نوميديا يبتدأ غربا من تخوم المسيلة يحده شمالا مملكة بجاية وشرقا بلاد الجريد وجنوبا القفار الصحراوية الرملية[2]، التي تحاذي طريق توقرت نحو ورقلة، شديدة الحرارة، كثيرة الرمال، قليلة الماء، قليلة زراعة الحبوب، لكنّ عَدَدَ الحدائق والنخيل بها لا يحصى[3].

أما ابن خلدون فقد حدد إقليم الزاب وصفا وجغرافية بما يلي : " والزاب إسم لهر وصقع في بلاد المغرب من إفريقية ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

1 - **الزاب الشمالية** وتضم : يوشعرون وليخانا وفرقار وتولجة والبرج وفوقالا والعمري وزاتشة(الزعاطشة)، هاته الأخيرة تقع إلى الجنوب الغربي من بسكرة فيها نخل وبساتين كثيرة .

2 - **الزاب الجنوبية** تشمل : مليلي وأورلال وبني تيوس وسيرة وليوا .

3 - **الزاب الشرقية** وتضم : سيدي ناجي وليانا وبادس وزريبة الوادي وزريبة أحمد وبسكرة (قاعدة الجميع) وشتمة ودروج وسريانة وغرنة وسيدي عقبة وأوماخ "[4].

وجاء تعريف إقليم الزاب في دائرة المعارف الإسلامية، على أنه إقليم في بلاد الجزائر، واطلق الزاب (والجمع زيبان) على المنطقة التي حَوْلَ بسكرة وطولها *125* ميلا من الشرق إلى الغرب وما بين *30* إلى *40* ميلا من الشمال إلى الجنوب، وهي سهل منبسط يتلاشى تدريجيا حتى يندرج في الصحراء، تحده شمالا المنحدرات الجنوبية للأطلس الصحراوي، والإتصالات بينه وبين قسنطينة والحضنة ميسورة بسبب الفتحات الطبيعية الموجودة في السفوح الجنوبية للأوراس وفي جبال الزاب الواقع في الغرب، أما مناخه فهو متأثر بالصحراء ولذلك فالمطر فيه نادر عارض لا يكفي في الأوقات العادية لزراعة الحبوب غير أن المياه المنحدرة من الجبال تقوم بري المزروعات الواحية في مواضع كثيرة تسقي أكثر من *800* ألف نخلة[5].

- ليون الافريقي، **المرجع السابق**، ص *32* .
- انظر خريطة الزاب في **الملحق رقم *8*** .
- ليون الافريقي، **نفس المرجع**، ص *138* .
- انظر خريطة مدن الزاب في الملحق رقم *9* .
- أحمدي محمد قنت و حورشيد زكي إبراهيم، **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد *13*، بدون معلومات، ص *318* .

3- بسكرة قاعدة الزاب.

- الإطار الطبيعي .

لا شك أن مدينة بسكرة هي أهم مدن الزاب وأكبرها، اتخذت إسمها من اسم مؤسسها "بسكرة بن كهيل" بن لؤي بن إبراهيم عليه السلام[1]، وبعضهم يقول أنها تستمد تسميتها من كلمة سكرة *Ivresse* ، التي تعني حالة النشوة التي يصير عليها من يتناول الخمر فيذهب وعيه ورشده، وير آخرون أن أصل التسمية يعود إلى عبارة " فيسيرا " أو" فسيكرا " وهي كلمة رومانية تعني المحطة أو الموقع الاستراتيجي أوربما نسبة إلى " سكرة " لحلاوة تمورها ومياهها المتدفقة، ورأي آخر ينسب إسم المدينة إلى كلمة "أدبيستام" وهي عبارة رومانية تعني المنبع نسبة إلى حمام الصالحين[2].

ومهما قيل في سبب التسمية فالمسمى واحد هو مدينة بسكرة التي تتمتع بتاريخ حافل منذ أقدم العصور، وكفاها فضلا أن بإحدى قراها تجثم رفات الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفاتح العربي، تعرف بمدينة "سيدي عقبة" تَيَمُّنًا به[3].

واختلف المؤرخون كذلك في وصفها ما بين مادحٍ ومنوهٍ بها وبخيراتها وثرواتها وسكانها، وبين من يقدح فيها لا لشيء سوى لحرها ورمالها ورمضائها، والقاسم المشترك بينهم جميعا أنّ بسكرة تمتاز برغم كل ذلك بموقعها الإستراتيجي الممتاز، إذْ تشكل همزة وصل بين الشمال الشرقي للتل الجزائري الرطب وبين الجنوب الشرقي الصحراوي[4].

ويفصلها عن الشمال التلي سلاسل جبلية منيعة تتمثل في جبال بلازمة وجبال الأوراس وجبال النمامشة، ولا تشبه أية منطقة في الأطلس الصحراوي بالجزائر موقع

---

[1] - *Charles Louis Féraud: "Kitab ElAdouiani,ou le Sahara de Constantine et Tunis" , in R. S.A.C. v2 , Challamel Aine éditeur , Paris 1868 , p 153 .*

انظر كذلك العدواني، **تاريخ العدواني**، المرجع السابق، ص301.

[2] - فوزي مصمودي :« بسكرة عروس الزيبان وبوابة الصحراء »، **مجلة الفيصل**، العدد 315 نوفمبر/ ديسمبر، 2002، ص07.

[3] - مدينة سيدي عقبة تبعد عن مدينة بسكرة نحو 17 كلم إلى الجنوب الشرقي، بها ضريح الصحابي الجليل " **عقبة بن نافع** " الذي استشهد في موقعة قهودة ضد جيوش كسيلة سنة 64 هـ 673 م

[4] - *Jean Despois : "La Bordure Saharienne de l'Algérie Orientale" ,in,R. A N° 1942 , p197 .*

بسكرة سوى منطقة تملالت بالهضاب العليا الغربية[1]، أما من جهة الشرق حيث إيالة تونس فيفصل بسكرة عنها مساحات شاسعة من الكثبان الرملية والشطوط، كَشَطِّ "ملغيغ"– 28 م، والأودية كوادي "جدي" ووادي "العرب"[2]، وترتفع مدينة بسكرة عن سطح البحر بـــ : 111 متر، وتمتاز برغم وقوعها على مشارف الصحراء بجوها المنعش وهواؤها العليل[3].

المحيط البشري.

انعكس مناخ المنطقة القاري الجاف (حار جاف صيفا وبارد قليل الأمطار شتاء) على اقتصادها ونشاطها التجاري ومحيطها البشري، حيث تنتشر واحات النخيل في كثير من مناطقها الجنوبية الشرقية والغربية بفضل توفر المياه الباطنية والسطحية التي تلعب دورا كبيرا في إرواء سلسلة الواحات الممتدة على طول الشريط من "أولاد جلال" مرورا بـ"طولقة" "بسكرة" وحتى "زريبة الوادي"[4]، تلك الواحات التي يعتمد عليها السكان اعتمادا كبيرا في معيشتهم.

وقد كان لقساوة الطبيعة في هذه البيئة الصحراوية وصعوبة الحياة الأثر العميق على السكان، فاصطبغت حياتهم بلون من الشدة والبأس والصلابة والقوة[5]، حيث تكثر بالجهة العقارب والأفاعي، وأرضها القاحلة والقليلة الإنتاج والتي لا تسد عَوَزَ السكان تدفعهم للهجرة في أغلب الأحيان نحو الشمال أو تضطرهم إلى احتراف التبادل التجاري بالمقايضة[6]، وربما ساهمت هذه الشدة في دعم قدراتهم العسكرية والقتالية، ويعتبر "أرنولد توينبي" استجابة البدو لتحدي الصحراء بقساوتها وجفافها عملا فذا[7]، ورغم هذه الصورة القاتمة التي رسمتها الظروف الصحراوية القاسية فإن سكانها يتميزون بالهدوء

---

1 – *Gautier.E.F ,**Structure de l'Algérie** , Société d'Editions Géographiques et Scientifiques , Paris , 1920 , p32.*

2 - مجموعة من المؤلفين، **الأطلس العالمي**، نشر وطباعة المعهد التربوي الوطني الجزائر، بدون تاريخ، ص 17 .

3 - عبد الحليم صيد، **أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة**، ط1، واد سوف، 2000، ص 42.

4 - إبراهيم مياسي، **المرجع السابق**، ص 98.

5 - **نفس المرجع**، ص 98.

6 - بطرس البستاني، **دائرة المعارف**، المجلد 9، دار المعرفة، بيروت، ص 150.

7 - هشام الصفدي، **المرجع السابق**، ص 31.

والمسالمة، ورغم الفقر إلا أنهم متأدبون ومخلصون[1]، وهم شعب جدِّيٌّ احتكر الكثير من الوظائف، كصناعة الخبز والأشغال العامة، وكان لهم مكانة في المجتمع الجزائري في هذه الفترة، والمقيمون منهم في مدينة الجزائر كانوا يتمتعون بامتياز التبعية لأمين يمثلهم وتعترف به الحكومة[2].

لمحة تاريخية .

تعاقبت على المنطقة أمم عديدة منذ العصور الحجرية القديمة إلى الفتح الإسلامي، فحسب المؤرخين اليونانيين "هيرودوت" و"سالوست" والرحالة القرطاجي "هانون" فقد سكن هذه الجهات الصحراوية في فترة ما قبل الميلاد، "اللوبيون" و"الأثيوبيون" و"الجيتوليون" وكانوا يتنقلون باستمرار بحثا عن الماء والكلإ[3].

ونظرا لميزتها الجغرافية الهامة فقد شهدت منطقة بسكرة وما جاورها من الزاب نشاطا تجاريا حثيثا، وَمَرَّتْ بِتُخُومِهَا العديد من القوافل المحملة بالذهب والجلود وريش النعام والعبيد، مُتَّجِهَةً نحو الشمالَ أو محملةَ بالأقمشة والحلي والملح والأحجار الكريمة ومتجهة هذه المرة نحو الجنوب، ويذكر بعض المؤرخين بأن بسكرة مدينة عريقة في القدم، أُسِّسَتْ أَيَّامَ كانَ الرومانُ يحكمون بلاد البربر وخربت بعد ذلك ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الاسلامية إلى إفريقيا، وهي الآن عامرة كما ينبغي، مثلما عبّر على ذلك ليون الإفريقي، وسكانها فقراء لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمر[4].

وفي مرحلة الفتح الإسلامي أدرك الفاتح المسلم "عقبة بن نافع" أهمية طريق الغرب الذي يقود نحو المغرب الأوسط مرورا بمنطقة الزاب، حيث كان ملك البربر "كسيلة" يُخَيِّمُ شمالها، أي في منطقة الأوراس المنيعة. وبذلك تمكن عقبة من تحقيق النصر على خصومه في مناطق الزيبان والأوراس وكل جهات الشرق الجزائري في حدود سنة 678م، وقد تم إخضاع المنطقة نهائيا بعد مقتل كسيلة والكاهنة، وكانت قبائل زناتة هي أولى القبائل التي اعتنقت الإسلام[5].

---

1 - ليون الافريقي، **المرجع السابق**، ص *138* .

2 - وليام شالر، **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر *1816 / 1824***، ترجمة وتحقيق اسماعيل العربي، (س.و.ن.إ.)، الجزائر، *1982*، ص *109* .

3 - ابراهيم مياسي، **المرجع السابق**، ص *98*.

4 - ليون الأفريقي، **المرجع السابق**، ص *312*.

5 - عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر...**، ج*4* ، مطبعة بولاق، القاهرة، *1967*، ص*129* .

وتوالت المؤثرات الفكرية والسياسية في منطقة الزاب وبسكرة خاصة، ففي القرن الأول للفتح الإسلامي احتضن شمال بسكرة مذهب الخوارج الذي عرف انتشارا كبيرا في المغرب العربي، ثم احتضنت نفس المنطقة في القرن التاسع الميلادي المذهب الشيعي فشهد الزاب عدة معارك كان الأغالبة طرفا فيها[1]، ودانت المنطقة بعد ذلك لسلطة الفاطميين في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، ثم خضعت للحماديين أيام "الناصر بن علناس"[2].

ومع هجرة قبائل بني هلال وبني سليم إلى المغرب الأدنى والأوسط في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي[3]، عرفت المنطقة تركيبة بشرية جديدة بفضل اندماج هذه القبائل مع البربر "السكان الأصليين" بالمصاهرة والجوار، رغم تصدي قبائل الذواودة التي كانت تسكن الزاب لهذا الزحف[4]، فقد تشكلت في النهاية ثلاثة بطون أساسية بسطت نفوذها في جنوب بايلك الشرق هي :

- **كرفة** في منطقة "عين البيضاء" .
- **أولاد صاولة** في منطقة الزاب .
- **الذواودة** في منطقتي الزاب والحضنة[5].

ويذكر العدواني في تاريخه الذي ترجمه ونقله في المجلة الإفريقية المؤرخ الفرنسي "فيرو"، أنّ المنطقة تعرضت لمجاعة كبيرة فغادرها جميع سكانها ما عدا أولاد داوود[6]، الذين ربما انحدر منهم الذواودة شيوخ العرب والصحراء في ما بعد وقد أيّد فيرو هذا

---

1 - موسى لقبال، **المغرب الاسلامي**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1969، ص 212.

2 - ابراهيم مياسي، **المرجع السابق**، ص 100.

3 - من عوامل هجرة بني هلال وبني سليم إلى شمال إفريقية أن هذه المنطقة كانت على مذهب الشيعة ولما تولى المعز بن باديس الصنهاجي الحكم دله العلماء وأدبوه على مذهب مالك فاجتهد في إعادة هذا المذهب إلى البلاد فأخذ المعز يتحلل شيئا فشيئا من الولاء للفاطميين وأسرع الخليفة العباسي بالعهد إليه فقرئ في المساجد وأحرق المعز رايات الفواطم وكان انتقام الفاطميين أن سيروا جحافل بني هلال وبني سليم إلى المغرب الأوسط والأدنى وعرضوا عليهم أن يملكوا البلاد التي يفتحونها وكان ذلك في حوالي منتصف القرن الحادي عشر ميلادي. لمزيد من الإطلاع انظر ألفرد بيل، **المرجع السابق**، ص ص 208 - 212.

4 - عبد الوهاب منصور، **قبائل المغرب**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص 418.

5 - محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل العربية**، المجلد 2، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 1024. وانظر كذلك اسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، (م.و.ك.)، الجزائر، 1983، ص 143.

6 - *Charles Louis Féraud, Kitab El Adouani,* **Op. cit**, *p84.*

القول، حيث اعتبر أن الذواودة كانوا منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، يسيطرون على السهول المترامية الأطراف حول قسنطينة، ومنها كانوا يتوغلون نحو الصحراء بحثا عن الكلأ والعشب لقطعانهم ومواشيهم الكثيرة، وقد ثَبَّتوا سلطانهم ومكانتهم بحدّ السلاح، وما هي إلا فترة قصيرة حتى استوطنوا كل الزاب ووادي ريغ حتى مدينة ورقلة[1].

ومن خلال ماذكره ليون الإفريقي يبدو أن المدينة تعرضت لحكم الحفصيين حتى سنة *1488*، ثم تخلصت منه بعد ثورة سكانها عليه ومنذ ذلك التاريخ تخلصت نهائيا من الحكم الحفصي[2].

وكانت منطقة بسكرة والزاب بصورة عامة في منتصف القرن *16* على موعد مع بروز النفوذ التركي في المنطقة، وفي سنة *1539* تمكن حسين أغا من فتح مستغانم، ثُمَّ بَعْدَ سَنَة منْ ذلك تقدَّم نحو الجنوب الشرقي فاستولى على عاصمة الزاب بسكرة وملحقاتها[3].

ولم تستقر المنطقة نهائيا بأيدي الأتراك حيث شهدت سنة *1552* وما بعدها ثورة حكام "توقرت" و"ورقلة" عليهم معتمدين على بعد المسافات التي تربط جهتهم بالعاصمة، فَسَيَّرَ "صالح ريس" ضدهم حملة عسكرية كبيرة، انتهت بإعادة الأمور إلى نصابها والعودة بغنائم كثيرة[4].

هذا وقد تناول تاريخَ "بسكرة" خلال العهد التركي صنفان من الكتابات هما:

أ - الكتابات العربية .

وتتمثل خاصة في ما تركه الرَّحَّالةُ العرب من كتابات وملاحظات حول المدينة حينما مَرُّوا بها، في هذه المرحلة من التاريخ ورسموا للمدينة صوراً مشرقةً عموما واعترفوا من خلال كتاباتهم بمدى تأثرهم بسحر المنطقة وجمالها، ونذكر منهم :

الرحالة الدرعي : مَرَّ بالمدينة ومنحها صورة ووصفا مشرقا فقال : " أما بسكرة فقد عرفت بجامعها الواسع المتقن البناء ذي المئذنة الطويلة التي تبلغ *140* درجة، وهي من

---

[1] - *Charles Louis Féraud : « Les Déscendants d'un Personnage des Mille et Une Nuits en Algérie » in **R.A** , N32 , 1878 , p14.*

[2] - ليون الافريقي، **المرجع السابق**، ص *138* .

[3] - عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج*2*، المطبعة العربية، الجزائر، *1955*، ص*315*.

[4] - *Henri-Delmas de Grammont , **Histoire d'Alger sous la Domination turque 1515-1830** , Edition Bouchene , Paris, 2002, p 82 ,*

أنجب المدن وأجملها فما رأيت أحسن منها في جميع المدن شرقا و غربا لوجود أسباب المعاش فيها"[1].

الرحالة مولى أحمد :(ذكره الكاتب الفرنسي ماركايو ***Marcaillou*** المشار في كتابه بسكرة زيبان الجزائر، المشار إليه في الهامش) وذكر أن هذا الرحالة مَرَّ بمدينة بسكرة سنة *1710*، وَوَصَفَهَا بأنها مدينةٌ جميلةٌ وكثيرةُ الكسب، لكثرة السكان والتجارةُ فيها مزدهرة، والزراعة في نُمُو وتَحَسُّنٍ مستمرٍ" ***Florissante*** "، وأضاف بأن موقعها بين التَلِّ وَالصَّحْرَاءِ كان له دورا بارزاً في ثرائها، حيث الزيتون والنخيل والمياه المتدفقة ومطاحن الحبوب التي تشغل بالمياه والمزارع والحيوانات[2].

الرحالة أبو القاسم الزياني (*1734* – *1809*) اعترف بأنها من أحسن المدن لكثرة مرافقها وخصبها وتوسطها بين التل والصحراء - إشادة بالموقع الاستراتيجي - وبها مساجد معتبرة البناء، وأهلها تحت قهر الأتراك ومذلة العرب[3].

الرحالة الحسين الورتلاني صاحب كتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، زار المنطقة في بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، ورغم أن أوصافه تناولت في مجملها كثيراً من السلبيات التي أفرزتها الأوضاع الاجتماعية والفكرية المتردية كالبدع والخرافات، وجور الحكم التركي وتطرُّف الطبيعة[4]، فقد أشار في نفس الوقت إلى استقرار جهة الزاب وانتشار الرخاء بها، وأنَّ أسعارها متدنية مقارنة بما يجاورها من مناطق، وهو ما يفسر لنا تحسن الوضع الاجتماعي والاقتصادي في هذه الفترة التي كان يزورها فيها[5].

---

1 - أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص *180*.

2 - *Marcaillou,* ***Biskra les zibans, Algérie****, impression Henri Bacconier , Alger, 1954, p 16.*

3 - أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، *1967*، ص *149*. وللتذكيرفإن الزياني قام بهذه الرحلة من المغرب الأقصى إلى إسطنبول برا ثم العودة منها بحرا، ودوّن حلالها مشاهداته والأخبار التي استقاها حول أحوال البلاد والعباد في تلك الفترة).

4 - الحسين الورتلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، الجزائر، *1908*، ص *110*.

5 - مختار فيلالي، **المرجع السابق**، ص *37*.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2 بسكرة في نظر الأوروبيين .

بنوع من الكراهية والنظرة الضيقة، تعرض للمدينة بالوصف "مارمول" حيث ذكر أن مدينة بسكرة مدينة قديمة "بناها الرومان وَدَمَّرَهَا العَرَبُ أَتْبَاعُ مُحَمَّد"،ثم أعادوا بناءها، وعندما دخل "الْهَرَاطِقَةُ" من أتباع هذه النِّحْلَة إفريقيا استوطنوا هذه المدينة بطريقة سيئة، ثم ذكر أن "جدرانها من الطوب وسكانها فقراء معدمون، لا يملكون سوى إنتاج التمور، وبيوت بسكرة ملأى بالعقارب السامة والسكان لا يقيمون الصيف إلا في القرى والأرياف ثم يعودون إليها في شهر نوفمبر وهي الآن بيد الترك الذين غزوها في عهد حسن أغا"[1].

وفي المقابل، فما من شكٍّ أن مدينة بسكرة التي يطلق عليها اصطلاحا عروس الزيبان، كانت مدينةً جميلةً متلألئة تأثرّ بجمالها الفاتن كثيرٌ من الأدباء والشعراء الأوروبيين، منهم لويس برتران *Louis Bertrand*، وروبارت هاتكينس *Robert Hatkins* الذي كتب فيها كتابه المشهور جنة الله *The Garden of ALLAh* الذي لقي رواجا كبيرا ونجاحا منقطع النظير في أوساط القراء خلال أواخر القرن التاسع عشر، وسافر إليها الرَّسام "فرنسيس جامس" *Francis James*، باحثا عن ألوان جديدة، فانبهر بأشجار النخيل التي تَخْرُجُ من بين كثبان الرمل وتعانق زرقة السماء، وشَبَّهَهَا بِبَاقَاتٍ من حديدٍ تقطع شواطئ[2] ساحل الآزور[3] *La Cote d'Azure*.

رابـــعا/ لقب " شيخ العرب ".

1- لماذا عبارة "الشيخ"؟.

ستبقى دوما عبارة " الشيخ " في الفكر العربي والإسلامي تحتل حيّزا مهما، مثلما تحتلُّ مجالا معتبرا وقيماً ساميةً ضمن قواميس الحضارات الانسانية السابقة خاصة حضارات الشرق، فالشيخ ضمن هذه المنظومة الانسانية، يمثل رمز الوقار ورمز الورع والطهر والقدرة على التأثير في الآخرين، كما أنه يمثل ملتقى التجارب والخبرات التي

---

[1] - *Marmol , l'Afrique de Marmol, traduction de Nicolas Oenot Fesion d'Ablancourt , tome 3, Paris , pp 437 – 444*

[2] - شواطئ الآزور *La Cote d'Azure* تقع في الجنوب الشرقي لفرنسا مطلة على البحر الأبيض المتوسط تتميز بمناظرها الخلابة وشواطئها الساحرة التي يقصدها السياح من كل جهات العالم لجمالها.

[3] - *Marcaillou, Op.cit, p 16.*

يفتقدها الكُهُولُ والشَّبابُ وَيُجَسِّدُ مَكَامِنَ الصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ، وَبُعد النظر والحكمة رغم الضعف الجسدي والبنيوي، مما جعل كثيرا من التنظيمات الاجتماعية تسند مهمات جليلة ومسؤوليات جسيمة لهذه الفئة.

وحينما نَلِجُ مجال البحث في التاريخ العثماني، تَسْتَوْقِفُنَا عدةُ مناصب سياسية وإدارية قديمة ومستحدثة تتصل بلفظة "الشيخ"، غير أن مدلولها يختلف من منصب لآخر، فمنها شيخ القبيلة التي تعد أساس البناء الإجتماعي والسياسي، حيث يتولى شيخ القبيلة رئاستها وإدارة شؤونها، ويشترط فيه أن يكون من ذوي العصبية الكبيرة، ومن أسرة ذات وَجَاهَة وَشَأْن، تَشُدُّ أَزْرَهُ وَتُعِينُهُ على تنفيذ سياسته وأوامره والإستمرار في منصبه،

وتكونُ الرئاسة في القَبيلة في أغلب الأحيان وراثية، وهوما أكده من قبل ابن خلدون في مقدمته حيث يقول:" ذلك أن الرياسة لا تكون إلا بالغَلَب وإنما الغَلَبُ يكون بالعصبية فلا بد في الرياسة على القوم، أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة، لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس أقروا الإذعان والإتباع"[1]، وهكذا فإن شيخ القبيلة يجب أن ينحدر من القبيلة نفسها التي ينتمي إليها ويقودها، وأن يكون رجلا اجتماعيا وله القدرة في التأثير في أقرانه وبقية أفراد القبيلة، وإذا كان الخليفة والأغا والقائد لا يشترط في وظائفهم صلة القرابة بالقبيلة التي يديرون شؤونها، فإن الأمر يختلف بالنسبة لشيخ القبيلة، الذي يمثل محور الإدارة المحلية وتتعدد وظائفه فهو من يقود الشرطة ويراقب التجار ويحصي الممتلكات وينظم الجباية، وهو المسؤول الأول عن أحوال السلم والحرب[2].

ويساعد شيخ القبيلة في أداء مهامه، مجلس قبلي محلي يجتمع في بيت الشيخ يناقش مختلف الشؤون المتعلقة بالقبيلة[3]، وهذا ما يمنح لقرارات الشيخ مصداقية أكبر، وينفي عنه صفة الاستبداد واحتكار السلطة.

---

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص *111*.

[2] – *Abdelatif Benachenhou, **l'Etat Algérien sous l'Emir Abdelkader** sans date , p 92 .*

[3] – عبد الكريم جودت يوسف، **المرجع السابق**، ص *251*.

و"شيخ الإسلام"[1] هو الآخر منصبٌ على شاكلة شيخ القبيلة من حيث التجانس اللفظي أما من حيث الجوهر فهو يختلف تماما عنه، وأول من تلقب به قبيل العهد التركي بالجزائر أسرة " أولاد عبد المؤمن" حيث تحصلت على لقب شيخ الإسلام في مقاطعة قسنطينة من طرف الحفصيين، وكان بيد بعض أفرادها في هذه الفترة "إمارة الركب"[2]، وعندما خضعت قسنطينة للحكم التركي والذي يرجحه فايسيت سنة *1534*، رفضت أسرة عبد المؤمن مد يد المساعدة للأتراك ، وبعد زمن قليل من ذلك اندلعت ثورة سكان المدينة على الحامية التركية وقتل الحاكم، وَلَمْ يَكُنْ أمام الأتراك خياراً آخر سوى إبعادَ أسرة "عبد المؤمن" والبحث عن أسرة جديدة تمنحها مشيخة الإسلام وإمارة الركب، فوجدت ضالتها في "آل الفقون" فَقَدَّمَتْهُمْ ورفعتهم لهاته المنزلة، ومن أجل ذلك ربط هؤلاء أنفسهم بالنسب الشريف، رغم أن بعض الباحثين يؤكدون أنهم ينحدرون من قبيلة فقونة بالأوراس[3].

وقد لعب العلماء في المدينة دوراً أساسياً في إضفاء الشرعية أو خلعها عمن يشاؤون، ففي ثورة *1637* التي قادها الحنانشة والذواودة ضد الحكم التركي في بايلك الشرق والتي اتَّسَمَتْ بالعنف والشمول وكادت تقتلع جذور الحكم التركي فيه وهددت وجوده، لكنَّ تَأَخُّرَ عُلَمَاءِ "قسنطينة" و"عنابة" في تأييدها وإعلان الولاء لها كان سبباً في

---

1 – وَرَدَ تعريف "شيخ الإسلام" في دائرة المعارف الإسلامية بأنه لقب من ألقاب التشريف التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وكان هذا اللقب مقتصرا على العلماء والمتصوفين شأنه في ذلك شأن ألقاب التشريف المركبة الأخرى، لكنه كان أوسعها استعمالا، وبلغ أوجه في الدولة العثمانية، وكانت وظيفة شيخ الإسلام تقتصر في ما مضى على سلطانه في إصدار الفتاوي لتنظيم شؤون المسلمين، غير أن هذه الفتاوي التي كانوا يصدرونها في المسائل السياسية وكانت تتعلق بالصالح العام كان لها علاقة بالمجال السياسي وكانت تكتسي أهمية كبيرة، حيث تساهم بطريقة غير مباشرة في التشريع السلطاني وذلك بالإفتاء بشرعية القوانين من عدمها، ويحفل التاريخ الإسلامي بعدة حوادث تتعلق باصطدام الفتاوي الشرعية بالتشريعات السلطانية، منها فتوى الشيخ "أبو السعود" الذي عاش أواخر القرن *16* والمتمثلة في معارضة السلطان العثماني الذي أراد حمل جميع النصارى في الأميراطورية المملكة على الدخول في الإسلام قهرا وغصبا.. انظر إبراهيم زكي خورشيد، **المرجع السابق**، ص *477–478*.

2 – إمارة الركب تعني قيادة قوافل الحج إلى البقاع المقدسة.

3 – *Ernest Mercier : « Constantine au 16ème siécle , Elévation de la famille El Feggoun » , in R.S.A.C , 1878 , p 218 .*

زوالها[1]، دون أن تحقق شيئا من أهدفها، وهذا ما يبرز بجلاء مكانة فئة العلماء والفقهاء والقضاة في هذه الفترة.

ومنه يمكننا القول أن منصب شيخ الإسلام هو منصب سياسيٌّ وديينٌّ ولقب من ألقاب التشريف التي ظهرت لأول مرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وبلغ هذا اللقب أوجه من حيث الإستعمال لدى سلاطين الدولة العثمانية[2]، يتمحور حول الحفاظ على شرعية نظام الحكم، وتثبيت أركانه وإبطال محاولات الخروج عليه مهما كانت الأسباب، طالما أن هذا النظام مُتَمَسِّكٌ هو الآخر بالاسلام ومنفذاً لأحكامه ومراعيا لتعاليمه بصورة عامة، وقد يتدخل شيوخ الإسلام بترجيح المصلحة حينما يَحِيدُ الحاكم عن الشرع ويستبد بهواه، مثلما قام به شيخ الإسلام عبد الرحمن بن الفقون مع صالح باي حينما رفع عنه الشرعية وسلمه لقاتليه الذين كلفهم باشا الجزائر بالقضاء عليه سنة 1792[3].

ومن المناصب التي تندرج ضمن لقب الشيخ منصب "شيخ البلد"، وهو منصب سياسي وإداري، يُرَجَّحُ ظُهُورُهُ في منطقة المغرب العربي خلال العهد العثماني، ويضاهي شيخ البلد في مسؤولياته "رئيس البلدية"، يدير شؤون المدينة التي يمارس بها صلاحياته في الميادين الإقتصادية والاجتماعية والأمن والسلامة[4]، وقد تَمَّ تَعْيِينُ "حمودة بن الشيخ محمدالفقون" قائدا للبلاد وكان سنه حوالي 25 سنة، لفضله وعلمه ومكانة أسرته، ويُعَدُّ منصب شيخ البلد أقرب المناصب الأخرى من منصب شيخ الإسلام، تتصل به جملة من الترتيبات اليومية والأعمال التنظيمية المتعلقة بالتجارة والأسواق والحرف.

2- ظهور منصب "شيخ العرب".

أما أهم منصب دارت حوله كثير من الأحداث في منطقة الزاب وفي بايلك الشرق عموما هو بدون منازع منصب "شيخ العرب"، فكيف ظهر هذا المنصب يا ترى ؟ وما هي الظروف والملابسات التاريخية التي ساهمت في وجوده ؟ ومن يُعَيِّنْ شيخ العرب وما هي صلاحيته ؟

---

1 - *Leila Babès , Op.cit , p10 .*

2 - إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، **المرجع السابق**، ص ص 471-472-473.

3 - محمد المهدي شغيب، **المرجع السابق**، ص 382.

4 - *Ernest Mercier , **Histoire_de_Constantine** , Marle et F.Biron imprimeur éditeur, 1903, p 440 .*

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تفرض علينا مجددا الخوض في تاريخ المنطقة لما قبل العهد التركي، فبعدما خضعت بسكرة وما جاورها من القرى للفاطميين ثم الحماديين، عرفت المنطقة نوعا من الاستقلال الذاتي، إلى أن قدم بنو هلال من مصر فكانت المنطقة هي البوابة التي دخلوا منها إلى المغرب الأوسط واستقر عدد من بطون بني هلال وبني سليم فيها، نذكر منها استقرار "عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان" و"طرود بن فهم بن قيس" بوادي سوف في الجنوب وأولاد جلال، بالواحة التي لا تزال تحمل اسمهم إلى حد الآن في الشمال الغربي للمنطقة، أما بطن "الضحاك" فقد استقرَّ في الغرب، بينما استقرت "كرفة" في الشمال الشرقي، وهكذا فقد تم تعمير المنطقة من طرف قبائل وبطون عربية، نزحت من الجزيرة العربية واستقرت بمصر حقبة من الزمن ثم تابعت هجراتها إلى المغرب العربي، والنتيجة أن هذه القبائل والبطون قامت بتعريب المنطقة تعريبا كاملا ، بحيث لم يعد يبقى من الأثر الأمازيغي إلا بقايا أسماء أماكن أو نباتات أو عائلات أو بعض العادات والتقاليد التي اصطبغت باللون الإسلامي بعد ذلك[1]، وسوف يمتد أثر هذا التعريب فيما بعد ليؤثر في المجال السياسي فيظهر للوجود مصطلح جديد ومنصب لم تعرفه المنطقة من قبل هو " شيخ العرب".

وتنازع السلطة في بايلك الشرق وأريافه مع مطلع القرن السَّادسَ عشر، عدَّةُ قوًى محلية، كالقبائل الكبيرة والأسر القوية، حيث اقتسمت مجال النفوذ والسيادة، وقد تناول "أحمد بن المبارك بن العطار" في كتابه "تاريخ قسنطينة"، الوضع السياسي وصراع القوى في هذه الفترة، حيث قال :" وَلَمَّا تَمَكَّنَ التُرْكُ من الجزائر وقَوِيَّتْ شَوْكَتُهُم وضَعُفَتْ دولة بني مرين بالمغرب، ودولة بني حماد في بجاية، عَاثَتْ العَرَبُ فسادا في الأرض، واستولوا على وَطَنْ قَسَنْطِينَة، فخرج جيش الترك من تونس أو من بلد العناب (عنابة) ورجعوا إلى قسنطينة، ووقعت بينهم وبين العرب وقائع عظيمة أعظمها وقعة وَادي القُطْن بَيْنَ ميلة وقسنطينة ...ثم وقع بينهم صلح بأن يكون الترك بقسنطينة، ويكون تصريف الوطنِ بينهم أثلاثا، ثُلُثُهُ لبن علي شيخ العرب، وثُلُثُهُ لشيخ نجع الحنانشة، وثُلُثُهُ لحاكم الترك، وتعاهدوا على ذلك واصطلحوا عليه، ومن ذلك الوقت بقيت العادة إلى

---

1 - إبراهيم مياسي، **المرجع السابق**، ص ص 99 - 100.

وقتنا أن الباي إذا أتته خلعة الولاية من الجزائر يَلْبَسُهَا هُوَ الأَوَّلُ ثُمَّ يَبْعَثُ بِهَا إلى شَيْخِ العَرَبِ وبعده إلى شيخ الحنانشة"[1].

وحسب رواية فيرو فإن أول من تلقب بلقب "شيخ العرب" هو أمير الذواودة ورياح "علي بن بوعكاز بن السخري"، الذي اسْتُدْعِيَّ من طرف باي قسنطينة التركي آنذاك، وقَلَّدَهُ هذا المنصب، بهذا اللفظ الجديد "شيخ العرب" وهو لقب رَسْمِيٌّ، ألغى اللقب القديم الذي كان متداولا في السابق والمتمثل في "أمير العرب"[2].

وقد شكل بيت بوعكاز إمارةً تَضُمُّ بطون الدواودة الأجواد وأولاد صاولة، وكان قائد هذه الإمارة يختار دائما من أسرة بوعكاز، والذي كان له لقب شيخ العرب أيضاً، وبسطت هذه الإمارة سيادتها على جُل المناطق الجنوبية من "خنقة سيدي ناجي" إلى "الدوسن" وخاصة الزيبان كالزاب الشرقي والبسكري والظهري والقبلي، وأولاد جلال وشمال وادي ريغ وجنوب غرب الأوراس[3].

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ لقب "شيخ العرب" كان مستعملا فقط في بايلك الشرق، دون غيره من البايلكات الأخرى، وهذا مُرْتَبِطٌ بمَكَانَة بايلك الشرق بينها وخصوصياته الإجتماعية والثَقَافية والتاريخية، ففي بايلك الغرب كانت الإدارة في المناطق الريفية موكلة إلى مجموعة من القبائل، حيث تَتَقَاسَمُ السلطة فيها، وتُوكَلُ في الغالب إلى قياد مُزَوَّدينَ بِسُلُطَاتٍ مدنية وعسكرية وقضائية، يمارسونها بواسطة شيوخ القبائل والدَواوير[4].

وقد يدفعنا هذا إلى التساؤل مرة ثانية حول سبب التسمية في حد ذاتها، أيْ لماذا عبارة "شيخ العرب" وما هو مدلولها السِّيَاسِي والاجتماعي؟ وهل كان هناك منصبان أو أكثر يتمتع أصحابه بهذا اللقب؟

من المؤكد أن الإدارة التركية التي وضعت هذا اللقب، كانت تدرك مَاهيَّةَ هذه العبارة "شيخ العرب" فحددت مجال سيادتها في الجهاز الإداري وفي جغرافية البايلك، وهو ما يبرز بوضوح أن هذه الإدارة لم تكن تتعامل مع أقاليم البايلك بطريقة عفوية أو

---

1 - ابن العطار، **المرجع السابق**،ص 56.

2 - *Charles- Louis Féraud*, ***Op.cit***, *p233*

3 -*Louis Rinn* , ***le Royaume d'Alger sous le dernier Dey***, *Adolphe Jourdan imprimerie , Alger, 1900, p126* .

4- صالح فركوس، **بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير 1779 / 1796**، دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة قسنطينة، 1979، ص ص 104 - 105.

ارتجالية، والراجح أن هذا اللقب اُختُصَّ بمنطقة الزاب بأقسامها المختلفة دون غيرها، لما كانت تمثله هذه المنطقة من تميز، حيث استقرت بها أعداد كبيرة من الأعراب المهاجرين من بني هلال وبني سليم، والذين ساهموا في إرساء الطابع العربي من لغة وعادات وتقاليد، مما جعل منطقة الزاب تتميز عن غيرها من نواحي البايلك، وفي المقابل احتفظت بقية الجهات بمقوماتها الأساسية كمنطقة القبائل الصغرى في الشمال القسنطيني والأوراس وبلاد الحنانشة والحراكتة والساحل البحري.

ويُعَيَّنُ شيخُ العرب من طرف بايات قسنطينة، وبالإمكان أن يكون لباشا الجزائر وجهة نظر في اختيار الرجال والأسر التي تتقلد هذا المنصب حينما يطمئن الباشا لقدرة شخص وإمكانياته القيادية وإخلاصه ووفائه، وكان شيوخ العرب حينما يُقَلَّدُونَ زمام الحكم يُهْدَي إليهم معْطَفًا مُطرزاً بالخيوط الذهبية، ويُوضَعُ تحت تصرف الشيخ الواحد عشرين خيمة من الجنود الأتراك، وأعلاماً وجوقةً موسيقيةً وعسكريةً، ويكون هذا الشيخ بمثابة "الملك" بالنسبة لسكان الصحراء[1].

3- وظائف شيخ العرب ومهامه.

اتسعت سلطة شيخ العرب في عهد فرحات بن الصخري الذي بسط نفوذه على الزاب والحضنة وامتدت سيادته حتى سهل أولاد عبد النور والسقنية والمناطق الجبلية التي تأوي إليها قبائل الشبه رحل لقضاء فصل الصيف بها[2].

وهذا ما يعني زيادة تكاليف الْمُهِمَّة الملقاة على عاتقه، ومن خلال مطالعة الكتابات التي تناولت بالدراسة موضوع شيخ العرب يمكننا تحديد وظائف ومهام من يتولّى هذا المنصب الهام، في مايلي :

حفظ الأمن ورعاية الإستقرار.

يعدُّ حفظ الأمن ورعايته من أولى أولويات مهمة شيخ العرب، فهو مسؤول عنه في كل المناطق التي تدخل ضمن نفوذه، ابتداء من المناطق الجنوبية المحاذية للأوراس وجبال بلازمة حتى جنوب بلاد "سوف" و"توقرت"، ومن الشرق حيث التُّخُوم (الحدود) مع إِيَّالَةِ تونس امتدت مهمة حفظ الأمن حتى غرب مدينة بسكرة التي اتخذت كعاصمة لهذه

1 - حمدان خوجة بن عثمان، المـــــرآة، تحقيق وتقديم العربي الزبيري، ط2، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1982، ص 76.

2 - أحمد سيساوي، المرجع السابق، ص 142.

المناطق الصحراوية[1]، وجعلها شيوخ العرب من بن قانة عاصمة لهم[2]، بينما فضل شيوخ العرب من الذواودة الاحتفاظ بمدينة سيدي خالد كعاصمة لهم[3]، ولعل هذه المهمة تتقاطع كثيرا مع عنصر آخر ضمن الفصل الثالث بعنوان الدور العسكري لأسرة بن قانة، سيضيف المزيد من لشروحات لها.

تحصيل الضرائب .

لاتقل هذه المهمة شأنا عن المهمة السابقة، بل هي مرتبطة بها أشد الارتباط، حيث يخرج شيخ العرب لجمعها من مختلف الجهات التي تندرج ضمن صلاحياته المذكورة من قبل، وكان شيخ العرب نفسه ملزماً بدفع ضريبة سنوية قدرت بـــ *20000* بوجو[4]، ثم أعفي منها في عهد الحاج أحمد باي، بعدما صار شيوخ العرب يُعَيَّنُونَ من بين أخواله أولاد بن قانة[5]، والظاهر أنّ شيخ العرب لم يقم بإعفاء القبائل والجهات التي كانت تحت سلطانه من هذه الضريبة التي كان يرفعها للباي، وهذا ما يفسر ثراه الفاحش وإمكانياته المادية والعسكرية الهائلة.

وكان شيخ العرب يعتمد على الحامية التركية المتواجدة ببسكرة في جمعه الضرائب، التي كانت نسبة كبيرة منها تذهب في تسديد أجور هذه الحامية[6].

محاربة القبائل المتمردة .

كان شيخ العرب بين الحين و الآخر يخوض حروبا ضد القبائل التي تتمرَّد على الحكم المركزي سواءٌ من طرفه أو بأمر من الباي، وفي هذا الإطار فقد زُوِّدَ شيخُ العرب بحامية تركية تتكون من *1000* فارس[7]، تؤازره وتُعينُهُ، وكانت هذه الحامية تتدخَّل في بعض أوقات الشدائد لحماية السكان، من عدوان القبائل المجاورة التي لا تخضع لسلطان

---

1 - - أحمد سيساوي، **المرجع السابق**، ص *141*.

2 - كان نفوذ أسرة بن قانة لا يتعدى حدود عاصمتهم المحروسة بفضل الحامية التركية أم خارجها فلا يملكون أي سلطان على سكانها وقبائلها.

3 - تقع قرية "سيدي خالد" إلى الغرب من مدينة بسكرة وتبعد عنها بنحو *90* كلم انظر الملحق رقم *9*.

4 - **البوجو** عملة محلية متداولة خلال هذه الفترة، يساوي *3.3* فرنك فرنسي، لمعرفة قيمتها يرجى الرجوع إلى:

*Lemnouar Merouche , **Recherche sur l'Algérie a l'Epoque Ottomane , Monnaies, Prix, et Revenus 1520-1830**, Editions Bouchene , Paris , 2002.*

5 - جميلة معاشي، المرجع السابق، ص *146*.

6 نصر الدين سعيدوني: **مذكرة حول إقليم قسنطينة**، مقال سابق، ص *114*.

7 جميلة معاشي، المرجع السابق، ص *146* .

البايلك بعد وصول شكاوي من شيوخها، وبفضل هذه السلطة العسكرية النظامية، صار شيخ العرب شبه مستقلٍ في إدارة قطاع مهم من البايلك، فيمنح الأراضي والامتيازات لمن يرغب من فئات المجتمع كالْمُرَابْطِينْ ورجال الزوايا كيفما شاء وفي الوقت الذي يرغب فيه، مما أكسبَ هذا المنصبَ هالةً ونبالةً واحتراماً في هذه الأوساط[1].

مراقبة حركة التنقل والتجارة .

لقد تحدث الكثير من الباحثين عن هذا الدورِ الأساسيّ لشيخ العرب، والمتمثل في تأمين حركة السير والتنقل للأفراد والقوافل التجارية، التي غالبا ما كان يحمل أصحابها إذنا خاصا بالمرور يوقعه شيخ العرب بنفسه أو من يُفَوِّضُهُ أوَيَنُوبُ عنه، وقد ذكر شارل فيرو في تاريخه حول قسنطينة بعضا من الأمثلة، التي توضح هذا الدور فقد بعث شيخ العرب مع قبيلة "أولاد بن عزام" إذناً بالمرور إلى قواد قرى نقاوس وبسكرة والمسيلة يأمرهم فيه بتوفير الأمن اللازم والحماية الكافية لها[2].

المشاركة في حروب البايلك .

كانت علاقة بايلك قسنطينة بإيالة تونس في أغلب الأحيان على درجة كبيرة من التوتر، وذلك بسبب الأطماع المتزايدة للإيالة في بايلك قسنطينة لما يملكه من ثروات طبيعية وإمكانيات متنوعة، كما شكلت الأطماع الإسبانية في سواحل البايلك من بجاية حتى مدينة بونة (عنابة) محوراً للعديد من الحملات المتعاقبة، وفي هذا الإطار شارك شيخ العرب "أحمد بن علي بوعكاز بن السخري" في الحرب التي خاضها الأتراك والجزائريون ضد الغزاة الأسبان سنة *1581*، وشاركت قبيلة الذواودة في هذه الحرب بجيشين كبيرين أحدهما رابط قرب مدينة برج منايل شرقي العاصمة والثاني شارك في الدفاع عن مدينة الجزائر من الجهة الغربية[3].

ولعب شيخ العرب في بداية القرن الثامن عشر دورا فاصلا في الحد من طموحات بايات تونس في الاستيلاء على قسنطينة، والذين تَعَدَّدَتْ محاولاتهم للاستيلاء على المدينة، من أهمها حملة "مراد باي" بن علي باي التونسي سنة *1700*، حيث تمكن من إلحاق هزيمة نكراء بباي قسنطينة "علي خوجة"، وحاصر المدينة بدعم من "خالد باي" حاكم طرابلس، ولولا النجدة التي جاءت من العاصمة لكان أمر قسنطينة بيده[4].

---

1 - جميلة معاشي، **المرجع السابق**، ص *174*.

2 - محمد خير الدين، **مذكرات** (خير الدين)، ج*1*، (م.و.ك.)، بدون تاريخ، ص*45*.

3 - المرجع نفسه، ص *44*.

4 - *Ernest Mercier , **Histoire de Constantine** , Op.cit , p 226.*

وبوصول "حمودة باشا" للحكم، استمرت سياسة العدوان على بايلك قسنطينة، حيث سَيَّرَ حمودة باشا حملة جديدة بهدف الإستيلاء على المدينة سنة 1807 [1]، وأسند قيادتها لوزيره "سليمان كاهية" الذي حاول أن يستميل إليه شيوخ البايلك وأعيانه، ووَعَدَهُمْ بجوائز مالية كبيرة، إن هم وقفوا إلى جانبه ضد الباي حسين بن صالح باي، فاتصل بالشيخ الحناشي وبشيخ الأوراس وبشيخ العرب وبشيخ مجانة، ويبدو أن رَدَّ هؤلاء لم يكن في مستوى ما كان يطمح إليه الكاهية، فَشَنَّ هجوما كاسحاً وشاملاً على المدينة، قاومه سكانها مقاومةً شرسةً وَبِرُوحٍ معنوية عالية، رغم أنَّ الباي وخليفته وأغلب معاونيهما لم يكونوا في ذلك الوقت العصيب بالمدينةً ، باستثناء بعض الأتراك الذين تعاونوا مع السكان لدفع المعتدي، وأرسل الداي نجدة من الجزائر عبر البحر قدر قوامها 2500 جندي نزلت بمدينة بونة "عنابة" فقاد الباي حملة مضادة على الجيش التونسي فهزمه وأَسَرَ منه 1167 جندي[2].

ويمكننا القول من خلال هذا العرض أن شيوخ القبائل إلى جانب شيخ العرب بن قانة، ساهموا في تثبيت سلطة البايلك، كما أنَّ وَقْفَتَهُمْ ضد حملة حمودة باشا إلى جانب الأتراك الموجودين بالمدينة ورفضهم العروض المغرية، التي كان بإمكانهم الحصول عليها والعودة إلى أوطانهم غانمين، يجعلنا نتساءل عن جوهر وحقيقة العلاقات التي كانت تربط فئات المجتمع الجزائري بعضهم ببعض من جهة، وعلاقتهم بالأتراك من جهة ثانية .؟

خامسا / التنافس والصراع على لقب" شيخ العرب".

لقد كان الصراع على أشده بين عائلة بن قانة وعائلة بن جلاب وقبيلة الذواودة على زعامة المنطقة، وقد امتد الصراع على هذا المنصب حتى بين أفراد الأسرة الواحدة كما حدث بين أفراد أسرة بن قانة مع نهاية القرن الثامن عشر.

ونظرا لخطورة الصراع بين المتنافسين على أمن واستقرار جنوب البايلك، كان البايات يتدخلون بين الحين والآخر في منطقة الزاب للتخفيف أحياناً، من حدة التنافس وإعادة الأمن والنظام، ولصالح باي وحده أربع حملات قادته إلى المنطقة في فترة حكمه الممتدة من 1771 إلى 1792، وانتهت بدون الوصول إلى تسوية ترضي الطرفين

---

[1] - نصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، (م.و.ك)، الجزائر، 1983 ، ص 310.

[2] - بن المبارك، **المرجع السابق**، ص 55.

المتناحرين، فلجأ إلى دعمه لأسرة بن قانة بلقب شيخ العرب[1]، ولكن على نطاق ضيق مع الاحتفاظ بنفوذ كبير للذواودة.

1 - الذواودة شيوخ العرب.

كانت قبيلة الذواودة ممثلة في صخري بن يعقوب على مايبدو أولى القبائل في الصحراء من تحصلت على هذا اللقب، وكانت تسيطر على إقليم الشرق من نواحي مدينة قسنطينة حتى جهات مدينة ورقلة[2].

وتقلب في هذا المنصب زهاء الثلاثة عشر (*13*) شيخا آخرهم فرحات بن سعيد[3]، المتمرد على سلطة أحمد باي بقسنطينة، ويذكر قوفيون أن الذواودة بدأ ظهورهم على مسرح الأحداث منذ *1481*، كأسرة قوية مسيطرة شَمِلَ نفوذُهَا المنطقة الممتدة من قسنطينة حتى ورقلة وذلك في عهد الشيخ "صخري بن يعقوب بن علي" الذي اتخذ من منطقة أولاد عبد النور مركزا لحكمه، يراقب من خلالها هذه الجهة خاصة منطقة حوض الرمال الاستراتيجية[4].

وكان أول اتصال في اعتقاد قوفيون بين بيت بوعكاز- وهم فرع من فروع الذواودة - والسلطة التركية في عهد "أحمد الكروش" الذي خلف أباه المغتال سنة *1527*، وكعربون ولاء وصداقة أرسل هذا الأخير للأخوين عروج وخير الدين هديةً ثمينة تضم، سبعة نياق محملة بالألبسة الفاخرة والجلود المطرزة بالذهب يحملها سبعة عبيد سود[5].

ولم يكن توليهم لمنصب شيخ العرب يتم في غالب الأحيان إلا بعد صراع مرير وتنافس شديد خاصة بعد ظهور أسرة بن قانة على مسرح الأحداث، ونتيجة لذلك لجأت الإدارة التركية إلى تقسيم السلطة بين القبائل المخزنية الكبيرة، خاصة بعدما تمكنوا من إخضاع قبيلة الحنانشة في الجهات الشرقية من البايلك[6]، وهذا حتى لا تتعاظم قوة إحداها على القوى الأخرى وتتحول إلى تهديد مباشر لها.

---

1 - *Eugène Vayssettes* , ***histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837***, *Editions Bouchène , Paris , 2002 , p 133* .

2 - أحمد سيساوي، **المرجع السابق**، ص *141* .

3 - جميلة معاشي، **المرجع السابق**، ص *27* .

4 - *Gouvian , M.et E ,* ***Op.cit*** *.p32.*

5 - ***Ibid***, *p32.*

6 - *Charles - Louis Féraud : « les Ben-Djellab... »,* ***Op.cit***, *p329.*

ويرى فيرو في هذا الشأن أن جل الكتابات التاريخية التي تناولت الوضع السياسي لجنوب البايلك خلال فترة ما قبل العهد العثماني لم تشر سوى لبيت بوعكاز والذواودة كسلطة حاكمة ونافذة في هذه الجهات، وأن الأتراك بعدما أخضعوا الحنانشة اعتبروهم ضمن ثلاثة أسر وقبائل مخزنية كبيرة يمنحون القفطان وتزين وفودهم الرسمية بالأعلام وتعزف لهم الموسيقى التركية وهم :

شيخ الحنانشة في شرق البايلك.

شيخ العرب بيت بوعكاز في جنوب البايلك.

شيخ مجانة وأولاد مقران بالجهات الغربية من البايلك[1].

وآخر شيوخ العرب الذين مارسوا هذه الوظيفة، هو "فرحات بن سعيد" حفيد "الشيخ الذباح" الذي عَيَّنَهُ "ابراهيم باي" سنة *1821*، باقتراح من "محمد بلحاج بن قانة" حتى يُوقِعَ الصراعَ على السلطة بين أفراد أسرة بوعكاز[2].

ويبدو أن هذا التدبير لم يأت بثماره فاستعان بن قانة بشيخ زاوية سيدي عقبة "أحمد بلحاج" حيث كلَّفَهُ بتأليب الباي على القبائل الموالية لبوعكاز جميعها، حتى يصفو لبن قانة المجال، وهكذا قام شيخُ الزاوية المتحمس بإمطار البايَ بعدة رسائل وشكاوي اتهم فيها شيخ العرب بوعكاز بسوء الإدارة والفساد، وبكونه وراء كل مصائب الصحراء، ولما بلغت هذه الأنباء للشيخ الذباح مات متحسراً أَلَمًا[3]، خاصة لما وقعت بيده إحدى هذه الرسائل التي كتبها شيخ الزاوية، فقرأ منها مقطعا يقول:" أيها الباي لِكَيْ تُعَالِجَ الأُمُورَ اُقْتُلْ الشيخَ الذباح، وَأَعِدُكَ أنني سأسلخ جلد هذا العاصي وأملؤه لك بنقود السلطاني"[4]، وكانت هذه الرسالة الأخيرة التي وقعت بيد الذباح، بالنسبة لشيخ الزاوية وحليفه بن قانة، علامة نهاية المؤامرة المدبرة من طرفهما، وَوَبَالاً على شيخ الزاوية، حيث أرسل الشيخ الذباح فرقة عسكرية إلى سيدي عقبة فحاصرت الزاوية، وَلَمْ يَنْفَعْ شَيْخَ الزَّاوِيَّةِ هُرُوبُهُ إلى أعلى المئذنة، وَتَرَجِّيهِ واستعطافِهِ الجند والحاضرين، وفي غفلة منه تمكن

---

1 - *Charles- Louis féraud , « les Harrars Seigneurs des Hanancha», R.A n18 1874 page 23.*

2 - *Charles - Louis Féraud : « les Ben-Djellab … » Op.cit , p329.*

3 - *Ibid , p329.*

4 - *Ibid , p330.*

أحد الجنود من دخول الزاوية وتسلق مئذنتها، والوصول إلى شيخ الزاوية حيث قام بقطع رأسه وألقاه مِنْ عَلٍ[1].

2- بن قانة شيوخ العرب.

من الضروري في بداية الحديث عن شيوخ العرب من بن قانة أن نشير إلى أهمية تقسيم فترة حكم بايات الشرق إلى مرحلتين أساسيتين هما :

1 – مرحلة القوة والاستقرار والتي تمتد من *1713* إلى *1792*

تميزت باستقرار الأوضاع السياسية والإقتصادية والاجتماعية حكم خلالها خمسة بايات لمدة *79* سنة أي بمعدل *15.8* سنة وهم :

- "قليان حسين باي" المدعو "بو كمية" (*1713/ 1736*)
- "حسن باي" بن حسين بوحنك (*1736/ 1754*)
- "أحمد باي القلي" (*1756/ 1771*)
- "صالح باي" بن مصطفى (*1771/ 1792*)

2 – مرحلة الضعف والاضطرابات من *1792* إلى *1826*[2]

تميزت أوضاع الإيالة عموما بالضعف والإضطرابات واندلاع الثورات وانعدام الأمن[3] في كثير من ربوعها منها بايلك الشرق حكم خلالها عشرون بايا تداولوا في فترة لا تزيد عن *34* سنة بمعدل *1.7* سنة للحاكم الواحد[4].

والملاحظ أن بروز أسرة بن قانة واضطلاعها بأداء أدوارها التي لعبتها قد شمل أواخر مرحلة القوة المشار إليها وكل مرحلة الضعف التالية لها، وهو ما يدفعنا للتساؤل عن طبيعة الدور الذي لعبته هذه الأسرة في الجنوب القسنطيني، هل كان وجودها على مسرح الأحداث إضافةً أمنيةً وضرورةً ملحة، كان يراها بايات ذلك العصر لجلب مصالحَ معينة وَدَرْءِ مفاسدَ كانت تُحْدقُ بالمنطقة، أَمْ هيَّ مجرد فرص اغتنمتها ببراعة الأسرة وتدرجت بعدها في سُلَّمِ الرِّفعةَ والتَّمكين ؟ ثُمَّ أَلَم يكن شيوخ الذواودة على قدر كبير

---

[1] - *Charles - Louis Féraud : « les Ben-Djellab » … **Op.cit** , p330.*

[2] - *Leila Babès , **Op.cit** , p5.*

[3] - أرزقي شويتام، **المرجع السابق** ، ص 23 .

[4] - *Leila Babès , **Op.cit** , p5.*

من الأهلية والقدرة على تسيير الجنوب القسنطيني بحكم قوتهم وتجذرهم في المنطقة وولاء القبائل لهم ؟

ألا يمكن التسليم بأن سياسة الأتراك في المرحلة الثانية، مرحلة الضعف والتراجع، قد ساهموا فيها وتسببوا فيها بأنفسهم، بسبب سوء التسيير وضعف الإدارة والغفلة عن معالجة مشاكل البايلك بصورة جذرية، فضلا عن سعيهم لإيجاد منافسين غيرَ شرعيِّينَ، للذواودة الأصحاب الشرعيين للقب مشيخة العرب، من بن قانة الذين اختلف كثيرا بشأن مكانتهم وأصولهم التاريخية ؟

ألا يمكن اعتبار طبيعة المرحلة التي تَنَفَّذَ فيها بن قانة، والتي اتسمت بالصراعات والضعف وتردي الأوضاع الأمنية والإجتماعية والإقتصادية، مؤشرا على عجزهم وضعفهم وسوء إدارتهم ؟؟

وتبقى كل هذه التساؤلات والإشكاليات مفتوحةً للبحث وقابلةً للنقاش والإثراء، على ضوء بروز مصادر خبرية جديدة.

3- إشكالية حصول بن قانة على اللقب.

يعتقد قوفيون في هذا الشأن، أنّ حصول أسرة بن قانة على مكانتها عند حكام البايلك، كان قبل مجيء الباي أحمد القلي إلى السلطة سنة *1754*، حيث يقول أن "الحاج بن قانة"، هو أولُّ من بدأ مشوار الأسرة وَوَضَعَ مَعَالِمَ تَارِيخِها العَسْكَرِيِّ، حيث امتد سلطانه حتى توقرت وورقلة وكان بايات قسنطينة يتفاوضون معه النِّدَّ للنِّدِّ مؤكدا أن هذا الكلام هو ما أثبتته أوراق أرشيف أسرةبن قانة[1]، التي تحتوي على رسالة بعث بها الباي "حسين زرق عيونه" إلى قائد بسكرة "سي مصطفى" سنة *1752* يقول له فيها: "وعندما يغادر ابننا الحاج قانة توقرت تخبرنا " وهذا ما يثبت في نظر قوفيون أن بن قانة كان يتمتع بنوع من الاهتمام والتقدير عند الباي حسن زرق عينه[2]، قبل مجيء الباي أحمد القلي إلى سَدَّةِ الحكم، وذلك بناء على مخاطبته بهذه العبارات الرقيقة والمفعمة

---

1 - شكلت مسألة الإطلاع على أرشيف أسرة بن قانة من عدمه محور خلاف بين المؤرخين والباحثين فبينما يؤكد الباحث شارل فيرو اعتماده على جزء منه وعلى كثير من الروايات الشفوية يصرح قوفيون أنه اطلع عليه كذلك لكن بوعزيز بن قانة أغا الزيبان الذي عاش في بداية القرن العشرين ينفي نفيا قاطعا أن يكون أحدا من المؤرخين قد اطلع على أرشيف الأسرة...

2 - *Gouvian .M.et E , Op.cit , p16.*

بالعواطف والمحبة والرعاية والتقدير، وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه فايسيت في كتابه (تاريخ قسنطينة تحت السيطرة التركية) حيث ذكر أن الباي أحمد القلي الذي تولى السلطة بعد وفاة الباي زرق عيونه أواخر سنة *1756*، والذي عرف بالعزم والحزم في تسيير شؤون البايلك وضَبْط أموره خاصة ما تعلق منها بالأمن والإستقرار، حيث شَنَّ في هذا الإطار العديدَ من الحملات، بَغَرَضِ فَرْضِ الطاعة لسلطانه، وسلطة الحكومة المركزية في الجزئر العاصمة، وكانت جلُّ الحملات موجهةً خاصة نحو الجهات الشمالية المتمردة على الحكم التركي، كقبائل فليسة في الشمال الغربي، حيث قام الباي أحمد القلي بمهاجمتها في عقر دارها، وكانت الحملة صعبة وشديدة لصعوبة التضاريس، هلك فيها ثلاثة أرباع جنده، و فَقَدَ خيرَةَ قادته ومعاونيه، منهم شيخ العرب بن قانة وشيخ البلازمة فرحات بن علي وبلقاسم بن مراح قائد الزمالة وغيرهم[1].

ومن خلال هذا السرد الذي أورده فايسيت يبدو أن مشيخة العرب كانت موجودة في بيت بن قانة قبل وصول أحمد باي القلي إلى السلطة، إذ لو كان الباي أحمد القلي هو من قام بتحويل مشيخة العرب من أسرة بوعكاز إلى أسرة بن قانة لما مَرَّ هذا الحدث دون أن يسترعي انتباه المؤرخ، نظرا لأهميته وخطورته فقد ألقى الصراع بين الأسرتين بظلاله على تاريخ البايلك منذ ذلك الحين وإلى غاية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وساهم بصورة كبيرة في تَشَتُّتِ المقاومة وتثبيت الإستطان الأوروبي في الجهات الشرقية من الجزائر.

غير أن جل الروايات التي ذكرها المؤرخون الآخرون أمثال "شارل فيرو"و"أدريان سيروكا" والتي تستند في قسم كبير منها على الرواية الشفوية لسكان الجهات المعنية والتي ينسبونها إلى شيوخ حضروا هذه الأحداث وعايشوها، فإنها تعيد مسألة حصول أسرة بن قانة على لقب مشيخة العرب إلى مساهمة أحمد باي القلي في ذلك بعدما تزوج من إحدى بنات بن قانة.

أما أغا الزيبان بوعزيز بن قانة آخر شيوخ العرب في النصف الأول من القرن العشرين، فإنه يؤكد من خلال كتابه المشار إليه في الفصل الأول على جملة من الأمور والمسائل التي تتعلق بتاريخ أسرته، منها:

---

[1] - *Gouvian .M.et E , **Op.cit** ,, p17.*

المسألة الأولى:

أنَّ أسرتَهُ لم يكن لها أي وجود سياسي قبل منتصف القرن الثامن عشر، وأنَّ مشيخة العرب كانت بيد أسرة بوعكاز الذواودة، وكان الحاج بن قانة في هذه الأثناء يَحْكُمُ في جهات محدودة من منطقة الزيبان، التي كانت تحظى بزيارات الجيش التركي بانتظام[1]، دون أن يفصل ويوضّح الظروف التي أحاطت بظهور الحاج بن قانة ولا الكيفيات التي مكنته من أن يحكم هذه الجهات المعينة في إقليم الزاب.

وقد استند أغا الزيبان في إثبات وجود هذا الوضع السياسي، على كتابات ابن خلدون، " الذي استطاع أن يجمع معلومات كبيرة حول عائلة من أكبر عائلات المنطقة هي أسرة رياح الهلالية المنحدرة من مرداس بن رياح، وظلت هذه الأسرة طويلا تمنح للمنطقة أمراء البدو وكان أكثرهم نباهة يعقوب بن علي[2]".

وانضوت هذه الأسرة فيما بعد تحت حكم الموحدين والحفصيين والمرينيين ثم الحفصيين مرة أخرى، وبانقطاع كتابات ابن خلدون التاريخية في حدود سنة *1390* أصبحت المصادر الوحيدة التي تتحدث عن المنطقة منحصرة في الروايات الشفوية التي تتكلم عن أتباع وأحفاد مرداس والمدعوون بالذواودة، وقد تملك أحدهم السلطة سنة *1498* ويدعى "علي بن الصخري" المدعو "بوعكاز" -نسبة للعصا التي كان يَتَوَكَّؤُ عليها-، وَتَلَقَّبَتْ أسرته من بعده بهذا اللقب حتى أيامنا هاته، وفي سنة *1527* خلفه ابنه "أحمد بن علي الصخري" الذي كان له الفضل في إخضاع شمال الصحراء للحكم التركي في عهد "حسان أغا" وفي مقابل ذلك كافأه بأن منحه بصورة رسمية لقب شيخ العرب[3].

ويعتقد أغا الزيبان أن أسرته تحصلت رسميا على لقب شيخ العرب سنة *1762* بعد نجاح جده الأول "محمد بن سليمان بن قانة" في قيادة ركب الحج إلى البقاع المقدسة، فعرفه الناس من خلال شجاعته وكرمه وجوده، ولما رجع الركب من الحج توسط شيوخ القبائل والعشائر لدى الباي ليكون هذا الرجل سَيِّدَهُمْ وشَيْخَهُمْ مكان بوعكاز، فوافق هذا الإلتماس هوىً في نفس الباي ورغبة مبيَّتة، وساندته في هذا المسعى قبيلة أهل بن علي[4].

---

[1] - BenGana .B, **Op.cit**, *p27* .
[2] - ***Ibid***,, *p15.*
[3] - ***Ibid***, *p15.*
[4] - ***Ibid***, *p20.*

المسألة الثانية :

تتمثل في الملابسات التي أحاطت بحصول بن قانة على لقب شيخ العرب حيث يذكر أن الأتراك في هذه المرحلة سعوا إلى بسط نفوذهم على قبائل الجنوب وإخضاعها، خاصة في عهد أحمد باي القلي المشهور بشجاعته ولإقدامه، الذي وظّفَ جميع قدراته السياسية لإستمالة شيخ العرب علي بوعكاز إليه، وكان بإمكانه اللجوء إلى استعمال الأساليب التقليدية للقضاء عليه، كتشجيع منافسيه وأعدائه ودعمهم بما يحتوجونه من قوة للقضاء على نفوذه، لكنه لم يفعل بل أمطره بكثير من الهدايا الثمينة معترفا بسلطته في الصحراء، وأكد له بأن قفطان التولية، سوف يأته ليس من داي الجزائر فقط ولكن من سلطان القسطنطينية نفسه، واحتفظ شيخ العرب علي بن بوعكاز باللقب، ونال إلى جانبه أيضا شَرَفَ السَّيْرِ تحت ألوان الأعلام الرسمية ودَقَّ الطبول و"الغايطة"[1] أثناء تنقالاته[2].

ويبدو من خلال هذا السرد الذي ذكره أغا الزيبان، أنّ شيخ العرب تجاوز حده وتنكر للسلطة الحاكمة في البايلك، مما دفع أحمد باي القلي إلى التفكير في إعادة النظر بعلاقته مع بوعكاز والبحث عن مخرج يحفظ كيانه وكيان السلطة، من طموحات بوعكاز، فاقترب من أسرة بن قانة " الأشراف " وارتبط برباط المصاهرة مع إحدى بناتها، وقد أحسن صنعا - على حد تعبير صاحب الكتاب — عندما اختار هذه العائلة التي كان تأثيرها الديني والسياسي كبيرا في البلاد، ورغم أنه لم تلد منه إلا أنه أبقاها في عصمته، وتزوج بإحدى بنات أسرة المقراني شيوخ مجانة، ونظراً لحرصه على ربط القبائل بعضها ببعض، برباط المصاهرة والنسب، فقد زَوَّجَ أخت زوجته مباركة بنت علي بن سليمان بن قانة، لفرحات بن أحمد حفيد شيخ العرب[3].

4- الموقف من حصول بن قانة اللقب.

بعد ظهور أسرة بن قانة على مسرح الأحداث، استمرت كثيرٌ من القبائل غير معترفة بسلطة شيخ العرب الجديد ولا تخضع له لسبب أو لآخر، وكان إخضاعها أمراً صعباً خاصة تلك القبائل التي تعتمد على أسلوب التنقل المستمر بين التل والجنوب.

1 - الغايطة نوع من الموسيقى الشعبية التي تعزف في الحفلات والأعراس، ويستعمل العازف آلة موسيقية تشبه البوق، لكنها أصغر حجما.

2 - *BenGana .B, **Op.cit** , p 18.*

3 - ***Ibid**, p18.*

وأمام هذا الوضع الغير مريح يبدو أن شيخ العرب الذي من المفترض أن يملك قيادة قبائل الزيبان بأقسامه المختلفة وقبائله المتشتتة والمتمرِّدة في آن واحد، مثل قبيلة البوازيد وقبيلة أولاد بن زكري، قد أصبح عاجزا على تنظيمها وتصريف شؤونه معها، خاصة حينما تتزامن هذه المهمة التي أسندت له مع أجواء مشحونة بالفوضى، يشعر الإنسان فيها بوجود "قانون غاب" يأكل القوي فيه الضعيف، ومهما تكن محاولات التوحيد والتقريب بين القبائل وتنسيق مواقفها فإنها لن تثمر، نظراً للغيرة والحسد والمصالح العارضة لكل قبيلة، وهكذا صارت مهمة شيخ العرب أكثر صعوبة[1].

وقد ازدادت الأوضاع سوءً بعد الحركة التي قامت بها "أم هانئ"[2] بنت رجب باي قسنطينة السابق والتي أدت إلى انقسام قبائل الجنوب الرحل إلى قسمين هما :

القسم الأول: يضم "أهل بن علي" و"الشرفة" و"غمرة" وكانوا لا يطيعون شيخ العرب إلا بقوة السلاح .

القسم الثاني: ويضم "البوازيد" و" أولاد زكري" الذين يتبعون شيخ العرب ويطيعونه طاعة عمياء .

وكانت قبائل " أهل بن علي" الأكثر عنفاً وعصياناً وقوةَ، مما دفع شيوخ العرب إلى الإختيار من بين أفرادها المهرة رجالا أشداءً، شكلوا بهم فصيلا عسكريا تابعا مباشرة لشيوخ العرب يدعى "المرازقية" *les Hommes de lance* .

وعندما تلقى علي بن بوعكاز قفطان التولية أثارت ضرائبه نقمة قبائل أهل بن علي وعوضا أن يعالج القضية بصورة سياسية سلمية قام بالإنتقام منهم خاصة من أشرافهم فقتل منهم عددا كبيرا على خلفية قديمة حيث ادعى أن هؤلاء قتلوا جده وبعض أقاربه، لما وقفوا إلى جانب أم هانئ في ثورتها ضد أسرة بوعكاز[3].

---

[1] - *BenGana .B*, **Op.cit**, *p19.*

[2] - للاطلاع على حركة أم هانئ التي حدثت أواخر القرن *17* وأوائل القرن *18*، يراجع :
Charles feraud, **le Sahara de Constantine,** *Op.cit*
.Mouloud Gaid, **Chronique des Beys de Constantine,** *O.P.U, Alger, sans date..*

[3] - لمزيد من الإطلاع انظر *Gouvian , M et E ,* **Op.cit** *, p 35* .

وغضب أهل بن علي لذلك غضبا شديدا ورفعوا شكواهم للباي الذي بعث توبيخا وإنذارا لشيخ العرب يؤنبه على فعلته، لكن الغريب أن بوعكاز لم يأبه بهذا التوبيخ ورد على الباي بأنه سيد الصحراء يفعل ما يبدو له، وقام بقطع علاقته مع الباي [1]

ومن خلال هذا المستوى من التطور في العلاقات نستنتج ما يلي :

أولا : أن بن قانة كان يسعى بقوة ليطرح نفسه كبديل لأسرة بوعكاز في مشيخة العرب، وأن بايات قسنطينة الذين ارتبطوا بالنسب والمصاهرة، ببن قانة كانوا مُحقّينَ ومُدركين لمكانة هذه الأسرة دينيا وسياسيا واجتماعيا.

ثانيا : عجز أسرة بوعكاز الذواودة في توفير الحماية والاستقرار في الصحراء وفشلها في إدارة شؤون مختلف القبائل .

ثالثا : فشل شيوخ العرب من بوعكاز في احتواء الخلافات القبلية، وتحقيق التوازن في موازين القوى القبلية وكان من نتائج ذلك خسارة الذواودة لقبائل أهل بن علي كحليف قوي وانضمامهم لبن قانة .

كل هذه العوامل كما يبدو، دفعت بايات قسنطينة للبحث عن بديل لأسرة بوعكاز الذواودة، ووجدت البديل فيهم دون سواهم، " أسرة بن قانة ".

سادسا / صراع بن قانة على لقب شيخ العرب.

لقد كان بإمكان أسرة بن قانة بعدما استحوذت على أكبر وأسمى لقب في جنوب البايلك القسنطيني، أن تستمر في التمتع بهذا المنصب طويلا، لو أنها أدركت الطرق الناجعة في تسيير دواليب المشيخة وتوزيع مراكز النفوذ بين أفرادها، بحكمة وذكاء، لكنَّ هذا الأمر يبدو أنه لم يتحقق بالقدر الكافي، مما حرم الأسرة في نهاية القرن الثامن عشر من الإستقرار الداخلي والعيش ضمن أُطُرِ الانسجامِ والتعاونِ بين أفرادها.

ومن أهم المشاكل التي انعكست سلبا على البيت القايي، عجز صالح باي في مسألة الفصل النهائي في منح منصب شيخ العرب لإحدى الأسرتين المتنافسيتين، ورغم أنه لجأ في سنة *1788* إلى حَلٍّ توفيقيٍّ يقوم على اقتسام السلطة بينهما، حيث مَنَحَ "محمد بوعكاز" الحق في أن يحتفظ بمنصب شيخ العرب بكل ما يحمله اللقب من معاني القوة والسلطة، خَصَّ في نفس الوقت "محمد بن الحاج بن قانة" بلقب حاكمٍ لمنطقة بسكرة وما جاورها من الواحات بلقبٍ لَمْ يُوَضَّحْ فَحْوَاهُ و لم تحدَّدْ صلاحياته، هل هو لقبٌ ثانٍ

---

[1] - *BenGana .B, Op.cit , p20.*

لشيخ العرب؟ أم أنه مجرد حاكم عادي ؟ ورغم ذلك فإن بذور الأزمة وخمائر الصراع والتعفن سواء على مستوى العلاقات بين بن قانة وبوعكاز أو على مستوى بيت بن قانة.

ولم يَطُلْ بعدَ هذه الترتيبات حكم صالح باي كثيرا، فسرعان ماانداعت مؤامرة الإطاحة، به والتي ساهم بن قانة كثيرا في حبك خيوطها، وما إن حَلَّتْ سنة *1794* حتى كان بايلك الشرق على موعد مع باي آخر عَوَّضَ "ابراهيم باي بوصبع" الذي قُتِلَ من طرف الباي صالح المخلوع، هو الباي "حسين بن حسن بوحنك"[1]، وكان أول عمل قام به حسين باي هو تثبيت محمد بلحاج بن قانة في منصب مشيخة العرب[2] مرَّة أخرى .

ولم يكتف حسين باي بذلك بل قام بدعم بن قانة مرة أخرى بحامية تركية في مدينة بسكرة، ومساندتها بقبائل مخزنية كقبائل "الصحاري"[3]، و"أولاد صاولة"في الزاب الشرقي، واغتنم محمد بلحاج بن قانة هذه الفرصة في بسط نفوذ أسرته في المنطقة فعين أخاه بولخراص قائدا على الحضنة، وحفيده علي بلقيدوم على أولاد صاولة مُنَاصَفَةً مع "بوضياف بن شنوف"[4]، الذي يمثل فرعا مهما من فروع الذواودة الأعداء التقليديون لبن قانة، ويمكن تقسيم مراحل حكم أسرة بن قانة بعد هذه الأحداث إلى عدة أطوار هي:

الطور الأول . مرحلة التمكين .

استبشرت أسرة بن قانة بقُدُوم مرحلة جديدة من القوة والتمكين، خاصة حينما تُوِّجْت مساعيها بتعيين حسين باي[5] لمحمد بلحاج بن قانة في رتبة وزير، وألبسه القفطان فأغدق هذا الأخير العطاء والصدقة على فقراء قسنطينة وعلى أهله[6]، ومعتمدا على قبيلة

---

1 – هو قاتل صالح باي بعثه باشا الجزائر حسن الخزناجي لقمع ثورته وأخذ الثأر للباي ابراهيم بوصبع الذي قتلته جماعة صالح باي غيلة، وقد مات الباي حسين نفسه مقتولا بأمر من الباشا الخزناجي سنة *1794* انظر محمد المهدي شغيب، **المرجع السابق**، ص ص *386 – 387*.

2 - *BenGana .B, **Op.cit** , p29.*

3 – الصحاري قبائل عربية تسكن إلى الغرب بين "بسكرة" و"باتنة" تعيش على السبي والسطو اعتمد عليها صالح باي لأول مرة في إخضاع الزيبان لكن أتباعه من بعده فشلوا في تطويعها وكانوا يشترونها بالمال والرشاوي، انظر

.. *Charles - Louis Féraud, **le Sahara de Constantine** . **Op.cit**, p 264 .*

4 – *BenGana .B, **Op.cit** , p27.*

5 – كان "حسين باي" صهرا لمحمد بلحاج بن قانة شيخ العرب، حيث تزوج من أخته، انظر –

*, Charles - Louis Féraud **Op.cit** p 263*

6 – *Gouvian , M.et E , **Op.cit** .p7.*

"الصحاري" و"بن شنوف"، قام الحاج بن قانة شيخ العرب بتَعْيِين أخيه بولخراص قائداً على الحضنة، وتعيين حفيده "علي بلقيدوم" بالاشتراك مع "بَن شَنوف" شيوخا قادة، على منطقة أولاد صاولة وأقام هو في الزاب الشرقي بدعم من الحامية التركية في بسكرة، وكان يبدو أن شيخ العرب الجديد قد ثَبَتَ في منصبه وحبكه بصورة جيدة، خاصة بعدما جاءته قبائل "أولاد نايل" تَخْطُبُ وُدَّهُ بسبب الجفاف الذي ضرب المنطقة تلك السنة واعتقد بن قانة أن المهمة قد اكتملت بين يديه.

لقد فتح هذا التمكين الباب على مصراعيه للتنافس والصراع بين أفراد الأسرة فيما بينهم، على كرسي مشيخة العرب في الصحراء بعدما انتقل الوزير الجديد إلى عاصمة البايلك قسنطينة، لكن محمد بلحاج بن قانة لم يَسْتَمْتِعْ طويلا بمنصب الوزير الذي مُنِحَ إياه، إذْ لَقِيَ حتفه في نفس السنة التي وُلِّيَ فيها، لإصابته أثناء الطريق حينما كان في رحلة مع الباي إلى مدينة الجزائر لأداء الدنوش السنوي[1]، ربما نتيجةً لإصابته بداء الكوليرا أو لتسمم تعرض له، ويبقى السؤال مطروحا حول نهايته الغامضة، وإذا صَحَّ احتمال تعرضه للتَّسَمُّمِ فإنه يكون بذلك أوَّلَ ضحيةٍ للصراع بين الإخوة الأعداء.

الطور الثاني . بداية الفتنة .

بعد وفاة محمد بلحاج بن قانة، قام الباي بتقليد منصبَ شيخِ العربِ لمحمد الصغير بن محمد بلحاج بن قانة، فثار أعمامه على هذا القرار منهم بولخراص قائد الحضنة وعلي بلقيدوم قائد الزاب الشرقي، وقاما بممارسة شتى الضغوط على الباي حسين حتى تراجع عن قراره، وَقَلَّدَ المنصب المتنازع عليه لابراهيم بن الحاج بن قانة[2].

ولما علم محمد الصغير بن قانة بالخبر استشاط غضبا وامتلأ حقدا على أعمامه الذين دبروا له هذه المكيدة لكنه لم يستطع الانتقام منهم لكونه كان وحيدا وضعيفا كما أن القرار الصادر كان رسميا ويمثل رغبة الباي، وهكذا ظل حبيس أحقاده وهواجسه يتحيّن الفرصة للإنتقام.

لقد كان الإخوة الأعداء يتصارعون على منصب شكلي لا يمنحهم في الواقع سلطة فعلية خارج تخوم المدينة التي يتولنها لأن الشيخ الرسمي "دباح بن بوعكاز" الذوادي، كان يمارس مهامه بقوة في الصحراء دون منازع، ألم يكن حريّا بأفراد الأسرة

---

[1] - *BenGana .B, **Op.cit** , p27.*

[2] - *Gouvian , M.et E ,**Op.cit** , p7.*

التفكير في هذه المسألة الجوهرية أم أنهم كانوا يدركون أن وجودهم مرتبط بوجود الحكم المركزي في قسنطينة يمنحهم القوة والحماية والشرعية ؟

الطور الثالث . الصراع الفعلي .

لقد تَفَجَّرَ الصراع بين أفراد الأسرة إلى العلن، خاصة بعد تولي انغليز باي شؤون بايلك الشرق سنة *1798* والذي ارتبط بصداقة أحد أفراد أسرة بن زكري الْمُوَالِينَ لبوعكاز وكان ذلك إيذانا بعودة التهميش لأسرة بن قانة.

و لم يمر سوى وقت قصير حتى قام ابن الباي الجديد بنصب مكيدة[1] لأفراد أسرة بن قانة ساهم في حبك خيوطها محمد الصغير بن قانة الذي وجد الفرصة للإنتقام من أعمامه وأبنائهم مدّعيا أنهم سلبوه حقه في وراثة أبيه محمد بن الحاج بن قانة في منصب شيخ العرب[2]، حيث دعا بولخراص قائد الحضنة وعلي بلقيدوم قائد الزاب الشرقي إلى نزهة ميدانية بحوض وادي الكبير قصد المتعة و صيد الخنازير، ثم أَلْقَى القبضَ عليهم وكذلك على ابراهيم بلحاج شيخ العرب، ثم قام بخنقهم ما عدا علي بلقيدوم[3] .

هذا الأخير الذي أُطْلِقَ سَرَاحُهُ فيما بعد أَمْ تَمَكَّنَ من الفرار كما يذكر فوفيون لا نعلم سبب امتناع ابن الباي على إلحاقه ببقية أفراد العائلة الذين قتلوا غدرا تلبية لتروات بن زكري وبوعكاز، تُرَى هل تم التفاوض بينه وبين أعدائه على إخلاء المجال السياسي والإداري لهم دون سواهم وتعهد لهم بذلك؟ أم أنه أُعْفِيَّ حتى يكون عبرة لغيره من المناوئين من أسرة بن قانة حتى تَرْعَوِي عن منافسة مَنْ هُمْ أَجْدَرَ وَأَقْدَرَ ؟

والتجأ علي بلقيدوم بعد نجاته من المذبحة إلى جبال "متليلي" شمال بسكرة، ثم أعلن الثورة على الباي وتمكن من هزم الحملة التي تعقبت آثاره، وفي هذه الأثناء نال محمد الصغير لقب مشيخة العرب وقيادة الحضنة، جزاء غدره ووقوفه إلى جانب بن زكري حلفاء بوعكاز ، رغم أنه كان دائما يَدَّعِي براءَتَه مِنْ دَمِ أعمامه وَيَتَّهِمَهُمَا[4]، بالوقوف وراء هذه المكيدة التي لم يكن له أي علم بها.

---

1 - يبدو أن أفراد بوعكاز لم يكونوا بعيدين عن الضلوع في هذه المؤامرة لأنهم هم الرابحون الأوائل وليس الباي الجديد .

2 - *Charles - Louis Féraud* , ***Op.cit*** *, p 325.*

3 - ***Ibid,*** *, p326.*

4 - *BenGana .B,* ***Op.cit*** *, p29.*

وعندما تولى شؤون البايلك "عبد الله باي" قَدَّمَ لَوْمَهُ وَعِتَابَهُ لمحمد الصغير على فعلته، ثم نادى "علي بلقيدوم" الهارب، وحاول أن يخفف من معاناته ومعاناة الأسرة الْمُتَشَتِّتَة، بعدما أدرك وفاءها وإخلاصها وتضحياتها التي قدمتها من أجل استقرار شؤون البايلك، وَتُوِّجَ مَسْعَى عبد الله باي بعودة علي بلقيدوم متقلداً المنصب المتنازع عليه " شيخ العرب "، وجعل مَقَرَّ المشيخة قرب مدينة قسنطينة عاصمة البايلك ومنحه مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة تقع غرب قسنطينة قرب قرية وادي العثمانية[1] وتعرف بالأرض الخضرة والحمرة[2]، ليكون قريبا منه من جهة ويبتعد من جهة ثانية من بسكرة، وما تَحُفُّهُ واحاتها من تهديدات وأخطار لشيخ العرب من البيت القاني .

ولم يَسْتَسِغْ علي بلقيدوم الحُجَجَ التي كان يقدمها محمد الصغير بن قانة في ما يتعلق ببراءته من دم أعمامه، لأن كل الشكوك كانت تحوم حوله، فهو بالنسبة إليه لم يرتكب حماقة القتل والانتقام فقط بل لقد تآمر على أفراد الأسرة مع ألدّ أعدائها من بن زكري وبوعكاز وهذا أمر غريب عن تقاليدها وأعرافها، وهو في القاموس الحديث يمثل خيانة تستوجب عقوبة صارمة لمن يقترفها، فضلا عن أنّ هذا العمل الذي قام به محمد الصغير بن قانة قد بثّ بذور الفرقة والتَّشَرْذُمَ داخل بيت بن قانة .

لقد حاول علي بلقيدوم معالجة المسألة انطلاقا مما كان يراه ضروريا لإعادة التمكين للأسرة وتوحيد صَفِّهَا، لكنَّ أسلوبَه المتبع في المعالجة لم يكن يخلو هو الآخر من غريزة حب الإنتقام والتنكيل، بابن أخيه محمد الصغير فأعاد إلى الواجهة سلسلة الإغتيالات والقتل التي عاشتها الأسرة منذ أمد ليس بالطويل، وهكذا فقد ظلت الأسرة ضحية هذه التصرفات وقد أظهر علي بلقيدوم تقاربا مع محمد الصغير الذي أقام على شرفه، حَفْلَ صَيْدٍ بواسطة "الصقور" بمنطقة "واد مدركل" نواحي بسكرة سنة *1803*[3]، وفي المكان المسمى(مْصيدْ) الْتَقَى الرجلان وتبادلا اللُّوْمَ والعتاب حتى اطمأن محمد الصغير إلى عمه، حينئذ أمر علي بلقيدوم قبائل الصحاري بالقبض عليه وقتله " وَهَكَذَا فَقَدْ هَبَّ

---

1 - تقع قرية **"وادي العثمانية"** في ولاية ميلة حاليا، أما الأرض الخضرة والأرض الحمرة فتقعان في الشمال الشرقي منها على بعد ستة كلم من الطريق الوطني رقم *5* ، وتعرف بقرية **جبل عقاب** وقد زرنا المنطقة ولدى استفسارنا عن تاريخها قيل لنا أن ورثة بن قانة لا يزالون إلى اليوم يعيشون فيها. انظر الملحق رقم *10*.

2 - *Gouvian , M.et E ,Op. cit , p7.*

3 - *BenGana .B, Op. cit , p29.*

عَلَى الأُسْرَة رِيحُ حقْدٍ وَكُرْهٍ أَرْدَاهَــا فِي الحزن والكراهيــة"[1] مثلما عَبَّرَ على ذلك أغا الزيبان في مذكراته.

الطور الرابع . استقـرار حـذر.

تميزت أحوال الأسرة من سنة *1803* إلى سنة *1818* بنوع من الإستقرار رغم فضاعة ما قام به بلقيدوم، حيث أَلَّبَ عليه جُلَّ أفراد الأسرة لَكِنَّهُمْ لم يكن بأيديهم أن يفعلوا له أيَّ شيءٍ ما دام بَقِيَ محتفظاً بمنصب الوجاهة في أسرة بن قانة، كما أن أحوال البايلك كانت تَتَبَدَّلُ كل مرة فَتَتَغَيَّرُ معها مكانة أحوال ضمن موازين القوى المحلية، فَكَثُرَت الثوراتُ، وعمليات العزل والقتل التّي كان يتعرض له البايات، فقد حكم في هذه الفترة القصيرة عشرة بايات، منهم أحمد باي المملوك الذي في عهده تَمَّتْ تصفية علي بلقيدوم ليذوق بذلك وبال أمره وخاتمة أعماله ونتائج تدبيره.

وقد تَمَّت العملية بوشاية أحد أفراد أسرة بن زكري الذي اتخذه أحمد باي المملوك مستشارا له، فاستغل هذا الشَّخص منصبَهُ في إغارة الأحقاد من جديد على أسرة بن قانة، وَأَوْهَمَ الباي بأن منصب شيخ العرب لا يَحْتَمِلُ أَنْ يَشْغَلَهُ مَنْ قَتَلَ ابن عمه من أجله، وأن هذه الجريمة سوف تؤثِّرُ على شخص الباي نفسه، مادام شيخ العرب يعمل تحت سلطته ونفوذه، ولا زال الرَّجُلُ بالباي يَشْحَنُهُ وَيُوَسْوِسُ لَهُ حتى أصدر قراره أخيرا بتنفيذ حكَمَ الإعدامَ في حق علي بلقيدوم بن قانة سنة *1818*[2].

واغتنم الشيخ "دباح بن بوعكاز" الفرصة ليعلن الحرب على أسرة بن قانة مجدداً، ولينتقم منهم وَيَجْتَثَّ شَأْفَتَهُمْ نهائيا، وَوَجَدَ "فرحات بن محمد بن قانة" نَفْسَهُ وحيدا محاصرا قرب مدينة القنطرة، بعدما نزل عليه خبر إعدام شيخ العرب كالصاعقة ففاجأه وأفزعه، وكان سببا في تدني معنوياته و انهزامه أمام قوات دباح بن بوعكاز وقوات الباي الجديد، الذي أظهر شرا مستطيرا لأسرة بن قانة بعد سنوات من الطمأنينة على ما يبدو أفسدها أطماع بوعكاز وبن زكري مرَّةً أخرى، ولم يستطع فرحات محمد بن قانة أن يَكْظِمَ تأثره بهذه الأحداث والمصائب التي حلت بالأسرة، فسلم روحه متأثرا بجراحه في نفس السنة بمنطقة منعة بالأوراس حيث التجأ فاراً من أمام قوات بوعكاز وحلفائه[3].

1- *BenGana .B*, ***Op. cit***, *p29.*

2 - ***Ibid***, *p31 .*

3 - ***Ibid***, *p31.*

وكانت النتيجة المنطقية لهذا التغير المفاجئ في سياسة البايلك منح لقب شيخ العرب مجددا لأسر بوعكاز بزعامة دباح بن بوعكاز ولكن ليس طويلا .

فقد ساقت الأقدار مرة أخرى لبن قانة فرصة من ذهب تمثل في اختيار "أحمد باي" بن "الحاجة رقية" بنت قانة، لخليفة الباي المملوك سنة *1821* ثم اختاره الداي حسين على رأس البيلكة سنة *1826*. ووقع هذا الخبر المفرح عند أفراد بن قانة موقعا عظيماً، حيث يذكر فيرو أنه بمجرد أن بلغت أنباء التولية بن قانة حتى خرجوا جميعاً في استقباله قرب مدينة سطيف وكان أول كلام قاله محمد بلحاج بن قانة لابن عمته:" هل جئت من عند الباشا بالأوامر لقتل جميع أفراد بن زكري أصدقاء بوعكاز؟ لأنه الشرط الوحيد والضمان الفريد الذي يجعلني أعود على رأس مشيخة العرب وأخدمك؟"[1]، فأجابه أحمد باي قائلاً:" في هذا الوقت لست السيد المطلق إنّ معي شخصية أقوى مني مبعوث من الباشا هو "يَحْيَى أَغَا" ومهمته معاقبة أولاد سلطان الذين امتنعوا عن دفع الضرائب منذ مدة، اذْهَبْ إليه واَعْرِضْ عليه خدماتك ثم يكون لنا بعد ذلك شأن مع بن زكري وبوعكَاز"[2].

وقد كُلِّفَ يحي أغا بمرافقة أحمد باي والإشراف على تنصيبه بايا جديدا، وكان برفقته "محمد بلحاج بن قانة" الذي قدم مجهودات كبيرة لتثبيت سلطة الحكومة التركية في البايلك بعد محاولات التمرد التي لاحت في الأفق.

واغتنم محمد بلحاج بن قانة حسبما أورده أغا الزيبان هذا الموقف لِيَظْهَرَ لِيَحْيَى أغا ولاءه الشديد وطاعته التي لا ينتابها أدنى شك، حيث وجه بن قانة قبائل الصحاري القاطنة في الحضنة لتشن هجوما كاسحا على قبائل أولاد سلطان فهزمها وأخضعها للسلطة المركزية، ثم قَدَّمَ ليحي أغا مئات الرؤوس اجتثت من أجساد المهزومين لينال بذلك وبجدارة مجددا منصب شيخ العرب[3].

والنتيجة التي يمكن أن نصل إليها من خلال هذا الفصل أن أسرة بن قانة قد عاشت مرحلة دقيقة وخطيرة مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع، كادت خلالها أن تَفْقدَ ما بناه شيوخها الأوائل ومؤسسوها من مجد وَعِزٍّ، سواءً في مدينة بسكرة أو في مدينة قسنطينة، كما تعرضت العلاقات السياسية والإدارية التي نسجوها

---

1 - *Charles - Louis Féraud*, ***Op.cit***, *p331.*

2 - ***Ibid***, *p332 .*

3 - *BenGana .B,* ***Op.cit***, *p34.*

والأحلاف مع رجال الدولة التركية وشيوخ القبائل بصورة عامة في بايلك الشرق إلى الإهتزاز، ويمكن حصر أهم أسباب وعوامل هذا العجز والضعف في ما يلي :

1 - التنافس الشرس والدموي بين أفراد الأسرة حول منصب شيخ العرب حيث فتح صفحة من الأحقاد وسلسلة من أعمال الانتقام بين أفراد الأسرة امتد على ما يربو العشرين سنة كاملة.

2 - قلة الشعبية والقبول – الجماهيري – لأسرة بن قانة، الذي يعود ربما إلى أسلوب الحياة الأرستقراطي الذي كانت تعيشه في وقت ساد فيه الفقر وتعددت مواسم الجفاف والأوبئة خاصة في الأرياف، وقد لاحظ قوفيون هذا المستوى المعيشي الرفيع للأسرة في كتاباته مثلما أشرنا لذلك في الفصل الأول من هذا البحث.

3- سوء الإدارة وفشل سياسة التموقع التي اتَّبعها أفراد أسرة بن قانة لرد مكائد أسرة بو عكاز وبن زكري، وقد يُعْزَى هذا إلى تغليب المنافع العاجلة بَدَلَ رسم استراتيجيات مستقبلية تعود بالخير والمنفعة على الأسرة في المستقبل.

4 - ضعف علاقات الأسرة خارج إطار المصاهرة، فقد نالت أسرة بن قانة عَنَتًا كبيرا من حكام البايلك الذين لم يكونوا مرتبطين بهم برابطة المصاهرة، واستمرت معاناتهم حتى قدوم "أحمد باي" إلى الحكم سنة 1826 ليفتح للأسرة عهداً جديداً من التمكين والسيادة سنراه بالتفصيل في الفصل الرابع من بحثنا هذا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث
دور أسرة بن قانة في تثبيت الحكم العثماني
ببابلك الشرق

مدخـــل.

أولا / مكانة بن قانة عند بايات قسنطينة .

ثانيا / المكانة الاجتماعية للأسرة .

ثالثا / المكانة السياسية للأسرة .

رابعا / الدور العسكري للأسرة.

1 - **عناصر قوة بن قانة.**

2 - **أهم المعارك التي شارك فيها بن قانة.**

خامسا/ الدور الاقتصادي للأسرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخـــل.

لقد تميز نظام الحكم العثماني في الجزائر بعدة خصوصيات قلما نجدها في مناطق أخرى من البلاد العربية خضعت لنفوذ العثمانيين ، حيث كان حرص الحكام على عنصر الولاء يشكل أهمية فائقة ، لاستمرار الخضوع وتحصيل المنفعة للحاكم والمحكوم كليهما ، وكان الالتزام الضريبي يشكل جوهر وأساس العلاقة بين الطرفين

وعلى هذا النسق كانت السلطة تجمع عدة فرق عسكرية تكون مهمتها الأساسية الخروج في مواسم الحصاد في شكل طوابير عسكرية نظامية لجمع الضرائب بمختلف أنواعها، وكانت العملية على ما يبدو تمثل تظاهرة كبيرة، ومناسبة مشهودة، يقوم بها ويسهر على إنجاحها الجهاز الاداري برمته من أبسط شاوش في البايلك إلى الباي نفسه، حيث كان هذا الأخير يشرف بصورة مباشرة على عدد من القادة في القبائل[1] التي تكون في جهته، وهذا ما يؤكد الحرص على استمرار الولاء الضريبي لضرورته وأهميته الملحة .

واتبع السلم الإداري نظاما خاصا ومتميِّزاً يتمثل في تسليم كل مسؤول مبلغا معينا من المال إلى رئيسه كل عام، وهو في ذلك يشبه إلى حد كبير" نظام الالتزام " الذي كان معمولا به في مصر وسوريا حين دخولهما تحت سلطة الدولة العثمانية[2].

والملاحظ كذلك أن النظام المالي كان يقوم على أُسُس صلبة وغير مرنة في كثير من الأحيان حيث يربط الميزانية بأرقام ثابتة لا تتأثر بالظروف الخارجية المتحكمة في النشاط البشري كما يرى بعض المؤرخين، فلا يأخذ هذا النظام بعين الاعتبار قلة الأمطار ومواسم الجفاف والأوبئة التي تنتشر بين المواشي والحيوانات والآفات التي قد تصيب المحاصيل، وبذلك يثقل العبء على الفلاح والمنتج ومربي الماشية حيث يتحملون بمفردهم هذه الآفات، في وقت كانت الإدارة فيه عاجزة عن المشاركة في تطوير وسائل الإنتاج والعمل وتطوير نواحي المعيشة والحياة الإجتماعية والاقتصادية بصورة عامة، ومع مرور

---

1 - تم الحديث عن هذه المسألة في الفصل الثاني من هذا البحث .

2 - جلال يحي، **تاريخ المغرب العربي، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار**، ج 3، دار النهضة العربية، بيروت ، 1981 ، ص 52 .

الوقت ركدت الأنشطة الاقتصادية وأصابتها الأزمات واتجهت الأمور في غير صالح الأهالي البسطاء والحكام كذلك[1].

أولا / مكانة بن قانة عند بايات قسنطينة .

إن المتتبع لخط سير وتطور أسرة بن قانة عبر تاريخها الطويل يدرك منذ الوهلة الأولى، أن أفراد الأسرة كانوا خلال مختلف المحطات التاريخية يتمتعون بقدرة كبيرة على المناورة والمراوغة والليونة مكنتهم من الحفاظ على مكانتهم الحيوية والجد قريبة من الباي ومن مركز " صنع القرار"، وقد أثبتت كثيرٌ من الشواهد التاريخية وُجُودَهُم قرب الباي وفي أصعب الأوقات، وسعيهم في الوساطات التي ربما يعجز عن القيام بها غيرهم، فهل هذا مرده إلى قدرتهم في الاستفادة من المواقف وتحويلها لصالحهم، أم أن ذلك مرده إلى نسبهم الشريف الذي كانوا يباهون به أمام منافسيهم وحلفائهم ويرتكزون عليه، أم أنهم اغتنموا علاقات المصاهرة والنسب فلفتوا إليهم بها بايات وموظفي البايلك ؟؟

1 - المصاهـــرة.

سيبقى الزواج بلا شك من أوثق الروابط التي تربط الرجل بالمرأة رباطا أزليا وسيظل الزواج أيضا أنسب رباط سياسي تلجأ إليه الجماعات السياسية والقبلية لتقوية صفوفها ودرء الأخطار المحتملة من جهات معادية، وفي هذا الشأن اتبع أحمد باي (1826/1837) هذا الأسلوب في تسيير سياسة البايلك، فصاهر بين العائلات الكبيرة وربط بينها خاصة قبائل فرجيوة وزواغة[2]، وقد شهد العهد العثماني عدة نماذج من هذا الزواج[3] الذي يصطلح البعض على تسميته **بالزواج السياسي**، والذي كان متعدد المحاور عثماني عربي أو عربي عثماني، وتذكر المصادر أن عروج تزوج من زوج سليم التومي الذي كون قد توفي عنها، وذكر هذا الخبر المؤرخ الفرنسي "لوجي دو طاسي"[4]، كما كان الباي مصطفى بوشلاغم متزوجا من عدة نساء صاهر بهن شيوخ النواحي الغربية وقوادها، وبفضل ذلك استمرّ في الحكم زهاء ثلاثين سنة كاملة دون صعوبات كبيرة

---

1 - جلال يحي، **المرجع السابق**، ص 52 .

2 - بوعزه بوضرساية، **المرجع السابق** ، ص 63 .

3 - كتب في هذا الموضوع جل المؤرخين والباحثين الذين درسوا الجزائر خلال العهد العثماني.

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ **الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ص 158 .

تذكر، نظرا لارتباط هذه القبائل برباط المصاهرة فضلا عن وحدة المصالح المترتبة عن ذلك.

وتزوج أحمد باي القلي باي قسنطينة (*1756 / 1771*) من أسرة بوعكاز شيخ العرب آنذاك، وكذلك تزوج من أسرة بن قانة لما كان قائدا للحامية التركية بالقل، وسعى إلى تحسين علاقاته مع رؤساء العشائر القوية بواسطة المصاهرة فتزوج "دائخة" بنت الحاج بن بوزيد المقراني فولدت له "محمد الشريف" والد أحمد باي آخر بايات قسنطينة، وقام في نفس الإطار بتزويج شقيقته إلى "فرحات" إبن أخ شيخ العرب علي بوعكاز .

وقد حذا حذوه خليفته صالح باي (*1792/1771*) وابنه أحمد الشريف في الزواج من أسرة بن قانة، هذا الأخير تزوج من رقية بنت بولخراص بن قانة قائد الحضنة[1]، وكذلك فعل حفيده أحمد باي حينما ارتبط بإحدى بنات أسرة المقراني[2] والمدعوة عيشوش بنت الحاج بن عبد السلام المقراني، وكان تأثيرها على قرارات زوجها أحمد باي واضحا وجليا حينما أثنته عن إيقاع العقوبة بأبيها بعدما زَجَّ به في سجن القصبة بسبب خلافات عائلية[3]، وارتبط أحمد باي أيضا بإبنة بومزراق باي التيطري[4]، كما تزوج من "خدوجة" أخت حمدان خوجة[5].

وفي كثير من الأحيان ماتكون المصاهرة وسيلة لفتح صفحة جديدة بعد الخصومات الشديدة والحروب القبلية الشرسة التي كانت تأتي على الأخضر واليابس، وقد حاول في هذا الإطار "رجب باي" بن "فرحات باي" وضع حد للخصومة التي كانت في عهده مع قبيلة الذواودة، ودامت ثماني سنوات من *1666* إلى *1673* وذلك بتزويج ابنته للقيدوم أخ شيخ العرب أحمد بن الصخري[6].

---

1 – جميلة معاشي، **المرجع السابق**، ص *76*.

2 - **المرجع نفسه**، ص *158*.

3 – محمد المهدي بن علي شغيب، **المرجع السابق**، ص *441*.

4 - بوعزة بوضرساية، **المرجع السابق**، ص *63*.

5 – محمد بن عبد الكريم، **حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته**، ط *1*، دار الثقافة، بيروت، *1972*، ص *177*.

6 – *Charles-Louis Feraud,* ***le Sahara de Constantine,*** *Op.cit p213.*

وكان رجال الدولة العثمانية بصورة عامة يلجؤون إلى مصاهرة القادة الأكفاء والمحاربين الشديدين لكسبهم إلى صفهم أو لإتقاء شرورهم [1].

ويفسر لنا هذا الصنف من الزواج جانبا مهما من الدوافع التي جعلت أحمد باي يفضل الالتجاء لمناطق الأوراس والزيبان لمواصلة المقاومة بعد سقوط قسنطينة، وترجع جل المصادر ذلك إلى صلة النسب، التي كانت بين أحمد باي وعائلة بن قانة شيخ الزيبان، بغَضِّ النَّظر عَنِ الدَّعْمِ المادي الذي وَجَدَهُ أحمد باي لدى مثل هذه العائلات الكبيرة، التي كانت تتمتع بامتيازات خاصة تحت حكم البايات[2].

2- الوساطـة.

يلجأ الضعفاء والمساكين وَذَوُو الحاجة في كثير من الأحيان، إلى مَنْ هُمْ أكثر منهم قوة وقربا من السلطة،كَيْ يُبَلِّغُوهَا تظلما أو شكوى عجزوا عن إيصالها بوسائلهم الخاصة، وفي هذا الإطار فقد تَفَوَّقَ أَفْرَادُ بن قانة كثيرا عن أقرانهم وبرعوا في الوصول إلى مصادر السلطة، وما محاولة شيخ العرب محمد بن الحاج بن قانة وسعيه لإطلاق سراح قائد الباي الحاج عمار بن زقوطة الذي فشل في مهمته التي أرسله فيها أحمد باي لتحرير عنابة بعدما لجأ إليها ابراهيم باي الكريتلي بعد هزيمته في موقعة عين زانة إلا دليلا على ذلك[3].

وفي غالب الأحيان لم تكن الوساطة بدون مقابل، إذ استغلها شيخ العرب بن قانة في جمع الأموال وتكديسها بهدف توسيع ممتلكاته ودعمها (أراضي وعقارات)، في مختلف أنحاء البايلك.

ومن خلال مواقفه المساندة لحكام بايلك الشرق يمكننا أن نستنتج أن شيخ العرب زادت أقدامه رسوخا في عاصمة البايلك، بفضل المساهمة في حماية مدينة قسنطينة في كثير من الأحيان من طموحات بايات تونس، الرَّاغبين في الاستيلاء عليها خاصة في بداية القرن التاسع عشر رغم الجوائز والإغراءات التي مُنِحُوا إِيَّاهَا من طرف بايات تونس،

---

1 - وفي هذا الإطار فقد قام أحمد باي القلي برعاية صالح باي بن مصطفى الزميرلي وعينه قائدا للعواسي " عين البيضاء" ثم خليفة له ثم قام بتزويجه إحدى بناته. لما رأى فيه من صفات النبل والشهامة والمروءة.

2 - نصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية ..** ، المرجع السابق، ص 54.

3 - *Eugène Vayssettes,* ***histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837****, Editions Bouchène , Paris , 2002 , p235.*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وبالتالي فقد ساهم شيخ العرب بصورة أخرى في تثبيت نظام الحكم العثماني، وَحَقَّقَ القُرْبَ منه والتَّموقعَ داخل الجهاز الإداري، ونتيجة لذلك فقد كان إعجاب بايات قسنطينة بأسرة بن قانة في بعض الأحيان كبيرا وشديدا لم يتوقف عند الزواج ببناتهم والإرتباط بمصاهرتهم، بل تعداه إلى تقريبهم أكثر من مصادر"صنع القرار"وتلبية رغباتهم ووساطاتهم، وَمَنْحهمْ مَسؤوليات سامية في البايلك، مثلما عَيَّنَ "حسين باي" "محمد بلحاج بن قانة" وزيرا عنده مقابلً ما حققه من نجاحات في إخضاع الجهة الجنوبية[1].

ومما يدل على قوة مكانة بن قانة في استغلال الوساطة، أنه لا يتوانى في استخدامها، حتى لفائدة الأشخاص الذين أظهروا عداوتهم للباي، كما كان الشأن بالنسبة لعم الحسناوي شيخ قبيلة الحنانشة[2] الذي ساهم في تدبير مؤامرة ضد الباي فعزله عن مشيخة القبيلة وحكم عليه بالإعدام، ورغم أن الحكم لم ينفذ فيه إلا أنه التجأ إلى باي تونس ثم إلى يوسف المملوك بعنابة، ثم اتصل ببوعزيز بن قانة وطلب منه أن يعيده على رأس قبيلة الحنانشة، وقدم له رشوة فاستجاب بوعزيز بن قانة والتمس ذلك من أحمد باي الذي أذعن في النهاية له[3].

3- القرب من مصادر صنع القرار.

لقد كان شيخ العرب بن قانة وأسرته قريبين جدا من الباي[4] ومن "مركز صنع القرار" وقد ينتهي إلى علمهم كثير من المسائل الدقيقة العسكرية والسياسية بفضل ذلك مما يؤكد مكانتهم الراقية في بايلك الشرق، وقد أورد ما يؤكد هذه الحادثة "علي أفندي" بن حمدان خوجة في مذكراته، حيث يذكر في معرض حديثه عن محاولة الإغتيال التي كان تعرض لها أحمد باي لما كان في زيارة إلى بلاد الحنانشة من طرف مجموعة من شيوخ قبائل الجهة، "وَلَمَّا اكْتُشفَ أَمْرُهُمْ قُبِضَ عَلَيْهِمْ في انتظار إعدامهم" وأمام الجزع والخوف الذي اعترى علي أفنديَ من هذا المشهد يقول:" وبعد العشاء جاءني ابن شيخ الصحراء

1- *BenGana .B, Op.cit , p24 .*

2 - تعاون شيخ الحنانشة محمد الحسناوي بن بلقاسم مع الأمير عبد القادر ضد أحمد باي للمزيد انظر: نجي بوعزيز ، " جهود الأمير عبد القادر في دعم الجهة الشرقية " ، **مجلة الأصالة**، عدد *48*، سنة *1977*

3 - محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص *85* .

4 - من مظاهر القرب التي تستند على عنصر المصاهرة في المجتمع الجزائري خاصة، أن نجد أبناء الباي وأبناء شيخ العرب ونساؤهما وأقرباؤهما يصيرون أهلا وخلانا وأشقاء يتبادلون الزيارات العائلية ويشاركون بعضهم الأفراح والأتراح.

ليقول لي: أَيُّهَا السَّيِّد عَلي هَلْ رأيت الرجال الذين قُبضَ عليهم هذا اليوم ؟ فأجبته بنعم. فقال : "وفي الليل سَتُقْطَعُ رُؤُوسُهُمْ هنا بالقرب منكما لأن الخيمة المعدة لقطع الرؤوس توجد بجوار خيمتكما ... إن قضيتهم شنيعة وسأحكي لك يوم الغد ما فعلوا"[1].

ومن خلال هذا السرد يبدو أن ابن شيخ الصحراء هذا لم يكن سوى أحد أبناء بن قانة شيخ العرب، كان في رعاية أحمد باي وكان مقربا جداً منه، فقد علم بالمؤامرة المدبرة لإغتياله، وعلم بوقت تنفيذ العقوبة ومكانها، وكل ما أحاط بها من ظروف وملابسات ولم يتجاوز سنه الأثني عشرة سنة[2]، وهذا ما يؤكد أن العلاقات التي كانت بين أحمد باي وأخواله من بن قانة كانت وطيدة حظي خلالها أفراد أسرة بن قانة بمعاملة خاصة ولائقة، وحظوا بكل مظاهر التشريف والقرب من الباي ومن جهاز الحكم.

ثانيا / المكانة الاجتماعية للأسرة .

يعتقد قوفيون أن المكانة الكبيرة التي تمتعت بها أسرة بن قانة في القرن الثامن عشر، إنما تعود لدورها الديني في هذه الجهة من جنوب البايلك، حيث لا يزال الدين الإسلامي وشريعته تُسَيِّرُ وتُوَجِّهُ العلاقات بين الزعماء والقادة وبين العامة من الناس، ويعتبر أن هذه المكانة بدأت تتوسع خاصة بعد ما قام أحد أجداد بن قانة وهو سيدي "محمد بن قانة" بالحج في هذه الفترة، وأخذ معه عدداً كبيراً من البرابرة، الذين دخلوا الإسلام حديثا بفضل أجداده، فَنَمَتْ مكانة بن قانة الدينية في منطقة وادي ريغ والصحراء[3].

1 - مظاهرها.

يذكر قوفيون في كتاباته جملة من الروايات والآراء مبرهناً من خلالها على المكانة الإجتماعية الكبيرة لبن قانة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والتي في اعتقاده تمثل دليلا قويا على الأصل الشريفي للأسرة، فيقول "أن الحاج بن قانة كان بحمد الله مقبولاً ومحبوباً من طرف جميع حكام قسنطينة، وكانت ثروته الدائمة هي محيطه من الرجال

---

1 - علي أفندي بن حمدان خوجة، **وصف رحلة من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة عبر الجبال عام 1832** ، تقديم وتعريب احميدة عميراوي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2000. ص 68.

2 - **المرجع نفسه**، ص ص 68 - 71 .

3 - *Gouvian , M.et E ,* ***Op.cit*** *, p 5.*

الطيبين أيدهم الله وأعانهم على اتباع الطريق المستقيم"[1]، ويضيف أن الحاج بن قانة كان يحب العمل في سبيل الله مما أكسبه مكانة دينية واحتراما من طرف أتباعه، وكانت صفات العدل والكرم فيه أسطورية، حتى اعتقد الناس فيه كرامات كثيرة، منها أن لا يقتل، لكنه قتل في إحدى المعارك بمنطقة فليسة في سنة *1768* حينما كان في حملة قادها أحمد باي القلي؟؟[2]

والذي يدعو إلى الشك والطعن في هذه الرواية التي ساقها قوفيون خاصة منها ظاهرة الكرامات، أنّ هذه الظاهرة كانت تتكرر كل مرة مع زعماء القبائل المتصارعة، حيث يلجؤ الأتباع إلى اختلاق صنف من الكرامات والخوارق، يُلْبِسُونَهَا على أسيادهم وشيوخهم، وتهدف عموما في اعتقادي إلى نقطتين أساسيتين هما :

أولا: بث الخوف والرعب في نفوس الخصم وإضعافه معنويا، مادام عدوه مؤيد ومُلْهَمٌ ومحاطٌ بالعناية الإلهية ؟

ثانيا: السعي من أجلِ كسبِ ولاءِ رجالٍ وأنصارٍ جُدُدٍ لصفٍ معينٍ، يتقوى بها على خصمه.

والجدير بالذكر أن أتباع آخر شيخ للعرب من أسرة الذواودة " فرحات بن سعيد"،كانوا هُمْ أيضاً يعتبرون شيخهم محروسا، لا تصيبه الرصاصات ولا يؤثر فيه البارود؟[3].

وإذا سلمنا برواية الشيخ الشريف حسين الورتلاني فإننا نستشف منها أيضا مدى تأثير الحاج بن قانة في وادي ريغ والصحراء أثناء قيامه برحلته المشهورة إذ يقول:

" غادرنا سيدي عقبة في الصباح واتجهنا نحو زريبة الوادي[4] وقبل وصولنا نمنا في الطريق في ذلك اليوم ، ووجدنا عددا هائلا من الإبل للبيع فاشترى أخونا سي أحمد الطيب عددا معينا منها بسعر أقـــل مما هو موجود في بسكرة أو في مدوكل والتقينا في نفس اليوم ابن الشيخ الذي يـــقود العرب وأزمة العرب في يديه وكانت كلمته مسموعة عند الترك

---

1 - *Gouvian , M.et E ,Op.cit, p 6.*

2 - ***Ibid**, p 6.*

3 - *Joseph-Adrien Séroka: **Op.cit** , p381 .*

4 - من واحات الزيبان الشرقية تقع على بعد نحو شرق بسكرة انظر الخريطة بالملحق رقم 9.

ويعطونه ما يريد وأقصد هنا الحاج بن قانة إنه رجل ذكي وهادئ وثابـــت يساعد الفقراء والضعفاء وتوسلاته لا ترد أبدا وآراؤه ونصائحه معمول بها ومنفذة وهذا ما جعله يحتفظ بتأثيره بكل أمن وطمأنينة رغم تغيير حكام قسنطينة بصورة دائمة وكان كلما جاء حاكم جديد أرسل نوابـــه إلـــيه ليـــعوضوهم بأصـــدقائه "[1]

ومن خلال هذا الوصف الدقيق نجد جملة من الملاحظات تستوقفنا، حول الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي السائد، وهي ملاحظات جديرة بأن نقف عندها ومنها :

1- الأمنُ والطمأنينةُ التي كانت سائدة في هذه الفترة والتي لولا توفرها لما تمكن الورتلاني ورفاقه من النوم وسط الطريق، بل إن مجرد الإشارة إلى النوم في كتابة سياق الرحلة يبدو تافها، لو أنه لم يحصل العلم المسبق لدى الورتلاني بوعورة الطريق وكثرة قطاع الطرق واللصوص، في هذه الجهات من الزاب.

2- الرخاء الاقتصادي الذي كان يَعُمُّ أرياف الزاب، وقد أشار إليه الورتلاني من خلال ذكره لقصة اشتراء الإبل في منطقة ريفية بسعر أفضل مما هو عليه في مدينة بسكرة.

3- التأكيد على مكانة شيخ العرب الحاج بن قانة، الذي كان بيده تسيير شؤون القبائل المجاورة، والملاحظ من خلال السياق الروائي للرحلة، أن الورتلاني لم يلتقي بشيخ العرب نفسه وإنما التقى بابنه، مما يجعلنا نتساءل إلى أيِّ حَدٍّ يمكن أن تكون الإنطباعات التي صُوِّرَتْ له عن شيخ العرب صحيحة وصادقة؟ خاصة وأن الذي استقى منه هذه الأوصاف لم يكن سوى ابن الحاج بن قانة ؟

4- وصف العلاقة بين أسرة بن قانة وحكام البايلك بالمتينة والمستقرة، وترجيح كفة المكانة السياسية والقوة المعنوية أكثر لجانب الأسرة التي ظلت محافظة على مكانتها رغم تغير حكام البايلك .

5- مساعدة الفقراء والمحتاجين وهو ما يدل على نبل الأسرة وشهامتها من جهة ورغبتها في نشر الخير والأمر بالمعروف من جهة ثانية، وقد ذكر الورتلاني هذه الخصال والمسائل دون أن يقرنها بقراءات سياسية فهل مرد ذلك إلى أحادية المصدر الذي أخذ منه

---

[1] - *Gouvian , M.et E , **Op.cit** , p 5 .*

الورتلاني أم إلى قصر لبثه بالمنطقة الذي لم يمكنه من التقصي أكثر في الحقائق التي أوردها، ومن خلال ذلك يمكننا أن نقر بمسألتين هامتين :

الأولى : عدم تطرقه بالذكر للتنافس الذي كان حول المشيخة مع أسرة بوعكاز مما يمكن أن يوحي أن أسرة بن قانة كانت في مرحلة قوة وتمكين في كنف حكام البايلك آنذاك.

الثانية : لم يتطرق الورتلاني من قريب أو من بعيد للأصل الشريفي للأسرة عندما تحدث عن الحاج بن قانة الذي " يقود العرب وأزمة العرب في يده " مما يدفعنا إل الاعتقاد أن الطرح الجدلي الذي دار حول النسب الشريف للأسرة من عدمه إنما أثير في أوقات متأخرة متزامنة على الأرجح مع بداية الاحتلال الفرنسي.

ونظرا للدور السياسي الذي كانت تلعبه الزوايا والرباطات فقد كان لأسرة بن قانة مع مطلع القرن التاسع عشر تأثيرا كبيرا في بعضها كزاوية طولقة[1] وبفضلها تمكنت الأسرة من استمالة قسم مهم من سكان البلدة إلى صفها، بينما ظل القسم الآخر ومنهم أولاد بن عزوز يوالون أسرة بوعكاز الذواودة[2]، مما يثبت تورط هذه الزاوية في الصراع حول مشيخة العرب المُتَّقد بين الأسرتين، ويدل أيضا على نجاح بن قانة في سياسة التعبئة الشعبية المهمة في مثل هذه الصراعات إلى حد ما.

2- علاقة بن قانة ببني جلاب في وادي ريغ.

"بنو جلاب" من أعرق الأسر المحلية التي حكمت منطقة توقرت، امتد حكمها من القرن *15* إلى سنة *1854*. وقد تعرضت المنطقة التي تتبع سلطان الأسرة، لأهميتها الجغرافية وثرواتها إلى العديد من محاولات الإخضاع والسيطرة خاصة في العهد التركي، حيث قاد صالح ريس أول حملة عليها سنة *1552* ثم يوسف باشا سنة *1649* ثم صالح الباي سنة *1788*، الذي لم يكتف خلالها بإجبار بني جلاب على دفع المستحقات الضريبية للبايلك، بل ألحق السلطنة به مباشرة حينما ترك على رأسها أحد أفراد أسرة بن قانة، وآخر حملة كانت تلك التي قادها أحمد باي المملوك سنة *1818*.

---

1 - تقع على بعد نحو *30* كلم إلى الجنوب الغربي من بسكرة انظر الملحق رقم *9*.

2 أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ص *148*.

ومن خلال هذه الحملات يبدو أن أمراء بني جلاب اتخذوا موقفا معاديا من السلطة التركية ومن أسرة بن قانة التي كانت موالية لها طيلة تواجدها على مسرح الأحداث ببايلك الشرق، وانتهجوا أسلوب التحالف مع القوى المحلية خاصة الذواودة وتطور هذا التحالف إلى نسب ومصاهرة، لمواجهة الأخطار المحتملة، وبعد سقوط قسنطينة امتنع بنو جلاب عن دفع الضرائب لأحمد باي التي كانوا يؤدونها له من قبل ولما هددهم باستعمال السلاح تحالفوا مع الأمير عبد القادر[1] الذي كان هو الآخر في حرب ضد التيجانيين[2].

لقد كان بإمكان سلاطين بني جلاب أن يساهموا بصورة كبيرة في تقوية صفوف أحمد باي ومؤازرته بعد سقوط قسنطينة قبل أن تضطره الظروف القاسية إلى الاستسلام وقبل أن يسعى أخواله من أسرة بن قانة في الإتصال بالسلطات الفرنسية والتخلي عنه، فلو أن أمراء بني جلاب تحالفوا مع أحمد باي لكان ربما عزز هذا الحلف موقف بن قانة ومنحه نفسا أطول، مما من شأنه أن يشكل جبهة قوية ضد الإحتلال، لكن الخيار الذي سار فيه بنو جلاب والمتمثل في التحالف مع الأمير عبد القادر كان رهانا خاسرا، فقد تحالفوا مع طرف بعيد جغرافيا وتركوا الطرف القريب والمؤثر، فلم يتلذذوا بطول الانتقام من أحمد باي حليفه بن قانة من جهة و لم يكونوا في منآى من الوقوع بين مخالب الاحتلال الفرنسي من جهة ثانية و لم يستطيعوا درءه ودفعه عنهم.

ثالثا / المكانة السياسية للأسرة .

1 - الاستوزار

كان بايلك الشرق مسرحا للكثير من الأحداث السياسية الهامة والكبيرة التي غيرت موازين القوى في الجنوب القسنطيني، فبفضل نجاحاته في إخضاع الجهة الجنوبية عين محمد بلحاج بن قانة وزيرا عند الباي حسين[3]، ويرجع الفضل في ذلك الى قوته

---

[1] - معاد عمراني، **أسرة بني جلاب في وادي ريغ خلال القرنين 19 / 20** ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة ، 2002 ، ص ص 41 - 52 .

[2] - كان الصراع بين الأمير عبد القادر والتيجانيين بسبب اختلاف الإنتماء الفكري بين الطرفين فالأمير كان يتبع تعاليم الطريقة القادرية التي كانت على تنافر كبير مع التيجانيين أصحاب عين ماضي في مسائل عقائدية وفقهية كثيرة.

[3] - *Gouvian , M.et E , Op. cit , p 27.*

ودهائه، ففي *1793* تمكن من قمع تمرد أولاد نايل[1] ولم يكتفي بذلك بل قام باقتياد زعماء الثورة إلى الباي، وأجبرهم على إعلان الخضوع والولاء له[2].

ويعد منصب الوزير أرقى المناصب التي تحصل عليها أحد من أفراد أسرة بن قانة خلال تاريخها الطويل، والذي يدفعنا للتساؤل عن سبب منح الباي لشيخ العرب هذا اللقب، هل كان حقيقة جديرا به وأهلا له، أم أن الباي أحس بازدياد مكانة شيخ العرب في الزيبان فمنحه هذا المنصب الشرفي ليكون قريبا منه ومطلعا على شؤونه ومراقبا لتحركاته ؟؟

ومهما يكن من أمر فإن هذا الإستوزار الذي كان يبدو في ظاهره نعمة، كان يحمل في ثناياه الكثير من الشرور التي جلبها على الأسرة والتي منها :

البعد عن منطقة الزاب مركز مشيخة العرب وبالتالي ترك المجال فسيحا للمنافسين التقليديين من الذواودة لتبوؤ مكانتهم واستعادة نفوذهم.

فتح مجال التنافس داخل بيت أسرة بن قانة حول من يخلف شيخ العرب المستوزر، وقد اشتد السجال بين أفراد الأسرة، وانتهى بسلسلة من المكائد والجرائم التي اقترفها أفراد الأسرة فيما بينهم، فأقصوا أنفسهم من حيث لا يدرون[3].

2- مشيخة العرب.

شَكَّلَ منصبُ مشيخة العرب مدار الأحداث في الزاب والجنوب القسنطيني خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، وكان محور الصراع والشقاق الذي أفضى إلى وقوع الجنوب القسنطيني برمته تحت نير الاحتلال.

وقد تداول من أسرة بن قانة على هذا المنصب إلى غاية سنة *1839* سبعة شيوخ اختلفت فترة حكمهم من شيخ لآخر وهم :

---

1 – أولاد نايل هي عبارة عن منطقة جبلية ورعوية تسكنها عدة قبائل تعتمد على التنقل والترحال.

2 – *Gouvian , M.et E ,**Op.cit** , p 7 .*

3 – تطرقنا للتنافس بين أفراد الأسرة حول منصب شيخ العرب باستفاضة في الفصل لثاني من هذا البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- الحاج محمد بن علي بن سليمان بن قانة (1762 – 1768)

هو أول شيخ للعرب من أسرة بن قانة تحدث عنه جل الذين كتبوا في تاريخ الأسرة، وبعدما مُنِحَ اللقبَ لم يتمكن من ممارسة سلطة فعلية لأن مجال نفوذه كان لا يتجاوز حدود مدينة بسكرة، نظرا لقوة علي بوعكاز المخلوع.

وقد أعاد علي بوعكاز قفطان التولية إلى مقر البايلك بعدما فشل في الحفاظ على منصبه، وكان دوما يَتَّهِمُ بن قانة بـــ"اللص" و"السارق" الذي استحوذ على سلطة آبائه وأجداده، وبفضل القبائل الوفية لعلي بوعكاز فقد كانت السيادة والمبادرة والقدرة على الحركة في منطقة الزاب دوماً بيده، لكنه لم يَجْرُؤْ أبدا على مهاجمة الحامية التركية ببسكرة، ربما لأنه كان يطمح في استعادة لقبه المسلوب، في مقابل ذلك ظَلَّ يَتَعَقَّبُ غَرِيمَهُ بن قانة ويَتَتَبَّعْ حركاته وسكناته حتى هزمه في إحدى الكمائن قرب سيدي خالد، ودفعه للانسحاب من ميدان المعركة واللجوء عند قبائل أولاد زيان في وادي عبدي[1]، وكانت هذه المعركة بالنسبة لعلي بن بوعكاز بمثابة رسالة رمزية وَجَّهَهَا للباي حتى يعيد حساباته في مسألة شيخ العرب، لكن هذه الرسالة لم تلقى الرد.

ومات شيخ العرب الحاج محمد بن علي بن سليمان بن قانة في إحدى حملات الباي أحمد القلي كما تمت الإشارة إليه من قبل فخلفه ابنه البكر محمد بن الحاج محمد بن سليمان بن قانة .

2- محمد بن الحاج محمد بن سليمان بن قانة (1768 – 1794)

ورث محمد بن الحاج عن أبيه منصب شيخ العرب في ظروف عصيبة عجزت فيها الإدارة التركية على توفير الأمن والسلم في البايلك وإخضاع القبائل المتمردة للسلطة المركزية، ومن دلائل هذا الضعف وجود شخصين يحكمان في نفس الوقت وفي المكان نفسه بلقب واحد هو لقب " شيخ العرب " أحدهما من أسرة بن قانة، والآخر من أسرة بوعكاز[2].

---

1 - وادي عبدي من أودية الأوراس يستمد مياهه من المرتفعات الجنوب لمدينة باتنة وضواحيها ثم ينحدر جنوبا مرورا بعدة قرى كجمورة، ثم يمر شرق بسكرة ويصب في شط ملغيغ.

2 - *BenGana.B, **Op. cit**, p 25 .*

ورغم جهود أحمد باي القلي في احتواء الصراع والتقريب بين العائلتين المتصارعتين و ذلك بتزويج أخت زوجته مباركة بن قانة من فرحات بن أحمد بن بوعكاز حفيد علي بوعكاز شيخ العرب المتوفى، لكن هذا الحفيد الذي عَوَّلَ عليه أحمد باي القلي مات مبكرا في ريعان شبابه في نواحي أولاد جلال عندما كان يسعى للصلح بين قبيلتين متصارعتين فخلفه محمد بوعكاز المعروف بالدباح[1]، والذي كان شديد الكراهية لبن قانة وغير متحمس لسياسة الصلح معهم .

وعندما تولى صالح باي السلطة سنة *1771* وجد نفسه أمام شيخين للعرب متصارعين، فحاول تنظيم المنطقة وذلك بإعادة توزيع المهام عليهما، وكانت البداية بمحمد بن الحاج بن قانة حيث قام صالح باي في إحدى خرجاته إلى بسكرة بتنصيبه كشيخ للعرب فيها، تاركا المساحات المترامية حولها لمحمد بوعكاز، لكن بن قانة كان عاجزا على حماية ملكه فلم يستطع حتى الخروج من المدينة، وانهزم أمام أنصار بوعكاز قرب بسكرة مما دفعه للفرار والإعتصام بجبال أحمر خدو[2]، خوفا وحياء من انتقام صالح باي، الذي كان يريد من قادته أن يكونـــوا في نفـــــس درجة القوة والثقة بالنفس التي يمتلكها[3]، فأصاب صالح باي اليأس في الإعتماد عليه لمقاومة نفوذ محمد بوعكاز فتركه لمصيره دون إعانة أو حماية.

وبعد مشاركته في صد حملة أوريلي الفاشلة التي استهدفت احتلال مدينة الجزائر العاصمة ثم إعلانه الحرب على تونس بسبب النزاع الحدودي بين الإيالتين[4]، عاد صالح باي إلى عاصمته قسنطينة، وشرع في الإعداد لحملة جديدة لإخضاع قبائل الجنوب التي كانت ما تزال تشكل مصدرا للقلق والإضطراب، ففي سنة *1788*[5] وجهت الحملة هذه المرة نحو مدينة "توقرت" عاصمة سلاطين بني جلاب التي رفض حكامها الالتزام بدفع الضرائب، فهزمهم وحَدَّ من نفوذهم، ومن أهم الأعمال التي قام بها صالح باي بتوقرت، إحداثَ تغييرٍ كبيرٍ على رأس السلطنة تمثل في تعيين "ابراهيم بن الحاج بن قانة" أخ شيخ

---

[1] - *BenGana .B, **Op.cit**, p 25 .*

[2] - *Charles - Louis Féraud,**Op.cit**, p258.*

[3] - ***Ibid** , p258.*

[4] - ***Ibid**, p258.*

[5] - *Mahfoud Kaddache, **l'Algérie durant la période Ottomane** , O.P.U. Alger , 1991 , p155.*

العرب على رأس سلطنة وادي ريغ، وكَلَّفَهُ برعاية أبناء سلطان بن جلاب الذي قتل مسموما من قبل في وادي سوف[1].

ومن التغييرات الإدارية التي أحدثها صالح باي كذلك عقب هذه الحملة تثبيت مشيخة العرب للذواودة بزعامة محمد بن بوعكاز، بعدما اعترف هذا الأخير بسلطة الباي وفي نفس الوقت ترك لمحمد بن الحاج بن قانة جزءً من السلطة يمارسها في مدينة بسكرة وضواحيها.

إن قراءة من زاوية أخرى لهذا الموقف تؤكد لنا عجز حكام البايلك على فض النزاع والصراع على السلطة المشتعل بين أسرة بن قانة والذواودة منذ سنوات وليس في مقدور السلطة إيجاد حل دائم لهذا التنافس الدموي سوى بانتهاج سياسات ترقيعية ظرفية مؤقتة .

وكانت فترة حكم صالح باي نقمة على بن قانة حيث كانت مشيخة العرب مثبتة عند محمد بن بوعكازالذواودي *1788 / 1792*، ولم تكن الفترة مستقرة تماما داخل البايلك لأن أسرة بن قانة قررت الثورة على صالح باي، وَرَفَضَ أفرادُها سياسَتَهُ التي انتهجها في تسيير البايلك، خاصة إبعادهم عن مشيخة العرب وتقريبه للذواودة أعدائهم التقليديين[2]، وفي هذا اعتراف ضمني بعجز الأسرة القانية على افتكاك مكانتها بالقوة من منافسيها دون سند خارجي من البايلك.

وقد اتصلوا في هذا الإطار بباشا الجزائر وطعنوا في صالح باي متهمين إياه ببناء التحصينات حول مدينة قسنطينة وتقويتها من أجل محاولة الانفصال ببايلك الشرق، فعزله الداي وعين مكانه حسين باي[3].

وأكد شارل فيرو هذه الأحداث حيث ذكر أن بن قانة لم يتركوا أي ذكرى طيبة لصالح باي في مخيّلتهم ولا في مذكراتهم العائلية، وساهموا بقوة في إضعاف حكمه بمختلف التقارير التي كانوا يكتبونها للباشا ويدسّون فيها التهم و ينسجون الأوهام حول الرجل، وبلغ التوتر والخلاف أوجه بين الطرفين في إحدى المرات عندما غادر محمد

---

1 - *BenGana.B* , ***Op.cit***, *p 25* .

2 - *Gouvian. M.et E,* ***Op.cit*** *, p 6.*

3 - *BenGana.B* , ***Op.cit***, *p 25* .

بلحاج بن قانة جبل أحمر خدو وأقام في " عين متوسة " في سهول عين البيضاء حاليا، ثم كتب لباشا الجزائر رسالة قائلا له فيها : " *أنقذونا من صالح باي وانزعوا عنه قيادة وحكم قسنطينة* "[1].

ويبدو أن صالح باي لما أحس بالمؤامرة التي كان يدبرها له بن قانة سعى إلى مد جسور الوفاق مجددا مع الأسرة، فأجزل عليها المنح والهدايا ومختلف العروض لكن محمد بلحاج بن قانة كان يرفض هذه العروض والمنح التي كان الهدف منها حسبه إغراءه وضمه إلى صفه، وكان يجيب الباي :"*لم يعد بيننا أنا وأنت أي شيء لكل واحد منا شأنه وطريقه، وما دمت في السلطة فإنني لن أخدم السلطة التركية*"[2].

من خلال هذا الوصف الدقيق للحالة النفسية التي آل إليها بن قانة من كراهية وبغض لصالح باي الذي حرم الأسرة من حقها وميراثها في تبوؤ مشيخة العرب حسب زعم بن قانة، نستنتج أن الطرفين سعيا كل على حدة لسحب البساط من تحت أقدام الطرف الثاني، وفي هذا المضمار فقد بادر صالح باي أولا بتدبير ونسج مؤامرة لإبعاد خصمه وتقليم أظافره قبل أن يشتدّ عوده ويقوى ساعده، ويجد في أثناء ذلك من يثمن ادّعاءاته وتوسلاته لدى الداي فيتحول بالتالي إلى عنصر مشاغب ومصدر قلق دائم للباي.

وتتمثل فصول هذه المؤامرة التي دبرها صالح باي للقضاء على زعيم أسرة بن قانة المتمرد والعنيد في إعلان الباي عن توجيه حملة عسكرية بدعوى تأديب قبائل النمامشة في الجهات الشرقية للبايلك، ووجهت دعوة لبن قانة للمساهمة فيها و في منتصف الطريق تحولت الحملة ضده حيث أبيدت المجموعة العسكرية المرافقة له، لكن بن قانة تمكن من الفرار مرة ثانية واللجوء إلى الجبال المجاورة معتصما بها من بطش الباي[3].

ووجد بن قانة فرصة جديدة لمراسلة الباشا يطلعه ويعلمه بمستجدات الأمور فأجابه الباشا بأنه قد عزل الباي صالح وعين مكانه **ابراهيم باي بوصبع**[4].

---

1 - *Charles – Louis, Féraud, **Op. cit**, p260 .*
2 - ***Ibid**,p 260.*
3 - ***Ibid**,p 260.*
4 - ***Ibid**,p 260.*

لكن صالح باي كما يؤكد ذلك جل المؤرخين وقف ندا لباشا الجزائر، ووقف ضد شرعية الحكم المركزي الذي رغم سلبياته، لا زال يمثل أحد أهم رموز الولاء والوحدة بالنسبة للأهالي سياسيا ودينيا، وقد تبلور موقفهم نهائيا من طرفي الصراع، حيث أبدوا وفق ما أثبتته الروايات التاريخية مساندة مطلقة للسلطة المركزية.

وفي هذا الإطار، فقد أورد "ابن العطار" أن داي الجزائر قام بتعيين "حسن باشا"[1] على رأس البايلك مكان "ابراهيم باي" الذي قضى عليه صالح باي، وكساه الخلعة فخرج مسرعا إلى قسنطينة وكان بينه وبين المقرانيين وشيخ العرب مصاهرة، فلما وصل إلى المقرانيين نهضوا معه جميعهم وناصروه، كما بعث إلى شيخ العرب "فلقيه بجنوده العربان وجميع الدوائر وأهل البادية حتى اجتمع إليه جيش عظيم"[2]، خرج به إلى قسنطينة وتم عزل صالح باي بن مصطفى بعدما تبرأ منه شيخ الإسلام بن الفقون[3].

وكان أول عمل قام به حسين باي إعادة المكانة السابقة لبن قانة ولم يعول حسين باي على الحامية التركية المتواجدة في بسكرة لتثبيت ملك الأسرة بل قام بدعمها بقبائل مخزنية قوية منها :

- **قبيلة الصحاري** .
- **قبائل أولاد بن صاولة** التي كانت تستوطن الزاب الشرقي.

ومن خلال هذا يتبين لنا جليا أن بن قانة كانوا لا يملكون قوة عسكرية متجذرة في المنطقة، ولم يكن لهم امتدادات في الصحراء كما كان للذواودة، ما دام ملكهم لا يثبت إلا بالقوة الخارجية التي يمنحهم إياها البايلك، ولا يخرج في غالب الأحيان من نطاق مدينة بسكرة التي تحرسها الحامية التركية.

ولما أحس شيخ العرب محمد بلحاج بن قانة بعلو شأنه و مكانته عند حسين باي سارع إلى تعيين أخيه "بولخراص" قائدا للحضنة وحفيده "علي بلقيدوم" على رأس أولاد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

1 - إبراهيم باي كان يشغل منصب خليفة لصالح باي، فعينه الداي بايا جديدا على قسنطينة مكان صالح باي المتمرد.

2 - العطار بن المبارك، **المرجع السابق**، ص 73 .

3 - محمد المهدي شغيب، **المرجع السابق**، ص 379 .

صاولة بمعية الشيخ "بوضياف بن شنوف"[1]، الذي يمثل فرعا من فروع أسرة الذواودة، ويأتي هذا التعيين بهدف دعم أسرة بن قانة من جهة، ومن جهة ثانية تفتيت الوحدة الأسرية لخصومها، ممثلين في أسرة بوعكاز الذواودة[2].

وظلت مكانة شيخ العرب تزيد يوما بعد يوم عند باي قسنطينة حتى قام بتعيينه وزيرا له، كما تقدم ذكره لكنه لم يكد يستمتع بهذا المنصب الرفيع حتى أدركته الوفاة سنة *1794*، وهو في طريقه إلى الجزائر العاصمة رفقة الباي حسين لأداء الدنوش السنوي.

وبوفاة محمد بلحاج بن قانة اندلع الصراع بين أفراد الأسرة كما رأينا في الفصل السابق واستمرت حالة التشنج طويلا، وتزامنت مع حوادث مؤسفة أخرى منها مقتل حسين باي ثم مصطفى الوزناجي، وفي سنة *1803* عين انجليز باي على رأس السلطة في البايلك فعمل على إعادة الزعامة لبوعكاز وحلفائه بن زكري.

وفي هذه الأثناء قرر محمد الصغير بن قانة الإنتقام من أعمامه الذين حرموه حسب زعمه من حقه في الحكم فدبر المكيدة التي انتهت بمقتل زعماء العائلة وتشريدهم والزج بهم في السجون[3].

3- محمد الصغير بن قانة

تولى مشيخة العرب في نطاق ضيق جدا يشمل بسكرة وقيادة الحضنة وقد منح هذا اللقب نظير ما قام به من أعمال انتقامية ضد أفراد أسرته وأقاربه من بن قانة لكنه وقع في نفس المكيدة حيث قتل من طرف علي بلقيدوم أحد الناجين من خيانته وذلك سنة *1803* .

---

1 - *BenGana.B , Op.cit , p25.*

2 - لمزيد من الاطلاع يراجع *Charles - Louis Féraud : « les Ben-Djellab sultants de tougourt », N° 27 Op.cit , p266.*

3 - لمزيد من المعرفة الرجوع إلى الفصل الثاني من هذا البحث .

4 - علي بلقيدوم بن قانة

تعد بداية القرن التاسع عشر من أحلك الفترا التي مرت بأسرة بن قانة نتيجة لصراع أفراد الأسرة في ما بينهم على السلطة والمكاسب المادية والألقاب وكذلك استمرار هيمنة بوعكاز في الجهات الجنوبية للبايلك ومنافستها لبن قانة واغتنامها لشتى الفرص المواتية.

ورغم أن علي بلقيدوم اعتزل السياسة بعد قتله محمد الصغير سنة *1803* تاركا مشيخة العرب بيد الشيخ الذباح بن بوعكاز من *1803* إلى *1805* لكنه عاود الرجوع إلى العلن، عندما تولى السلطة في بايلك الشرق عبد الله باي سنة *1805* مستعيدا لقب شيخ العرب مرة أخرى، ونظرا لإعجاب الباي الجديد به فقد منحه قطعتي أرض قرب قسنطينة تعرفان بالأرض الخضرة والأرض الحمرة[1] بقرية العثمانية.

و قام الباي نعمان الذي حكم في الفترة الممتدة من *1811* إلى *1814*[2] بإصدار أمر إلى الخلفاء والقادة في المنطقة يعلمهم فيه بأنه قد منح أرضا من البايلك إلى بن قانة وهي الأرض الواقعة بقرية العثمانية[3] والمعروفة ببرج بن قانة والآن تعرف بجبل عقاب[4]، وقد جدد هذا الأمر سنة *1815* من طرف تشاكر باي حيث تضمن أيضا إعفاء شيخ العرب من أي ضريبة، لكن سنة *1815*[5] كانت تحمل معها مفاجآت غير سارة لبن قانة بدءا بأغتيال تشاكر باي من طرف منافسيه وعلى رأسهم قارة مصطفى الذي خلفه على رأس البايلك غير أن حكمه لم يدم سوى شهرا واحدا لطغيانه واستهتاره واستسلامه للهو والملذات والفواحش بعدما حبس نفسه هو ومجموعة من اليهود في دار الباي ، ونظرا لغيه وتماديه فقد بلغت سيرته باشا الجزائر فعزله وعيّن مكانه أحمد باي المملوك وذلك سنة *1818*[6] .

---

[1] - *BenGana.B* , ***Op.cit***, *p31* .

[2] - *E.Vayssettes*, ***Op.cit***, *p p 187-190.*

[3] - تشتهر و تتميز وادي العثمانية باراضيها الزراعية الخصبة المعروفة بإنتاج الحبوب كما تشتهر بتربية المواشي بفضل وقوعها على إحدى ضفاف وادي الرمال، الذي يمر بمدينة قسنطينة.

[4] - انظر الملحق رقم *10*.

[5] - *E.Vayssettes* , ***Op.cit*** , *p p 187-190.*

[6] - ***Ibid***, *p 207.*

من أهم الأعمال التي باشرها أحمد باي المملوك أنه قرب إليه أحد أفراد أسرة بن زكري واتخذه كمستشار له، فاستغل هذا الـــشخص منصبه في إغارة الأحقاد من جديد على أسرة بن قانة وذلك بحكم التحالف الذي كان بين بن زكري وبوعكاز، فصوّر للباي بأن منصب شيخ العرب لا يليق أن يشغله من قتل ابن عمه من أجله، ولا زال بالباي يشحنه ويوغر صدره حتى أصدر قراره أخيرا بتنفيذ حكم الإعدام في حق علي بلقيدوم بن قانة ونفذ الحكم سنة *1818* [1] لجريمة ارتكبها قبل *15* سنة .

ووجد فرحات بن محمد بن قانة نفسه وحيدا محاصرا قرب مدينة القنطرة بعدما نزل عليه خبر إعدام شيخ العرب كالصاعقة ففاجأه وأفزعه وكان سببا في تدني معنوياته و انهزامه المنكرة أمام قوات دباح بن بوعكاز وقوات الباي الجديد الذي أظهر شرا مستطيرا لأسرة بن قانة بعد سنوات من الطمأنينة ، و لم يستطع فرحات محمد بن قانة كظم جزعه وهلعه ، فقضى متأثرا بجراحه في نفس السنة بمنطقة " منعة " بالأوراس حيث التجأ فارا من أمام قوات بوعكاز وحلفائه[2].

وكانت النتيجة المنطقة لهذا التغير المفاجئ في سياسة البايلك منح لقب شيخ العرب مجددا لأسر بوعكاز بزعامة دباح بن بوعكاز .

لكن هذا الأخير لم يستمتع طويلا بلقب شيخ العرب فسرعان ما دارت عليه الدوائر بعد التغير الجديد الذي طرأ على مستوى الإيالة حيث توفي الداي علي خوجة بسبب وباء الطاعون فخلفه الداي حسين في *01* مارس *1818* آخر دايات الجزائر، حيث طلب من باي قسنطينة قارة مصطفى أن يعزل أفراد أسرة بن زكري (حلفاء بوعكاز الذواودة) من جميع وظائفهم ويرسلهم إلى الحج فورا وقد كلف بمرافقتهم عبد الرحمن بن نعمون والشيخ محمد بن أبي درهم الذين كلفهما الداي أيضا بحمل أموال من الحبوس إلى الأماكن المقدسة قصد صرفها في شؤون الترميم والإصلاح [3] وكان اقتراح عزل بن زكري حلفاء بوعكاز المنافسين التقليديين لأسرة بن قانة من طرف أعلى سلطة في إيالة الجزائر، حدثا هاما طرح عدة تساؤلات عن سبب إقدام الداي على هذه الخطوة، هل علم بتجاوزات معينة قام بها شيخ العرب دباح بن بوعكاز المعين مؤخرا ؟ أم أن أفراد بن قانة الذين كانوا ضحية الباي أحمد المملوك وسياسته العدوانية ، دفعهم لرفع

---

1 - *BenGana .B , **Op.cit**, p31.*
2 - ***Ibid**, p 31.*
3 - *E.Vayssettes, **Op.cit** , p 208.*

شكاوي ضده إلى الداي حسين انتهت بعزله عن منصبه هو وحاشيته وأعيانه ؟ خاصة وأن أفراد بن قانة كانوا متمرسين في هذه المسألة فقد ساهموا بصورة فعالة في الإطاحة بحكم صالح باي *1771/ 1792* بعدما أمطروا السلطة المركزية بسلسلة من التقارير غذوها بتلفيق التهم لصالح باي انتهت بعزله وتصفيته ؟؟

وقد تم فعلا عزل أحمد باي المملوك ونفيه إلى مازونة ولم يدم حكمه لقسنطينة سوى ستة أشهر[1]، وعين مكانه الباي محمد الميلي الذي غير في جهاز الحكم بالبايلك حيث اختار أحمد بن الشريف حفيد الحاج أحمد باي القلي وابن الحاجة رقية بنت قانة، مستشارا له وسوف يصير نفسه أي أحمد باي بن الشريف فيما بعد بايا لقسنطينة، وهكذا أعيدت لأسرة بن قانة المشردة مكانتها وعزل الشيخ دباح بن بوعكاز عن مشيخة العرب مرة أخرى لتعود من جديد لبن قانة[2].

5 بن المسعي بن ابراهيم بن قانة.

انتقل منصب شيخ العرب لبن المسعي بن ابراهيم بن قانة ابن حاكم توقرت القديم فسخط بوعكاز على هذا القرار وأعلنوا العصيان والثورة فجهز الباي حملة كبيرة توجه بها نحو الجنوب برفقة شيخ العرب الجديد، ورغم فشل الحملة الأولى على مدينة أورلال[3] بسبب قوة جيش الخصم لكن هذا لم يثن الباي على مواصلة الحملة التأديبية ولم يكن يهمه سوى تحقيق النصر بأي ثمن مهما بلغ حجم الخسائر وهذ ما حققه الباي حيث أخذ الفدية من بوعكاز وقطع لهم كثيرا من النخيل، ويورد في هذا الشأن "فيرو" اعترافا للذواودة مفاده أن هزيمتهم لم تكن لتحصل لو لم يستعمل الباي المدافع الثقيلة في "أورلال"، ورغم ذلك فقد فضل الباي الإنسحاب إلى قسنطينة ومعه شيخ العرب[4]، لكن هذا الأخير "بن المسعي بن قانة" أصيب في طريق العودة بوَعْكَة صحية مفاجئة ومات متأثرا بها قرب وادي طرفة في المكان المسمى " مزع بلمسعي"[5].

---

1 – *E. Vayssettes*, ***Op.cit***, *p208.*

2 – *BenGana .B* , ***Op.cit***, *p 32.*

3 – أورلال واحة تقع إلى الجنوب من مدينة بسكرة يمر بها وادي جدي تمتاز بأشجارها الوافرة وبساتينها الفيحاء ونخيلها.

4 – *Charles - Louis Féraud .* ***Op.cit*** *, p. 328*

5 – *BenGana.B,* ***Op.cit****, p33 .*

6- محمد بلحاج بن بولخراص بن قانة.

لقد كان وصول الباي إبراهيم إلى الحكم في بايلك الشرق سنة ينذر بانفجار أزمة جديدة حيث اتهم أحمد باي المعروف بطبعه العنيف على حد تعبير بن قانة باستغلال السلطة مما جعله يتعرض لنقمة جهاز الحكم بالبايلك وينفى إلى البليدة وقد لقي المصير نفسه شيخ العرب محمد بلحاج الذي عزل عن منصبه ورافق أحمد إلى منفاه[1].

وفي سنة 1820 وصل إلى السلطة مجددا أحمد باي المملوك، وكما فعل في السابق، فقد قام باختيار أحد أفراد بن زكري خليفةً له وأراد أن يلقب دباح بوعكاز شيخا للعرب، لكن هذا الأخير بدافع كِبَر سِنِّه تنازل عن هذا العرض لحفيده فرحات بن سعيد بن بوعكاز[2]، ولم يتم ترسيم هَذِهَ الإِجَراءات إلا في فترة حكم الباي الجديد إبراهيم الكريتلي 1822 / 1824، الذي بدا أكثر إنصافاً في حق أسرة بن قانة، حين قام بمعاقبة أفراد أسرة بن زكري الذين ساهموا في تنفيذ حكم الإعدام في حق شيخ العرب السابق علي بلقيدوم بن قانة سنة 1818، لكنه وفي مقابل ذلك احتفظ بفرحات بن سعيد في منصب شيخ العرب[3].

وكان هذا التقدم الذي حققته أسرة بوعكاز في ميدان لقب مشيخة العرب إنما بسبب تراجع مقصود من طرف أسرة بن قانة إلى الخلف في مجال النفوذ والقرب من السلطة ، في مناورة منها تهدف إلى إيقاع العداوة بين زعيمي الأسرة، الشيخ دباح بن بوعكاز الذي بلغ من الكبر عتيّا وابن أخته فرحات بن سعيد الشاب الطموح والحاقد كثيرا على أسرة بن قانة وجميع حلفائها.

وشهدت سنة 1926 صعود شخصية جديدة أخرى لحكم بايلك الشرق إنه الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة، بعدما عفا عنه الداي حسين، وَعَيَّنَهُ باياً على قسنطينة[4].

وليس من السهل القول بأن الأمورَ قد لانت وَتَيَسَّرَتْ لأسرة بن قانة تماما بوصول أحمد باي بن الحاجة رقية بنت قانة إلى السلطة، لأن شيخ العرب كان يدرك وقتئذ ضعفه

---

1 - *BenGana.B, **Op.cit**, p33.*

2 - بينما تذكر كتابات أخرى أن التنافس بين الجد دباح بن بوعكاز وحفيده فرحات بن سعيد بلغ أوجه على مشيخة العرب مثلما كان يرى شارل فيرو انظر الفصل الثالث من هذا البحث .

3 - *BenGana.B, **Op.cit**, p34 .*

4 - ***Ibid**, p34.*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقوة خصومه لذلك لم يفوّت سنة 1827 دون أن يعقد حلفا كبيرا بقيادة الباي نفسه وضمّ :

1 - **شيخ العرب** محمد بلحاج بن قانة.
2 - **شيخ فرجيوة** بوعكاز بن عاشور.
3 - **شيخ زواغة** الشيخ عز الدين.

وكان الهدف من هذا الحلف طبعا الوقوف في وجه المنافسين التقليديين وحلفائهم خاصة بن زكري وبن لبيوض وبن نعمون[1]، وظل شيخ العرب يراود الباي عن نفسه للانتقام من هؤلاء لأنه كان يدرك حجم الشرور والمصائب التي حلت على عائلته من جانبهم ، ولما سنحت الفرصة بذلك وأذنت ساعة هلاكهم شرع شيخ العرب في تنفيذ دائرة انتقام واسعة شملت خصوم بن قانة جميعا، فجردوا من أملاكهم في المدينة وضربت رقابهم وشتتت جموعهم، ورغم التجائهم إلى زاوية المرابط سيدي التواتي بمنطقة جبل شطابة وادي زياد (الروفاك حاليا)[2]، بعدما جمعوا بها أملاكهم وثرواتهم لعل طالبهم يرتدع ويرعوي، إلا أن ذلك لم يشفع لهم عند بن قانة وحلفائه المدفوعين بحقد كبير فأبادوهم جميعا، حتى أولائك الذين التجؤوا إلى ضريح سيدي التواتي نفسه مستغيثين به من شدة الفزع، كان الموت في انتظارهم فَذُبحُوا جميعا وفصلت رقاب ستة عشر (16) من زعمائهم الأشداء، وأُرسلت على جناح السرعة إلى الجزائر العاصمة[3]، ليهنأ الباشا بالتخلص من خصوم الإيالة في هذه الجهة الهامة .

وبقضائه على بعض خصومه الأشداء بفضل دعم أحمد باي له، يكون محمد بلحاج بن قانة قد أزاح من طريق الأسرة لتستعيد مكانتها التاريخية، فئةً من المبغضين، ولكن ذلك لا يعني الهيمنة المطلقة للأسرة في البايلك، فلا يزال الجنوب القسنطيني ينتظر ولا يزال فرحات بن سعيد بن بوعكاز آخر شيوخ العرب من فرع الذواودة سيده الفعلي بلا منازع، مهيمنا يجول ويصول فيه بحرية وطلاقة.

وكان محمد بلحاج بن قانة يدرك أن قوته العسكرية لا يمكن أبدا أن تضاهي قوة فرحات بن سعيد، فلا مناص إذا من استعمال أساليب سياسية جديدة، كالمكر والخداع

---

1 - *BenGana .B , **Op. cit**, p 35 .*

2 - الروفاك قرية تقع على بعد 25 كلم شمال غرب قسنطينة، تدعى الآن "ابن زياد".

3- *Charles - Louis Féraud ,**Op.cit** , p332.*

والمراوغة وقد نجح بالفعل في هذا، فخلال بضع سنوات تمكن مِنْ كَسْبِ وُدِّ عدة قبائل كانت محايدة آنذاك في الصراع الدائر في المنطقة إلى صفه[1].

وبعد سقوط الجزائر سنة 1830 خشي أحمد باي من أن تضعف سلطته في قسنطينة وهي شكوك كانت في محلها، حيث تخلت عنه عدة قبائل عربية واعترضت سبيله في طريق العودة قوات مجانة بزعامة "بلقندوز المقراني" وقبائل ريغة بسطيف وأولاد عبد النور والعلمة وعامر. ويذكر بن قانة بأن الحاج أحمد ضاقت عليه الدنيا بما رَحُبَتْ ولولا وقوف مجموعة من الجيش الإنكشاري التي كانت برفقته وثباتها معه، وكذلك شجاعة وإخلاص مقاتلي شيخ العرب وَاسْتِمَاتَتِهِمْ في الحرب إلى جانبه، لَكَانَ فَقَدَ مُلْكَهُ إلى الأبد[2].

وتمكن أحمد باي من جانبه، بفضل دهائه وحنكته ودبلوماسيته من الخروج من هذا المأزق الشديد، حيث استعان بـــ"عبد السلام المقراني" أَحَدَ خصوم بلقندوز المعزولين فاستدعاه إلى مَحَلَّته ومنحه لقب شيخ مجانة مقابل أنْ يُسَهِّلَ مُرُورَهُ، لكن أتباع بلقندوز تَفَطَّنُوا للأمر وحاصروا قافلة أحمد باي وطالبوا بإعادة رئيسهم إليهم حيا سالما فماطلهم أحمد باي لكسب الوقت في انتظار قدوم نجدات سارع في جلبها أفراد بن قانة .

وفي الليل قام أحمد باي بالإنسحاب من الموقع خِلْسَةً بعدما قام بقتل بلقندوز ودفنه، وفي الصباح اكتشف أتباع بلقندوز المؤامرة والفخ الذي وقعوا فيه فانطلقوا في ملاحقة أحمد باي للإنتقام منه و تمكنوا من اللحاق به عند منطقة كاف" تازروت"[3] وكادت الدائرة تدور عليه، لولا بروز طلائع جيش شيخ العرب محمد بلحاج بن قانة وقبائل الصحاري الحليفة، وانتهت المواجهة بإنقاذ الباي من موت محقق وَبِهَلاَكِ عدد كبير من أتباع بلقندوز[4].

ولم تكن هذه آخر مكيدة تدبر للقضاء على أحمد باي فكم كان ذهوله أمام المؤامرة الجديدة التي دبرت له في قسنطينة من طرف خصومه القدماء بزعامة محمود بن تشاكر باي ، باي قسنطينة الأسبق ومعه مجموعة من الإنكشارية التي بايعته على السمع

---

1 – *BenGana .B , **Op.cit**, p37*

2 - ***Ibid**, p 35.*

3 – قرية "تاغروت" أو تازروت تقع غرب ولاية سطيف على الطريق الوطني رقم 5 .

4 – *Gouvian , M.et E ,**op.cit** .p 4 .*

والطاعة وخلعت عنها طاعة أحمد باي، والغريب في الأمر أن الأتراك الذين جاؤوا معه من الجزائر تركوه والتحقوا بالمنتفضين بسطح المنصورة ولم يجد أحمد باي في هذه الظروف الحالكة سوى شيخ العرب محمد بلحاج بن قانة، الذي تمكن من الإتصال بشيخ البلد بن لفقون وشيخ فرجيوة بوعكاز بن عاشور وعلي بن عيسى صديق الطفولة لأحمد باي، فَجَمَعُوا مجلس الأعيان والعلماء وأعلنوا تثبيت ولائهم لأحمد باي، وَأَفْتَوْا بذلك في عموم الناس، ودخل أحمد باي مرة أخرى قسنطينة منتصرا على جميع خصومه الذين لم يجدوا سوى السَّيْفَ في انتظارهم[1]، ورغم أن شيخ العرب رفض هذا الأسلوب الانتقامي، خاصة وأنه أعطى لبقايا الإنكشارية التي ساندت العملية الإنقلابية أماناً وعهداً بألا تمس بسُوءٍ إنْ هم تراجعوا عن مساندة الإنقلابيين[2].

وكان هذا العمل بمثابة أول نقطة سوداء في سجل العلاقات بين الباي أحمد وبين شيخ العرب محمد بلحاج بن قانة، الذي أحس بنوع من الإستخفاف به والتنكر لجهوده التي بذلها، وأثمرت بعودة سيادة أحمد باي على مدينة قسنطينة.

ومما زاد الطين بلة أن سكان قسنطينة كانوا على دراية أن الأتراك الذين كانوا يقتلون ويغتالون بانتظام من طرف القائد علي بن عيسى في ظروف غامضة هم تحت حماية ووصاية شيخ العرب وفي ذمته، فكيف ستكون مكانته في المجتمع القسنطيني بعد ذاك يا ترى على حد تعبير أغا الزيبان؟

ورغم عناصر الوحشة التي بدت في العلاقات بين شيخ العرب محمد بلحاج بن قانة وأحمد باي إلا أن " شَيخَ العرب فَضَّل عَدَمَ الغَدْرِ بصاحبه أولا والإستمرار في ولائه له في شتى الظروف وأحلكها، خاصة وأن أعداء الباي كانوا في ازدياد باستمرار، وَتَحَالَفَ فُرَقَاءُ الأمس ضدَّهُ"، وخاض معه عدة معارك في السنوات الأولى التي تَلَتْ سقوط مدينة الجزائر منها معركة "مْشيرَة" في خريف سنة *1830*، ثم معركة حَزِيْمَة في أوائل سنة *1831*، ومعركة "مْرَاحْ جَازِيَة" وحصار الزعاطشة سنة *1831* ومعركة "بادس" وغيرها[3].

---

1 - *BenGana .B , Op.cit, p 39 .*
2 - ***Ibid**, p 40 .*
3 - ***Ibid**, pp 40-47.*

7- بوعزيز بن بولخراص بن قانة.

آخر شيوخ العرب الذين عاشوا الفترة التركية وكان في عهده إعلان أسرة بن قانة ولاءها للإستعمار الفرنسي لتبدأ فصلا جديدا في تاريخ الأسرة وفي تاريخ إقليم قسنطينة[1]، ونظرا لكون هذه الشخصية تشكل محورا أساسيا في الفصل الرابع من هذا البحث فقد أجّلتُ الحديث عنها.

رابعا / الدور العسكري للأسرة.

1- عناصر قوة بن قانة.

لاشك أن شيخ العرب سواء كان من أسرة بوعكاز الذواودة أو من بن قانة تَمَتَّعَ بقدرات عسكرية كبيرة مكنته من فرض سلطانه وسلطان الدولة التي يمثلها على مجموع الأعراش والقبائل التي كانت تحت حوزته، خاصة إذا علمنا أن الحرب بين القبائل والأعراش كانت تشتعل لأتفه الأسباب، مما يتطلب من شيخ العرب أن يكون دائم اليقظة والحذر والاستعداد لأسوأ الاحتمالات، ولقد سأل حمدان خوجة عن عدد الفرسان الذين يمكن لشيخ العرب أن يُجَنِّدَهُمْ عند أول إشارة، فكان الجواب أنه يستطيع الاعتماد على عشرة الاف فارس، وأضاف حمدان خوجة مؤكدا على صحة ما سمع " لا أعتقد أنّ في هذا العدد مبالغةً لأن مجموع الخيم يزيد على العشرة آلاف[2]، واذا فرضنا أن كل خيمة يمكن لها أن تجهز فارسا واحدا وجدنا العدد المطلوب، ويمكن أن يتضاعف العدد وفقا للحاجة"[3].

وقد أكد هذا القول الورتلاني في رحلته التي قادته إلى بسكرة ولاحظ خلالها أن شيخ العرب بن قانة كانت بيده عصمة القبائل في هذه الجهة وبالغ في وصفه ومدحه بشتى الأوصاف الحميدة التي تنم عن مكانة الرجل ورسوخ قدمه في الزاب، واحترام بايات قسنطينة له آنذاك منهم على وجه الخصوص حسين زرق عينه[4].

---

1 - تناولت هذه الشخصية بما لعبته من أدوار في الفصل الرابع والأخير من هذا البحث.

2 - يقصد حمدان خوجة خيم شيخ العرب وما كان تحت مسؤوليته.

3 - حمدان خوجة، **المرجع السابق**، ص 82.

4 - *Gouvian , M.et E , **opicit** .p 4.*

بينما ترى في هذا الشأن الباحثة جميلة معاشي أن الباي أحمد القلي هو من شجعهم على الترول إلى الصحراء ومكنهم من ترسيخ وجودهم هناك[1].

ومهما يكن فإن شيخ العرب بن قانة قد خصصت له إمكانيات قتالية معتبرة مادية وبشرية ذكرها فيرو تمثلت في ما يلي :

أولا : البوازيد وأولاد رحمن يقدمون *900* مقاتل من المشاة و *800* فارس .

ثانيا : قبائل **الصحاري** يقدمون *200* فارس .

ثالثا : زمالة شيخ العرب وتتشكل من *60* فارس من أشد المقاتلين ..

وأهم القيادات هي :

قائد أولاد عبد النور *31* قبيلة.

عامر الغرابة قرب سطيف.

قائد العواسي الحراكتة.

قائد التلاغمة بين أولاد عبد النور وقسنطينة يشرف على *22* قبيلة.

عامر الشراقة بين قسنطينة ووادي الزناتي تتحكم في *6* قبائل.

أولاد براهم بساحل سطورة قرب سكيكدة تتحكم في *11* قبيلة.

حاميات تبسة زمورة مسيلة سكيكدة[2].

لقد كان من الضروري أن تكون المشيخة مقترنة بقوة عسكرية مُهَابَة تتمكن بها من فرض سلطة الدولة، في جو مشحون تَشُوبُهُ الحروب وَتَصْعُبُ فيه مهمة الإدارة المدنية، ولقد كانت موازين القوى فيه قائمة على منطق الغلبة والبقاء للأقوى فعلاقة البايلك مع القبيلة تتحدد وفق قوة القبيلة ووزنها العسكري، وكانت المجموعات القبلية التي كانت تعيش على شكل فيديراليات، تنقصها الوحدة وَتُعَكِّرُ صَفْوَهَا النِّزَاعَات والصدامات المستمرة بسبب مسائل النكاح والإرث والقتل والسرقة وحرق الديار والزروع والتبن والهجوم على المحارم والتعدي على الحدود[3] وما إلى ذلك من مظاهر الصراع اليومي.

---

1 - جميلة معاشي، **المرجع السابق**، ص *72* .

2 - أحمد سيساوي، **المرجع السابق**، ص ص *149 -150* .

3 - **المرجع نفسه**، ص *151* .

واعتبر البعض أن نفوذ أسرة بن قانة العسكري كان صورياً، يستند إلى قوة البايات الذين دعموها بالجيش النظامي المدرب، وما وجود الحامية التركية في بسكرة إلا دليلا قاطعا على ذلك.

ورغم ضعفها العسكري الملحوظ وعجزها عن تسيير شؤون البايلك وفرض الولاء و الطاعة لها دون دعم مباشر من الباي والحامية التركية في بسكرة، فقد استطاعت أسرة بن قانة في كثير من المناسبات أنْ تُظْهِرَ مقدرتها القتالية وَقُدْرَتَهَا على تجنيد القبائل والأتباع وخوض الحروب الناجحة، ولعل من أبرز الدلائل على ذلك ما يلي :

1- الوقوف في منافسة الذواودة دون هوادة طيلة مائتي سنة تقريبا.
2- المشاركة في الحروب التي خاضها بايات قسنطينة ضد القبائل المتمردة.

وتعود بنا أولى الحملات التي شارك فيها بن قانة بصفتة كشيخ للعرب إلى سنة *1768*، حينما وَجَّهَ الباي أحمد القلي حملة تأديبية ضد قبائل زواوة وفليسة، وسقط في هذه الحملة شيخ العرب نفسه[1].

2- أهم المعارك التي شارك فيها بن قانة.

مما لا شك فيه أن أفراد أسرة بن قانة كانوا مجبرين على حمل السلاح واكتساب المهارات القتالية للدفاع عن مكتسباتهم في وقت لم يكن البقاء فيه والتمكين إلا للأقوى، وصاروا مع مرور الوقت مقاتلين أشداء خاضوا العديد من المعارك انهزموا في بعضها وانتصروا في البعض الآخر ، وتعد بالعشرات المعارك المهمة التي خاضها هؤلاء والتي تمتد من فترة حكم أحمد باي القلي إلى غاية قضائهم على غريمهم ومنافسهم في لقب مشيخة العرب فرحات بن سعيد سنة *1840*.

فبالاضافة إلى المعارك والمناوشات التي كانت بين بن قانة وبين الذواودة بسبب التنافس على مشيخة العرب كان لبن قانة المساهمة في عدة معارك أخرى يمكن ذكر بعضها في ما يلي :

---

[1] - *BenGana.B*, ***Op.cit***, *p 24* .

أولا - في العهد التركي[1]

معركة زواوة.

قادها الباي أحمد القلي ضد قبائل زواوة التي أعلنت التمرد عن السلطة الشرعية التركية وسعت لمخالفة نصوص الشريعة بعدما شرعت في حرمان المرأة من نصيبها الموروث من أبيها، وشارك في المعارك شيخ العرب نفسه وأظهر بطولات كبيرة وسقط في النهاية قتيلا في هذه المواجهات ولم يستطع الباي تثمين هذه الحملة وانهاء تمرد زواوة بسبب وعورة التضاريس، ويذكر فايسيت أن الرحالة الورتلاني هو من نبّه الباي أحمد القلي إلى مثل هذه التجاوزات والمخالفات الشرعية التي يقترفها سكان زواوة، فشن هذه الحملة برفقة شيخ العرب وغيره من شيوخ الجهة الشرقية من البايلك[2].

الحملة ضد بني جلاب.

شارك شيخ العرب من بن قانة صالح باي سنة *1788* في حملته ضد بني جلاب ويذكر المؤرخون أن هذه الحملة كانت من أكبر الحملات التي وجّهها الأتراك إلى منطقة حكم بني جلاب، ولم يكتف خلالها صالح باي بإجبار المهزومين على دفع المستحقات الضريبية للبايلك، بل قام بإلحاق السلطنة به مباشرة حينما ترك على رأسها أحد أفراد بن قانة هو "ابراهيم بن قانة"، وانتهت الحملة بترسيم شرعية الحكم العثماني في المنطقة رغم بعدها[3].

معركة الدفاع عن مدينة الجزائر. سنة *1830*

لبت أسرة بن قانة نداء الداي حسين لمقاومة الإحتلال الفرنسي الذي تلاه أحمد باي على قادة القبائل والعروش بضرورة الإلتحاق بصف المقاومة، بينما تخلف عنه الذواودة[4]، لكن سقوط المدينة السريع بيد القوات الفرنسية دفع المتطوعين جميعا إلى المغادرة إلى أوطانهم وجهاتهم وقد سكتت المصادر والمراجع التي تناولت مأساة سقوط

---

[1] - ينتهي هذا العهد بسقوط قسنطينة بيد الاحتلال الفرنسي سنة *1837*.

[2] - *E. Vayssettes, **op.cit**, p. 227*

[3] - محمد المهدي شغيب، **المرجع السابق**، ص *376*.

[4] - الزبيري، **مذكرات أحمد باي**، المرجع السابق، ص*36*.

مدينة الجزائر سنة 1830 عن الحديث عن حجم المشاركة بالنسبة للقبائل المحلية في الدفاع عن المدينة المنكوبة، بما في ذلك شيخ العرب بن قانة.

وقد اختلفت طبيعة المعارك التي خاضها شيخ العرب في هذه المرحلة الجديدة بعد سقوط الجزائر وتصدر قسنطينة عاصمة بايلك الشرق للمقاومة، فبعض هذه المعارك خاضها شيخ العرب ضد أتباع فرحات بن سعيد، وبعضها الآخر ضد طلائع الأمير عبد القادر الذي حاول بسط نفوذه في منطقة الزيبان، لكسب مناطق حيوية جديدة، ومن أهم هذه المعارك في مرحلة ما قبل سقوط مدينة قسنطينة بيد قوات الاحتلال الفرنسي سنة 1837 ما يلي:

معركة مشيرة سنة 1830

وقعت هذه المعركة في خريف سنة 1830 بعد سقوط مدينة الجزائر وعلى إثر إقدام أحمد باي على قتل بلقندوز المقراني وأتباعه من طرف شيخ العرب في منطقة كاف تازروت "تاغروت" انتفض المقرانيون وانظم إليهم الناقمون جميعهم بقيادة باي قسنطينة السابق إبراهيم الكريتلي ثم انظم إليهم فرحات بن سعيد بمتطوعين من قبائل عرب الشراقة أهل بن علي الشرفة، الغمرة وأولاد سحنون وأولاد عبد النور، ولما علم شيخ العرب بمسير هؤلاء نحو قسنطينة أرسل تحذيرا للباي وطلب دعما عسكريا ثم اتجه نحو مشيرة قرب تلاغمة[1] حيث عسكر هناك، ولما قدم العدو سعى شيخ العرب بكل دهاء في تفريق الخصوم عن طريق شراء ذمم بعض شيوخ القبائل، كشيخ أولاد سحنون المدعو **ساسي البغلة**، وفي الصباح عندما التقى الطرفان وقعت المفاجأة والبلبلة في صفوف الغزاة وفر عرب الشراقة وأولاد عبد النور، وغنم أولاد سحنون مغانم عظيمة وخرج شيخ العرب محمد بلحاج بن قانة منتصرا و أكثر قوة وثقة من ذي قبل[2].

معركة الحزيمة سنة 1831

لم يستسغ فرحات بن سعيد هذه الهزيمة المنكرة فقرر الانتقام لشرفه ومجده فسبق بن قانة إلى الجنوب وأعاد تنظيم صفوفه، والمتكونة من المتطوعين من الواحات المجاورة عرب الشراقة أولاد صاولة وأولاد زكري.

---

1 - انظر الخريطة المرفقة في الملحق رقم 10 .

2 - *BenGana.B, Op. cit, pp 41-42 .*

أما شيخ العرب فقد انظم إليه عرب الغرابة والصحاري والبوازيد .

والتقى الجيشان في جانفي *1831* عند "الحزيمة" قرب قرية الوطاية الواقعة شمال مدينة بسكرة، وأظهر فرحات بن سعيد خطة ماكرة بها تمكن من إلحاق الهزيمة بغريمه حيث تظاهر بمغادرة ساحة المعركة وفي نفس اللحظة التي رأى فيها عدوه يتقدم دون هدى وبينة، أعطى لأتباعه الضوء الأخضر للهجوم المعاكس والكاسح، على صفوف الخصم المهترئة، وكانت الهزيمة كبيرة وثقيلة حيث استبيح جيش شيخ العرب، ووصلت خيول عدوه فرحات بن سعيد حتى خيمة نسائه اللواتي أخذن كرهائن، وكما تنص عليه عادات أهل الشرف والفروسية في المنطقة فقد حُمِلَت النسوة إلى زاوية **علي بن عمر** بطولقة.

معركة مراح جازية [1] سنة *1831*

بعد علمه بما آل إليه شيخ العرب، أرسل الباي نجدته إليه، و لم يمنعه أي حائل من أن يقودها بنفسه رغم حلول شهر رمضان الكريم، وعندما التقى الطرفان واندلعت المواجهة بينهما أصيب فرحات بن سعيد في المعركة فكان ذلك أول مثبط لعزائم أتباعه، الذين وهنوا في القتال وما هي الا لحظات حتى انهزموا هزيمة نكراء وجيء للباي بعد ذلك بـــ : *400* رأس من أتباع فرحات بن سعيد ..

حصار الزعاطشة. سنة *1831*

كان أحمد باي وصهره بن قانة وحلفاؤهم على يقين بوجوب تصفية فرحات بن سعيد الذي التجأ هذه المرة إلى واحة الزعاطشة وليشانة[2] للإحتماء بها، وقد تصدى أهل بن علي والغمرة للدفاع عنها، ورفضوا مقترحات شيخ العرب بالاستسلام وكان الحصار شديدا و لم يتمكن أحمد باي من اقتحام الواحة ولا تحقيق النصر المأمول وفقد خلال المناوشات أكثرمن *400* من أتباعه[3] .

---

[1] انظر الخريطة في الملحق المرفق 9.

[2] انظر الخريطة في الملحق المرفق 9.

[3]- *BenGana .B , Op.cit, p 45 .*

ومن غريب الصدف أن الشيخ بوزيان الذي دافع عن الواحة أمام القوات الفرنسية سنة *1849*، هو نفسه الذي قاوم أحمد باي في هذا الحصار الشرس الذي ضربه على واحة الزعاطشة دون جدوى، لاستماتة أهلها في الدفاع عنها.

معركة القصر سنة *1832*

لم يشارك فيها بن قانة بصورة مباشرة بل أحد حلفائهم المدعو **"بوعبد الله بن مناصر"** قائد عرب الغرابة حيث هاجمه فرحات بن سعيد قرب "القصر" شرق بسكرة في شتاء *1832*، وأثخن في صفوفه وزاد في الطين بلة تأخر النجدة التي أرسلها على عجل بوعبد الله إلى القبائل المجاورة، التي تقطن قرب جبل "أحمر خدو" فكانت الهزيمة قاسية.

معركة بسكــرة. سنة *1832*

قام فرحات بن سعيد في معركة القصر بقطع *40* رأسا من أتباع حليف بن قانة بوعبد الله بن مناصر وأرسل بهم إلى حاكم بسكرة الأميرالي إمعانا في الانتقام من بن قانة وأحمد باي الذين قررا تجهيز حملة جديدة لمحو هذا العار الذي لحقهما في الزاب وأسندت قيادتها لعلي بن عيسى ، وفي سرية وصلت الحملة بسكرة وواحاتها وحطمت تحصينات أتباع فرحات بن سعيد وحررت رؤوس الأربعين مقاتلا كرمز للنصر والنجاح للحملة .

معركة بادس سنة *1832*

وقبيل أن تنتهي معركة بسكرة وصلت شيخ العرب أخبار تفيد بتواجد فرحات بن سعيد بمنطقة بادس ، فحاول إقناع الباي بضرورة استئناف الحملة وتوجيهها نحوه مباشرة ودون تأخير والقضاء عليه نهائيا ، لكن الباي رفض هذا المقترح. فبادر شيخ العرب باغتنام الفرصة بمفرده وسار لتوّه نحو "بادس" ووقع كالصاعقة على خصمه فرحات بن سعيد، وأعمل في جيشه بالسيف وَفَرَّ بن سعيد تاركا وراءه أمه وزوجته في خيمته، وكم كانت فرحة شيخ العرب بهذا الإنجاز، خاصة وأنه سيعيد الكرة لفرحات بن سعيد الذي أسر له ذات مرة زوجتيه بعد معركة الحزيمة، وعلى عادة الفرسان

والشجعان قام شيخ العرب بإرسال نساء بن سعيد إلى زاوية علي بن عمر بطولقة[1]، وكان من أهم نتائج هذه المعركة وفق ما عبّر عنه بوعزيز بن قانة كاتب المذكرات :

- ازدياد مكانة شيخ العرب عند علي بن عيسى الذي شكره وأبرز مواهبه عند الباي.
- بداية حدوث الوحشة والتشنج بين أحمد باي ومحمد بلحاج بن قانة بدافع الغيرة والحسد حسبما يذكر الكاتب، من الانتصارات التي حققها شيخ العرب بمفرده.
- اهتزاز مكانة فرحات بن سعيد في الزاب بعد تخلي جل حلفائه عنه خاصة منهم عرب الشراقة .

ثانيا - بعد سقوط قسنطينة[2] .

معركة صحيرة[3]

وقعت هذه المعركة في شهر ديسمبر من سنة *1837* وفي فترة كان لقب شيخ العرب قد قد منحه الفرنسيون لفرحات بن سعيد[4] الذي حاول إعادة بناء قواته في الزاب لكن أحمد باي و"بوعزيز بن بولخراص بن قانة" تفطنا لهذه المحاولات، وقررا الهجوم عليه قبل أن يستفحل أمره[5]، فتحصن بقصور واحة الزعاطشة وليشانة، ولإخراجه من هذه القلاع المنيعة هاجم أحمد باي قبائل الشُّرفة بالزاب القبلي الموالية له، ولما علم فرحات بن سعيد بما دبر له خصومه خرج في نجدة حلفائه، وبدأت المناوشات في منطقة صحيرة وتكبد الشُّرفة وفرحات بن سعيد خسائر جسيمة دفعته الى الانسحاب من المعركة بأقل الخسائر، لكنها كانت خسائر جسيمة فَقَدَ فِيهَا فرحات بن سعيد أكثر من *600* مقاتل

---

1 - ويبدو وفق رواية حمدان خوجة أن أحمد باي هو من قام بإعادة نساء وأطفال وأملاك فرحات بن سعيد الخاصة وثرواته إليه فكان كما وصفه حمدان " رحيما كريما " انظر حمدان بن عثمان خوجة، **المـــرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق زبيري محمد العربي ، ط*2* ، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، *1982*، ص *78*

2- سيكون الحديث عن معركة قسنطينة الأولى *1836* والثانية *1837* خلال الفصل الرابع من هذا البحث .

3 - انظر الملحق رقم 9

4 - *Gouvian , M.et E ,**op.cit** .p 9 .*

5 - لم يذكر بوعزيز بن قانة أية نقطة تتعلق بالخلاف الذي وقع بين شيخ العرب بوعزيز بن بولخراص بن قانة وأحمد باي بعد سقوط قسنطينة حول مسألة النزول إلى الصحراء وترك الجهة الشمالية بدون مقاومة ، في حين حمّل أحمد باي تراجع موقفه القتالي بعد *1837* لصهره الذي لم يفكر سوى في مصلحته الخاصة والانتقام من فرحات بن سعيد .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من أتباعه، واغتنم بن قانة هذه الفرصة لتطويع منطقة الزاب كلها لسلطانهم وفرضوا فيها تنظيماتهم الإدارية، التي اتخذت الشكل التالي :

قيادة بسكرة للقائد "عبد الرحمن طالبي".
مشيخة سيدي عقبة للقائد "محمد الصغير بن أحمد بلحاج".
قيادة الزاب الشرقي "بوعبد الله".

وكانت هذه آخر معركة يخوضها أفراد أسرة بن قانة إلى جانب أحمد باي، لأنهم تحولوا بعدها إلى نصرة الفرنسيين، فانقلبت موازين القوى رأسا على عقب، وبرز لبن قانة خصم جديد بعد تشتت مقاومة أحمد باي يتمثل في الأمير عبد القادر[1].

معركة سالسو 1840

نشبت هذه المعركة في 24 مارس 1840 بسبب الصراع الذي انبعث بين الأمير عبد القادر والجيش الفرنسي حول منطقة الزاب التي تشكل عمقا استراتيجيا لكلا الطرفين ، ونظرا لقة تجربة الجيش الفرنسي بالميادين الصحراوية فقد أرسل من ينوبه بعدما دعمه بالسلاح وزوده بالخطط اللازمة ، وكان شيخ العرب[2]" الفرنسي " هومن اضطلع بهذه المهمة وكانت قوته يتشكل من :

- **فرقة السالية** 150 فارس بقيادة سي محمد بن بوعزيز .
- **الصحاري** من 150 إلى 200 فارس بقيادة سي محمد الصغير وسي خالد .
- **زمالة شيخ العرب** 60 فارس.

البوازيد ورحمان 80 حصان و900 جندي .

أما بالنسبة للخصم الجديد لبن قانة والمتمثل في الحسن بن عزوز خليفة الأمير عبد القادر فكان يضم جيشه :

جزء من **الجيش النظامي** يضم 500 جندي منهم 100 من جيش الأمير نفسه لكن الباقي جُنِّدَ معظمهم من الزاب بطريقة سيئة.

عرب الشراقة يضم جيشهم 800 جندي و 200 فارس

1/ لمزيد من المعرفة في الموضوع يراجع الفصل الرابع من هذا البحث .

2/ استعاد بن قانة لقب شيخ العرب من بوعكاز بعدما أعلنوا ولاءهم لسلطة الاحتلال وكان ذلك في أوائل سنة 1839 .

بدأت المعركة في منخفض "وادي سالسو" بعدما قام **الحسن بن عزوز** بهجوم مفاجئ على خصمه، مَهّدَ له بقصف مكثف بالمدفعية لكن **سي محمد بن بوعزيز** وأتباعه تصدوا ببسالة، وقاموا بهجوم معاكس دفع أتباع بن عزوز إلى الفرار من المعركة في مختلف الإتجاهات، لكنهم تجمعوا مجددا وشنوا هجوما أكثر عنفا مما ساهم في تشتت صفوف حلفاء بن قانة فأصابهم الذعر بدورهم وأخذوا يفرون نحو المرتفعات المجاورة هروبا من الموت المحقق الذي حاق بهم، وكاد الهجوم المعاكس يأتي بنتيجة لولا أن النساء اللواتي كُنَّ مرافقات للجيش هَمَمْنَ بضرب الفارين وإهانتهم والزَّجِّ بهم في أتون المعركة وقد أفلحن في ذلك، واشتعلت المعركة من جديد لكن الذخيرة نفذت من الجانبين واضطرا لإتمامها بالسلاح الأبيض[1]، وما هي إلا سويعات قليلة حتى برزت في الأفق بشائر النصر لجيش بن قانة وفر الحسن بن عزوز إلى الحدود المجاورة لإيالة تونس.

خامسا/ الدور الاقتصادي للأسرة:

يرتكز الجانب الاقتصادي في العهد العثماني ارتكازا أساسيا على عنصر الأرض والتي كانت الملكية المعنوية لها تابعة للدولة التركية وإدارة **الوصاية** في الجزائر ، وهما المالكان الفوقيان لكل الأرض ليس في الجزائر فحسب بل في بلاد **الإسلام** قاطبة لكونهما " زعيما الطائفة الإسلامية "[2]، ورغم ذلك لا يقع أبدا التدخل في تحديد استخدام وسائل الانتاج وطبيعة المنتوج الذي يرغب الأهالي في إنتاجه[3]

فلا تتدخل الدولة في تنظيم الانتاج أو تفرض على القبائل أنماطا معينة لكنها تتدخل لاقتطاع جزء منه كضريبة[4] .

---

1 -*BenGana .B , Op.cit , p 73.*

2 - عبد اللطيف بن أشنهو ، **تكوين التخلف في الجزائر**، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي *1830 /1962* ، ترجمة نخبة من الأساتذة ، (ش.و.ن.ت.) ، بدون تاريخ، ص *33* .

3 - **المرجع نفسه**، ص *33* .

4 - **نفسه**، ص *33* .

ومن خلال الأوصاف التي أوردها الرحالة الأوروبيون والعرب لمدينة بسكرة والزاب بصورة عامة يمكننا أن نستنتج، أن هناك نشاطان أساسيان يقوم عليهما اقتصاد الجهة :

1 - **الزراعة** لمختلف المحاصيل التي تسمح بها الظروف الطبيعية القاسية وما تعلق بها من أنشطة مكملة كتربية المواشي .

2 - **التجارة والتبادل السلعي** والتي تهدف إلى تصريف الفائض من الإنتاج واستيراد المواد الضرورية الغير منتجة .

ولكون بسكرة محطة تجارية هامة فقد قامت علاقات تجارية مستقرة بينها وبين الجزائر ووادي ميزاب[1] ، وشكلت بالتالي محورا تجاريا هاما ونقطة اتصال عالمية، وصارت جزءا من الصحراء الكبرى التي انفردت بحيوية الممارسة للتجارة تصديرا واستيرادا، وتمارس فيها أيضا ما يعرف بتجارة الترانزيت[2] *Transit*، خصوصا بين إفريقيا الشمالية وإفريقيا السوداء[3].

وساعد أيضا على ممارسة التبادل السلعي وانتعاش التجارة وفرة المواد[4] والموقع المناسب كما استغلت المدن الساحلية كعنابة والقالة وبجاية في التصدير نحو أوروبا[5] .

وكانت الضرائب التي تؤخذ على أصحاب الأملاك والأنشطة الإقتصادية تمثل الصورة الواقعية للعلاقة بين الأتراك والأهالي ، وبعبارة أدق " كانت علاقة حاكم بمحكوم محورها الأساسي النظام الضريبي "[1] .

---

1 - شارل وليام، **مذكرات قنصل أمريكي في الجزائر**، تقديم اسماعيل العربي، (ش.و.ن.إ) الجزائر، 1982، ص 103 .

2 - الترانزيت *Transit* كلمة فرنسية تعني المرور، وتجارة الترانزيت تتم في المناطق الحيوية الواقعة في الوسط بين المنتجين والأسواق الإستهلاكية، وتستفيد هذه المناطق من تحصيل الضرائب وتنشيط أوضاعها الاقتصادية بصورة عامة.

3 - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، **المرجع السابق** ، ص 49.

4 - بايلك الشرق من أكبر البايلكات بفضل استقرار السكان وارتفاع الانتاج الزراعي والحيواني وتنوع الإنتاج الزراعي حسب الأقاليم الطبيعية الموجودة بالإقليم زراعة حبوب فواكه زيتون رعي تربية المواشي للتوسع انظر - فلة القبشاعي، **المرجع السابق**، ص ص 3 - 8.

5 - فلة القبشاعي، **المرجع السابق**، ص 20 - 21.

وقد أخضع الحكام والعائلات الكبيرة المتنفذة الأهالي لضرائب ثقيلة كانت في غالب الأحيان إرضاء لنزوات القياد ورغباتهم حتى " أصبح حال الأهالي يشبه ما كان يعانيه أقنان أوروبا في العصور الوسيطة " كما عبر عن ذلك "لويس رين"[2] *louis Rinn*، ومن أهم الانعكاسات التي أفرزتها السياسة الضريبية على البايلك بزوغ شرارة صراع قبلي مسعور حول اكتساب مناطق النفوذ لتحسين الوضعية المالية أوالتمرد ضد السلطة القائمة[3].

1- أصناف الضرائب .

كان الأهالي يدفعون عدة أنواع من الضرائب منها :

الصنف الأول الضرائب المشروعة.

وتتمثل في العشور وتؤخذ من محاصيل الانتاج الفلاحي كالقمح والشعير ويقدم المالك للسلطة القائمة *12* صاع [4] ونصف من القمح أو الشعير عن كل جابدة أرض يملكها و عشرة شبكات من التبن[5]، ويمكن تسميتها بالضريبة على المحاصيل تدفعها أيضا القبائل الرحل أو التي لا يمكن الوصول إليها بسهولة على محاصيلها، ويتم تحصيلها بالاستيلاء على المواشي التي تملكها وتحدد حسب رؤوس الثيران الموجودة أو عدد الخيام، كما تؤخذ الزكاة المشروعة عن رؤوس الماشية والقطعان التي يملكونها وفق النصاب المعلوم شرعا .

---

1 - فلة القيشاعي، **المرجع السابق**، ص *151* .

2 - **المرجع نفسه**، ص *156* .

3 - **نفسه**،ص *163* .

4 الصاع وحدة قياس محلية لا يزال يعمل بها الكثير من القرويين حتى وقتنا الحاضر ، وتختلف قيمتها من منطقة لأخرى، غير أن سلطة الإحتلال بعد *1830* قامت بتحديد الصاع من القمح من *58* إلى *60* لتر، واللتر الواحد من القمح *0.7733* كلغ، ومنه فالصاع يقدر بنحو ما بين : *44.85* كلغ و*46.39* كلغ من القمح لمزيد من الإطلاع، انظر :

*Lemnouar Merouche, **Op.cit** , pp 287-288.*

5 - "الجابدة" هي مساحة من الأرض يحرثها ثوران تتراوح بين *8 – 12* هكتار حسب طبيعتها الفلاحية انظر فلة القيشاعي، **المرجع السابق**، ص *61*. غير أن سكان الأرياف في الجهات الجنوبية من منطقة يُعرِّفون الجابدة بأنها : الحيوانين والمحراث معا، والتي تستعمل في تقليب الأرض.

الصنف الثاني الضرائب المستحدثة.

وهي عديدة ومتنوعة منها ماهو ظرفي ومنها ما هو دائم ومنها اللزمة التي كانت تستغل في جمع قيمة الدنوش السنوي والغرامة المفروضة على القبائل البعيدة عن سطوة السلطان[1]، بالاضافة إلى ضرائب أخرى كحق البرنوس عند تولية شيخ جديد ورسوم الأسواق[2] والضريبة على الأرض وغيرها، والملاحظ أن الذين يؤدونها لا يشعرون بالإفتقار إذ أن الرسوم تتحدد بنسبة من المحصول أو من التكلفة الإجمالية، وهما من نتاج الطبيعة إلى حد بعيد[3]، وليس ثمة رؤوس أموال ضخمة يخصصها الفلاح في العملية ترهق ميزانيته فيما بعد. هذا ويتم اقتطاع الضرائب في العهد العثماني بواسطتين :

الواسطة الأولى: يتم الإقتطاع من قبل الإدارة التركية حيث يؤكد جل المحللين لتاريخ الجزائر في العهد العثماني على سمة البيع للوظائف العامة حيث يدفع الموظف للحاكم من مناصبهم ويتلقون مقابل ذلك بعض الأملاك العقارية المرتبطة بوظيفتهم لذا يحتفظون بجزء من الضرائب المجباة لسد حاجاتهم الخاصة ويرفعون، ما تبقى للمرتبة الأعلى وهكذا وصولا إلى الباي[4]، ويندرج شيخ العرب ضمن هذه السلسلة.

الواسطة الثانية: يكون الاقتطاع في هذا الشكل بواسطة السلطات السياسية في القبيلة، حيث يخول زعماء القبائل بجباية الضرائب لصالح السلطة التركية وكذلك تخول بعض القبائل بالجباية لصالحها الخاص، وهكذا يمكن لبعض القبائل أو لزعمائها الإغتناء على حساب الآخرين ويشكل الإقتطاع الضريبي وسيلة للتميز الاجتماعي إما داخل القبيلة لصالح الخيم الكبرى والعوائل الشريفة، وإما بين القبائل حيث تكسب بعضها شيئا من السلطة[5]، والاحترام الممزوج بالرهبة والخوف لدى القبائل الضعيفة أو تلك التي لم تحظ بالحظوة عند سلطة البايلك.

والراجح أنه حيثما تتوقف القوة العسكرية للدولة تتوقف إمكانية استقطاع الضرائب إذ " لم يكن سهلا على باي قسنطينة أن يجبر سكان القبائل على دفع الأتوات

---

1 - فلة القيشاعي ، **المرجع السابق**، ص *64* .
2 - **المرجع نفسه**، ص *71* .
3 - عبد اللطيف بن أشنهو ، **المرجع السابق**، ص *33* .
4 - **المرجع نفسه**، ص*35* .
5 - **نفسه**، ص *35* .

... ولا يمكن الحصول منهم على شيء إلا بالقوة أو الحيلة أو المفاجأة أو حد السيف " كما عبر عن ذلك أندري نوشي[1] .

2- دور شيخ العرب.

أولا . في تحصيل الضرائب.

يشرف شيخ العرب بصورة مباشرة على جمع الضرائب المتنوعة من الجهات الصحراوية ويبدو أن الضرائب كانت تدفع له بصورة عينية ثم يقوم بعد ذلك بتحويلها إلى سيولة، يقدم عنها للبايلك ضرائب في شكل قطع نقدية من القروش[2].

وكان شيخ العرب في نطاقه يجمع نقدا عن كل قبيلة في السنة الواحدة ما يلي :

القبيلة	قطع نقدية	اسم القبيلة	قطع نقدية	القبيلة	قطع نقدية
القنطرة	300	زراقة	250	فتياش	60
بسكرة	12000	الصحاري	250	الشتمة	60
بوشقرون	1000	المقدم	250	القرتة	150
الفرقان	1500	العلمانة الأولى	500	العتوم	100
ايشن	500	النقلال	500	القصير	150
الزعاطشة	250	البيتوحا	500	بادس	200
طولقة	1500	أم قليل	1500	ليانة	1000
البرج	50	عوماش	500	أهل النميلة	4000
اللواء	500	كيري	550	لرماك توقرت	7000
قائد بسكرة	4000	شيخ سيدي عقبة	10000	شيخ صاولة	10000

1- **المرجع نفسه** ، ص 36.

2- نصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، سنة 2000، ص ص 176 - 177 .

أما الموارد والخيرات والموارد والغلال التي كان يشرف شيخ العرب بن قانة على جمعها والتي كانت تتم دوما بقوات عسكرية تأتيه من البايلك، فقد قدرها ضباط المكاتب العربية الذين أشرفوا على تسيير الإدارة المحلية ببسكرة بعد احتلالها من طرف الفرنسيين بما يلي :

10526	فرنك نقود
1200	كيلة زيت
1200	كيلة دهون
252	صاع قمح
1200	قطعة صابون
	المجموع **17760** فرنك

وبعد الإحتلال الفرنسي للجهة لاحظ بن قانة ومعه الضابط الفرنسي "سان جارمان" أن الزيبان يدفع أقل من إمكانياته المتوفرة وأن هناك نوعا من "التهرب الضريبي" الذي من الواجب القضاء عليه، فكان لزاما على شيخ العرب أن يجتهد أكثر في تحصيل ضرائب أكبر بمختلف الوسائل والأساليب، فتمكنا سنة *1845* على سبيل المثال من جمع ما قيمته ***114463.50*** فرنك[1]، أي ضعف ما كان يدفعه الأهالي للأتراك بستة مرات ونصف تقريبا، وهذا كله بفضل مجهودات شيخ العرب لأنه كان ادرى من غيره بمداخيل الزاب وموارد رزقه وثرواته، كما كان مطلعا جيدا على نفسيات سكان الأهالي، ونقاط ضعفهم ومكامن قوتهم فوظف كل ذلك على ما يبدو في جلب المزيد من النقود لخزينة السلطة الفرنسية في بسكرة عاصمة إقليم الزاب.

ثانيا . دوره في تنشيط الحياة الإقتصادية.

كان شيخ العرب حريصا على استمرار تدفق الأموال والخيرات على خزينة البايلك بهدف إرضاء رجاله من جهة والمحافظة على مكانته الإقتصادية والاجتماعية من جهة ثانية دون أن ننسى مستوى المعيشة الذي كان يعيشها شيخ العرب وعائلته سواء في

---

1 صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة *1826 / 1850*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، *1993* . ص ص *40 - 41* .

مدينة بسكرة[1] أو قسنطينة ومن أجل ذلك فقد سعى إلى إيجاد موارد اقتصادية خارج الضرائب والتي يمكن تحديدها في ما يلي :

استثمار الممتلكات الخاصة التي كانت بحوزته سواء في مدينة بسكرة وأحوازها او في مدينة قسنطينة حيث تملك قطعة أرض خصبة بقرية العثمانية جنوب غرب قسنطينة سخرها في الفلاحة ، كما تملك الأسرة في حي الضلعة ببسكرة ممتلكات واسعة، ويملك أفراد الأسرة بالإضافة إلى كل ذلك أراضي واسعة بين قسنطينة ورجاس[2].

إقامة الأسواق الأسبوعية الكبرى وتنشيطها والإشراف عليها كسوق وادي العثمانية الذي أقامه على الأرض السابق ذكرها[3] ، ونظرا لما تمتاز به هذه القرية من موقع ممتاز حيث تحدها من الشمال ميلة حيث تقيم قبائل زواغة وفرجيوة ومن الغرب سهول سطيف أين تقيم قبائل أولاد عبد النور ومن الجنوب قبائل الزمول والسقنية ومن الشرق قسنطينة التي تمثل القطب الاقتصادي الأمثل فقد شكلت السوق الجديدة موردا مهما لشيخ العرب وحاشيته .

الإعفاء الضريبي لبن قانة في كثير من المرات كما وقع لهم عندما تولى أحمد باي شؤون البايلك سنة *1826* ومن قبله عندما تولى عبد الله باي سنة *1805*.

---

[1] - وقد أورد بوعزيز بن قانة في مذكراته شهادة عسكري فرنسي يدعى **الجنرال دي باراي** *Général de Barail* زار بسكرة في مهمة عسكرية خلال فترة عز الأسرة فاستقبلته في أبهى حلتها برعامة شيخ العرب وشكلت له وفدا رسميا بلباس عسكري تقليدي رافقوه من النزل الذي يقيم فيه إلى منتجع تابع للأسرة بمنطقة سيدي عقبة ، و كان المنتجع آية في الجمال والرفعة حيث مدت البسط والأفرشة والزرابي التقليدية الفاخرة بين الأشجار والظلال، وقدم له الأكل على الطريقة= =التقليدية ، حروف مشوي وكسكسي داخل خيمة صحراوية ، وبعدما انتهى من تناول وجبة الغذاء أكرموه بحلويات شعبية ممزوجة بالعسل (المقروض)، وتركت كل هذه التشريفات وقعا كبيرا على صاحب هذه الشهادة " انظر، *BenGana .B , op.cit , p 136.*

[2] - جميلة معاشي، **المرجع السابق**، ص*279*.

[3] - *Gouvian , M.et E , **op.cit** .p27 .*

المنح والهدايا التي كانت ترد إليه من شيوخ القبائل والقياد الذين هم دونه مرتبة، وذلك وفق نظام الهدايا الذي كان معمولا به خلال العهد العثماني[1].

عربون الوسائط التي كان يتحصل عليها شيخ العرب لدى تدخله عند الباي لفائدة أشخاص معيينن لهم حوائج عالقة أو تظلمات لدى جهات وأطراف قوية، وقد مر بنا بعض الأمثلة من هذا الصنف في بداية هذا الفصل.

الأجور والمنح التي كان يتلقاها شيخ العرب وأسرته من خزينة البايلك، حتى وصفهم فيرو في كتاباته بأنهم كانوا عالة على الباي، يتمتعون بمداخيل هامة دون بذل أي جهد يذكر لصالح البايلك[2].

والخلاصة التي يمكن أن نخرج بها من هذا الفصل هي أن أسرة بن قانة تحولت بفضل لقب شيخ العرب من أسرة معدمة تعيش في طي النسيان لا تملك أيَّ شيء، إلى أسرة إقطاعية ذات أملاك مترامية الأطراف، في جل الجهات التي بلغها نفوذها، أسرة لها مكانتها السياسية ودورها العسكري المحذور من جهات متعددة، وهذا كله ما كان ليتحقق لها دون فضل الامتيازات التي تحصلت عليها من هذا المنصب الذي خولها صلاحيات اقتصادية وإدارية هامة يأتي على رأسها تحصيل الضرائب التي كانت تقوم بجمعها بمعية سلطات البايلك.

---

[1] لمزيد من المعرفة حول موضوع الهدايا والمنح خلال العهد العثماني يرجع إلى .

Kamel filali : « le Don Epine Dorsale du système Ottoman : le cas de l'Algérie » ***Annales du laboratoire d'Etudes et de recherches Maghreb-Méditerranée****, V4, Université Montouri Constantine, 2002, pp5-23 .*

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق،ص279.

الفصل الرابع
موقف أسرة بن قانة من الإحتلال الفرنسي

أولا / أوضاع البايلك بعد 1830.

1- احتلال عنابة وأثره في المقاومة.

2 الحملة الفرنسية الأولى لإحتلال قسنطينة 1836.

3 الحملة الثانية 1837 وسقوط المدينة.

ثانيا / أحمد باي ودوره في المقاومة .

ثالثا / دور بن قانة في إضعاف مقاومة أحمد باي.

رابعا / تجدد الصراع بين بن قانة وفرحات بن سعيد .

خامسا / ولاء بن قانة لفرنسا.

1 بداية النفور بين بن قانة وأحمد باي.

2- أسباب ودوافع الولاء لفرنسا .

سادسا/ بن قانة وخدمة السياسة الاستعمارية في الجزائر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا / أوضاع البايلك بعد 1830.

لقد كان لسقوط مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830 أثرا مروعا في نفوس الأهالي بمختلف فئاتهم وأصولهم العرقية، واختلف تأثر كل منهم بحكم علاقته وارتباطه بهذه المدينة التي بقيت تمثل رمزا معنويا بغض النظر عن طبيعة الحكم الذي كان قائما فيها .

وقد شاركت كثير منهم في معركة الدفاع عن الجزائر لكن سوء التخطيط والاستخفاف بالخصم والغرور أوقع المدينة في مصيرها القاتم الذي ظلت تكابده سنوات طويلة بعد ذلك ، وكان من الذين لبوا نداء النجدة الحاج أحمد باي قسنطينة حيث قاد جيشا كبيرا إلى مدينة الجزائر ضم 13000 جندي وهو نفس العدد من الجنود الذي تمكن من جمعه باي التيطري بومزراق وباي وهران مجتمعين [1].

وبعد سقوط المدينة ورجوعه إلى عاصمة البايلك تلقب أحمد باي بلقب الباشا[2] حسب ما يذكر فايسيت وحصل من السلطان العثماني فرمانا بهذا الشأن [3] واستطاع إزاحة غريمه ابراهيم باي الكريتلي باي قسنطينة السابق من طريقه بعدما كاد أن يصبح له منافسا وخصما عنيدا ، حيث أخذ في غيابه أثناء وجوده بالجزائر، يسعى لاسترجاع منصبه القديم على رأس بايلك الشرق ، ورغم الجهود والحشود التي جمعها الكريتلي بدعم من قبائل بن يلس وأولاد عبد النور وأولاد سحنون فقد انهزم هزيمة نكراء أمام جيوش أحمد باي في موقعة بيار الجديد جنوب مشيرة[4]، ثم في موقعة ثانية تعرف بعين زانة حيث أبيد ما تبقى من جيش ابراهيم باي الكريتلي ومثل بالجثث وأرسلت إلى مدينة قسنطينة لتكون عبرة لمن يحدث نفسه بالخروج عن شرعية أحمد باي[5] .

---

1 - يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، (د.م.ج.)، ط1، الجزائر، 1965، ص 202.

2 - من خلال ما تمكّنا من الاطلاع عليه حول ما كتب حول شخصية أحمد باي تبقى هذه المسألة محل نقاش متجدّد ومستمر حول الدوافع التي جعلت أحمد باي يلقب نفسه باشا مكان الداي حسين المخلوع ويراسل الدولة العثمانية وفق ذلك ؟ هل كان أحمد باي يدرك خطورة شغور منصب الداي، أم أنه أراد أن يقطع الطريق عن المنافسين والمناوئين للسلطة التركية والمتعاونين مع قوات الاحتلال ؟

3 - *Eugène Vayssettes, op.cit, pp 233- 233*

4 - تقع قرية "مشيرة" جنوب غرب تلاغمة وهي إحدى المحطات التي يمر بها الطريق الرابط بين مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق ومدينة بسكرة عاصمة الزيبان خلال العهد العثماني .انظر نصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، المرجع السابق، ص451.

5 - *E. Vayssettes op.cit , p233*

وظل منصب شيخ العرب هو الآخر متنازعا حوله بعد سقوط مدينة الجزائر، بين أسرة بن قانة من جهة وأسرة بوعكاز من جهة ثانية وكانت هذه الأخيرة بزعامة فرحات بن سعيد الذي اغتنم تمرد باي قسنطينة السابق ابراهيم باي الكرتلي على أحمد باي، كما عرفنا في السابق، وأشعل نار الحرب والتمرد في الجنوب وقام بالاعتداء على القبائل الموالية لبن قانة، فسار إليه أحمد باي في جيش كبير والتقى الطرفان في منطقة الديس قرب الخنقة[1] حيث كان فرحات بن سعيد يرابط بجيشه و أتباعه وتمكن أحمد باي من تبديد جموعه وتشريد جيشه والاستيـــلاء على نســـائه ومتاعه[2] .

وقد أبدى كل الحكام الذين عيّنَتهُم فرنسا للإشراف على شؤون الجزائر منذ *1830* تحفظا كبيرا في التعامل مع أحمد باي لإدراكهم أنه سيظلّ طيلة الوقت يمثل خطرا جسيما على الوجود الفرنسي في الجزائر، ومن هذا المنطلق فقد اختار كلوزيل سياسة ماكرة لسحب البساط من تحت أقدام أحمد باي إذ عيَّن شقيق باي تونس أميرا على قسنطينة، ليلحق تبعيتها بفرنسا من دون خسائر، وليجنّبها عَنَتَ الحرب ومشقّاتها، وبالفعل فقد اقتنع شقيقُ الباي بهذه المهمة وجاء إلى قسنطينة في *29* مارس *1831* لينفذ الاتفاق ثم غادرها لتباطؤ فرنسا في دعمها له.

وبعدما تسلم دو روفيقو[3] القيادة من برتيزين في *26* سبتمبر *1831* شرع في التّفاوض مع أحمد باي وكان رسوله إليه هو حمدان خوجة الذي وفد إلى قسنطينة خلال شهري أوت و أوكتوبر من سنة *1832*، حاملاً معه رسالةً تدعو أحمد باي إلى الاعتراف بسلطة فرنسا والتزام شروط الولاء التام لها[4] .

---

1 - الخنقة أو خنقة سيدي ناجي قرية تقع في شرق الزاب جنوب سفوح الأوراس تبعد عن مدينة بسكرة بنحو*75* كلم

2 - *E. Vayssettes op.cit , p233.*

3 - كان دو روفيقو يسعى إلى احتلال كل موانئ الجزائر ومن ثمة احتلال بقية الأقاليم عن طريق شيوخ من الأهالي الموالين لفرنسا وذلك حتى لا يتعب قواته في فتح البلاد ويستفيد في نفس الوقت من الجزية التي يدفعها هؤلاء الشيوخ ، انظر جلال يحي السياسة الفرنسية في الجزائر *1830 / 1960* دار المعرفة القاهرة *1959* ص : *97* . كما تميزت سياسته تجاه المسلمين بالقسوة والحقد الذي دفعه أحيانا إلى الانتقام من الموتى باجتثاث عظامهم من المقابر وحملها إلى فرنسا لبيعها لمعامل مسحوق العظام ، انظر أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان *1830 – 1855* ، (م.وك.)، الجزائر، *1989*، ص *85*.

4 - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص *166* .

وفي السفرة الثانية ساهمت جهات عديدة في إفساد مسعى الصلح بين الطرفين وخاب ظنُّ أحمد باي بحمدان خوجة، وقد لعب هذه المرة الوشاة دورا كبيرا في إفساد العلاقة بين الباي وحمدان بإيعاز من القنصل البريطاني[1].

1- احتلال عنابة وأثره في المقاومة.

تتميّز مدينة عنابة بأهميتها القصوى لأحمد باي وكذلك بالنسبة للفرنسيين الذين حاولوا احتلالها في عهد ديبرمون، لكن الأهالي بدعم من أحمد باي دافعوا عن مدينتهم بشدة وردوا الهجمة الفرنسية، وعاود الفرنسيون الكرة في سبتمبر *1830* بفيلق من الزواوة[2] *Zouaves* بقيادة هودر *Huder* الذي قتل على أسوار المدينة ولم تكن المحاولة ناجحة أيضا[3].

ونظمت سلطة الإحتلال حملة جديدة بقيادة أرمندي *Armandy* ويوسف المملوك لاستكمال إحتلال السواحل الجزائرية برمتها واستطاعت بعد جهد كبير الإستلاء على المدينة في مارس *1832*.

ويشكل سقوط عنابة بالنسبة لأحمد باي خسارة كبيرة لأنه بفقدانها فقد بوّابة هامة له على العالم الخارجي، يستقي منها الدّعم والتّأييد، ويكون الجيش الفرنسي بذلك قد فتح ثغرة نحو بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة[4] تجنبه الطريق البري العابر للبيبان الذي لايزال يشكل عبوره خطرا جسيما[5]، بسبب قطاع الطرق واللصوص المنتشرين في هذه الجهة فضلا عن القبائل المتمردة.

ورغم سقوط الجزائر وزوال سيادة الجزائريين على أرضهم والذي من المفترض أن يكون باعثا لهم على نبذ الخلافات ورَصِّ الصفوف، لكن ذلك لم يحدث بل سارع البعض إلى عرض خدماته على سلطة الاحتلال وترجيها لاستكمال احتلال كل

---

1 - محمد بن عبد الكريم، **المرجع السابق**، ص *171*.

2 - الزواوة هي قبائل بربرية تقطن شمال جرجرة تتميّز ببأسها وشدتها في الحروب.

3 - احميدة عميراوي، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية *1827 / 1840***، ط *1*، دار البعث، قسنطينة، *1987*، ص *119*.

4 انظر الخريطة في الملحق رقم *11*.

5 احميدة عميراوي، **المرجع السابق**، ص *163*.

مقاطعات البايلك منها قسنطينة، التي ظل شخصان يكاتبان الحاكم العام الفرنسي ويدعوانه لاحتلالها و يلحان على ذلك وهما :

1- علي بن محمد بن جلاب سلطان توقرت الذي خشي من احتمال هجوم يقوم به شيخ العرب بن قانة ضد سلطنته .

2- فرحات بن سعيد الذي ظل يكتب باستمرار الى الحاكم العام يدعوه لاحتلال المدينة وكسر شوكة أحمد باي، ومما جاء في أحد رسائله إليه و المؤرخة في 10 جوان 1836 : "*أين الوعود التي قطعتها الإدارة الفرنسية لإحتلال مدينة قسنطينة ؟ لماذا هاذا التأخر؟ إن الوقت قد حان للانتقام من الحاج أحمد باي*".[1]

2- الحملة الفرنسية الأولى لإحتلال قسنطينة 1836.

كانت الحملة الفرنسية الأولى على مدينة قسنطينة تضم حوالي 8040 جندي يقودها 30 ضابطا، وضمت الحملة العسكرية من العدة 1600 خيل و 400 بغل لحمل المؤونة والذخائر، ونظرا للخطة الدفاعية المحكمة التي اتّبعها أحمد باي ورفاقه لم تفلح الحملة في تحقيق غاياتها وانسحبت تجر أذيال الخيبة والهزيمة بعدما خلفت وراءها من القتلى الفرنسيين 443 منهم 11 ضابطا و 304 جريحا[2].

إن فشل الحملة يؤكد فشل استراتيجية كلوزيل فشلا ذريعا، كما تظافرت عدة عوامل طبيعية وبشرية ونفسية ، ساهمت في إلحاق الهزيمة المنكرة بالجيش الفرنسي حيث دبّ الرعب في صفوفه، واليأس من النجاة، وكان همُّ كلّ جنديّ الرجوع إلى مدينة عنابة والإفلات من الهجومات المعاكسة التي شنَّها عليه المحاصَرُون والتي قد تؤدي إلى وقوع مجزرة في صفوفهم لا محالة[3].

وبمجرد أن انسحب الجيش من المدينة المحاصرة حتّى تمّ تشكيلُ طابورٍ حزينٍ أخذ في عزف موسيقى الحداد والحزن، قاصدًا مدينة عنابة، بعدما ترك وراءه فضلاً عن الجرحى والمرضى، ما بقي من المؤن والعتاد، ومنه مدفعين وخمسين ألف رصاصة وعتاد

1- الحميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 163 .

2- *Ernest Mercier , **Histoire de Constantine** , Op.cit , 412*

3- عبد الكريم بجاجة، **معركة قسنطينة 1836-1837**، تعريب محمد الهادي لعروق، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص 27 .

الهندسة وصناديق السلاح والبسكويت (الكعك) وصناديق الجراحة[1]، وقد أمر أحمد باي بملاحقة الطابور الفرنسي حتى مدينة قالمة ومناوشته للرفع من خسائره، إلاّ أنه لم يحاول إبادة الجيش الفرنسي، في الوقت الذي كانت لديه الإمكانيات اللازمة لذلك وهذا خلافا لرأي نائبه علي بن عيسى، وكان أحمد باي يدرك أن الفرنسيين لن يناموا بعد هزيمتهم هاته ورجوعهم لأخذ الثأر واقع لا محالة وخصوصا إذا ما أَلْحَقَ أتباعُه ضَرَرًا بأبناء الملك الذين كانا ضمن الحملة الفرنسية المنسحبة، ولذلك منعهم من ذلك، على أمل أن تَتَفَهَّمَ فرنسا هذا الموقف النبيل فتفتح معه مفاوضات مباشرة يمكن أن تعترف من خلالها بسيادته على بايلك الشرق[2] واستقلاله به، وذلك مَنُوط في اعتقاده بالحفاظ خاصة على حياة الدُوق دُو نَيْمُورْ *De Neymour*، نجل ملك فرنسا الذي كان ضمن الطابور الفرنسي المنهزم.

لقد كان طموح أحمد باي في أن تتقدم منه فرنسا للتفاوض كما فعلت مع الأمير عبد القادر بعد معاهدة التافنة مشروعا، بعدما سلك مع عدوه المنهزم مسلك الأبطال والأحرار فشرع في مفاوضات غير مباشرة بواسطة اليهودي بوجناح[3].

غير أن فرنسا لم تتفهم هذا الموقف النبيل وتجاهلته وفرضت على أحمد باي شروطا جدُّ قاسية ومخزية ومذلّة، منها على وجه الخصوص[4]:

- رفع العلم الفرنسي على قلاع مدينة قسنطينة في أوقات معلومة.
- التزام أحمد باي وبايلك الشرق بدفع ضرائب سنوية منتظمة، وغير ذلك.

ونتيجة لذلك رفض أحمد باي هذه الشروط المجحفة التي كان الهدف منها استفزاز مشاعر الأهالي وكسر صف المقاومة، فكانت الإستعدادات للحملة الثانية لاحتلال المدينة، وذهب كل طرف في تهيئة نفسه للموعد الحاسم.

---

1 - عبد الكريم بجاجة، **المرجع السابق**، ص *28* .

2 - **المرجع نفسه**، ص *28* .

3 - *Ernest Mercier , **Histoire de Constantine** , Op.cit , 414*

4 - عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر *1830 – 1900***، (م.و.ك.)، الجزائر، *1984*، ص *128*.

3- الحملة الثانية 1837 وسقوط المدينة.

يقول أحد الجنود الفرنسيين الذي تطوع للخدمة في الجيش الفرنسي وكان يشتغل طبيبا جراحا : " *لما علمنا بهزيمة جيشنا وأبطالنا الشجعان في قسنطينة أدركنا أنه يجب علينا أن لا نترك العرب يتنشّون ويحتفلون بهذا النصر طويلا، فسارعت للتطوع في الجيش عارضا خدماتي، وفي 05 أوت 1837 تلقّيتُ الدعوة للالتحاق بالصفوف، وما هي إلا ثلاثة أيام حتى انتقلنا إلى ممتلكتنا في الجزائر، حيث أشعة الشمس المشرقة والخيرات المترامية والنعيم، الذي عوّضَنَا عن الضباب الدائم والبرد الفرنسي القارس* "[1] .

إن هذه الشهادة تمثل جزءًا من الصورة التي كانت توضح طبيعة نسيج العلاقات في شكلها العام بين إيالة الجزائر ومملكة فرنسا في ذلك الوقت، كما تمثل هذه الشهادة أيضا صورة معبّرة عن القوة المعنوية العالية والكبيرة التي تهيَّأتْ للجيش الفرنسي قبل الحملة الثانية على المدينة، والتي ضمت جيشا كبيرا تشكّل مما يلي :

- **فرقة المشاة** *9500* جندي
- **فرق الصبايحية** *1100* جندي
- **رجال المدفعية** *1000* رجل
- **المهندسون** *700* شخص ، وغيرهم من المعاونين والموَالين[2].

ولما حاصر الفرنسيون المدينة رغبوا في أن يدخلوها دون قتال، ويستولوا على خزينة المدينة كما فعلوا من قبل عند حصار مدينة الجزائر، فأرسل دام ريمون قائد الحملة الفرنسية رسالة لسكان قسنطينة طلب فيها منهم الإستسلام حقنًا للدماء من الطرفين، فكان ردُّ شيوخ المدينة وسكانها مايلي: "*إنّ في المدينة كَثيراً من الذخائر والمؤونة وإذا احتاج الفرنسيون زَوَّدْنَاهُمْ بما يحتاجونه منها*"، وقطع هذا الجواب كل المحاولات والطموحات في دخول المدينة دون قتال، وأدرك الغزاة أنّ دخولَهَا لا يتحقّقُ إلاّ عبر هجوم عسكريٍّ شامل وشاقٍ، بالنظر إلى صعوبة تضاريس الموقع والتحصينات الدفاعية

---

[1] - *C . Sedillot, **Notes et Mémoires**, Crochard et Cie , libraires éditeurs, 1838 pp 5 - 7 .*

[2] - حاجة عبد الكريم، **المرجع السابق**، ص *123* .

المقامة على أسوارها، وانتفض دام ريمون لهذا الردّ وأعلن الهجوم النهائي الكاسح على المدينة[1].

والحقيقة أن ما آل إليه أمر قسنطينة من الحصار والسقوط بيد قوات الاحتلال الفرنسي حسبما يرى كثيرٌ من المؤرخين ، إنما يعود بالدرجة الأولى إلى " هدنة التافنة " بين الأمير عبد القادر والفرنسيين، والتي ساهمت بصورة أو بأخرى في إضعاف موقف أحمد باي في بايلك الشّرق، وقد ذكر السفير العثماني بباريس رشيد باي لوزير الخارجية البريطاني بلمسترون في *05* أوت *1837* أن سبب تصالح فرنسا مع الأمير عبد القادر هو أن تتمكن فرنسا من التصرف كما تشاء في قسنطينة[2].

لقد مكّنَتْ هذه المعاهدة قوات الإحتلال من التركيز على واحدة من قواعد المقاومة المسلحة في بايلك الشرق هي مدينة قسنطينة[3]، عاصمة البايلك والتي بسقوطها تكون المقاومة الشعبية للغزو الفرنسي قد تلقّت ضربة قوية.

و لم تكن الاستعدادات للدفاع عن المدينة هيّنةً أو ارتجالية، حيث قام الأهالي بما توفر لديهم من إمكانيات بتحصين الأسوار وطلب المدد من القبائل المجاورة، وكان شيخ العرب محمد بن بولخراص بن قانة[4] حاضرا ضمن القادة الذين لبوا نداء أحمد باي قبيل الحملة الفرنسية على المدينة واستجاب للنداء أيضا كثير من شيوخ قبائل بايلك الشرق منهم مسعود بن مبارك شيخ ريغة، رزقي شيخ الحنانشة، الحاج رجب شيخ الحراكتة[5]، العربي ضياف شيخ الأوراس، محمد بن بوعزيز شيخ بلازمة، شيخ أولاد بوعون، أحمد المقراني ومحمد بن عبد السلام المقراني وولد بن عبد الله المقراني، شيخ أولاد الحداد، ابن

---

[1] - *Michele Bièse - Eichelbrenner,* ***Constantine, la Conquête et le temps des pionniers*** *, sans date, p 26 .*

[2] - أرجموند كوران، **المرجع السابق**، ص *70* .

[3] - عبد الحميد زوزو: "أحمد باي ودوره في المقاومة ببايلك الشرق"، في **مجلة الأصالة**، العدد *31*، سنة *1976*، ص *111*.

[4] انظر الصورة في الملحق رقم *12*.

[5] كان بين أحمد باي وشيخ الحراكتة سوء تفاهم بسبب عدم تلبية هذا الأخير لنداء أحمد باي قبيل الحملة الفرنسية الأولى على مدينة قسنطينة سنة *1836* والتي باءت بفشل ذريع مما دفع أحمد باي إلى توجيه حملة عسكرية لتأديب الحراكتة وإعادتهم إلى بيت الطاعة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحفصي المقراني، قائد ساحل سكيكدة، قائد أحمد شيخ المعاطلة، بوطيب البادي، محمد بن مراد قائد الشقفة، قائد التلاغمة، قائد فرجيوة وزواغة وأولاد عبد النور.[1]

وعمل أحمد باي على صد الحصار الفرنسي لعاصمته ببطولة لكن العدوَّ كان أكثر عُدَّةً وعدداً مما كان عليه في سنة *1836*، فلم يستطع أحمد باي أن يحول دون سقوط المدينة في *13* أوكتوبر *1837*، رغم المقاومة العنيفة لسكانها، والتي كادت أن تأتي بثمارها، فقد ذكرت التقارير التي وصلت وزير الحربية الفرنسي في *28* من نفس الشهر تؤكّد أن الهجوم الفرنسي كان بمثابة محاولة أخيرة ويائسة لكنها نجحت في اقتحام المدينة، ومما جاء في هذا التقرير السري: " *إن زاد جيشنا قد نفد عندما هَجَمْنَا ولو أن الهجوم الذي زعزعه انفجار لُغْمٍ لم ينجحْ واستطاع العدو أن يعيد جُيُوشَنَا إلى نقطة الدفاع الصّامتة*[2] *وهو ما كاد يقع، لهلك الأجناد كلهم* "[3].

وفي رسالة مؤرخة في *15* أوكتوبر*1837* أرسل أحمد باي خطابا للباب العالي يخبره فيه باستيلاء الفرنسيين على المدينة، ويطلب المعونةَ والمدَدَ وإذا لم يصله ذلك في الوقت المناسب، فإنه يدعو السلطان ويلتمسُ منه الإذنَ بالانسحاب إلى ديار المسلمين، وقد كرَّرَ أحمد باي رجاءَهُ في رسالة أخرى، لكن السلطانَ لم يكن موقفه حازما فاكتفى بإرسال أمر لباي تونس – الذي كان على صداقة ووئام مع فرنسا- لمساعدة أحمد باي، لكن دون تفصيل للكيفيات ولا للطرق الواجب القيام بها، فكان من الطبيعي أن لا يؤخذ طلب السلطان بعين الأهمية[4].

وهكذا تُركَ البايُ أحمد لمصيره ولما يملكه من إمكانيات متواضعة، وكانت النتيجة أن احتلت الجهةَ الشرقية برمتها[5]، واستسلمت الجهات الغربية من الحضنة للعنف والفوضى التي أحدثتهما قبائل السحاري وأولاد سحنون ولم يعد إليها الأمن إلا بعد

---

1 - محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص *69*.

2 - نعبير عسكري يعني به نقطة البداية التي انطلقت منها الجيوش الفرنسية .

3 - مخطوط المخفوظات الوطنية بباريس، رقم *1672/80*، انظر، عبد الحميد زوزو، **المرجع السابق**،ص *109*.

4 - أرجموند كوارن، **المرجع السابق**، ص*73*.

5 - **المرجع نفسه**، ص *73*.

مرور وقت طويل على ذلك، حينما ضمت فرنسا هذه المنطقة ضمن مجال نفوذ شيخ العرب بوعزيز بن قانة[1].

وفي الفترة الممتدة من شهر نوفمبر *1838* إلى شهر ماي *1839*، احْتَلَّتْ قوات الجنرال فالي *Vallée* سكيكدة وجيجل وبجاية والقل، وسيطرت على الحدود كلها من تونس حتى التيطري، وبقدوم شهر جوان من نفس السنة ركَّزَ الحاكم العام حاميات عسكريةٍ على الطرق الرئيسية وتحكّم بخطوط المواصلات، مما عزَّزَ مكانته وتَفَوُّقَهُ العسكريَّ في نفوس سكان هذه الجهات[2].

وساهم بعض الشيوخ في تسهيل مهمة الجيوش الفرنسية في التقدم نحو مختلف الجهات الأخرى، فكان علي بن عيسى بعد استسلامه في السهل الممتد بين إيدوغ وجيجل، والشيخ الحملاوي بين قسنطينة وسطيف، والمقراني في مجانة بين سطيف والبيبان[3].

ثانيا / أحمد باي[4] ودوره في المقاومة.

إن استكمال رسم الصورة الواضحة التي جسدت تحول وتطور موقف أسرة بن قانة من مساندة المقاومة الشعبية بقيادة أحمد باي إلى التَّحالف مع الفرنسيين، لا يتمُّ دون الحديث عن شخصية أحمد باي بنوع من الإسهاب لارتباطه بالمقاومة وبالأسرة التي رافقته منذ أن كان صبيا وعايشت معه أحلامه وطموحاته، منذ أن تولى شؤون البيلكة سنة *1826* إلى أن فارقته سنة *1838*.

إن صمود المدينة الكبير في وجه قوات الإحتلال من سنة *1830* إلى سنة *1837* لم يكن لِيَتِمَّ دون وجود شخصية محورية فذة، لاتزال لحد اليوم تشكل لغزا محيرا للباحثين

---

1 – *Jean Despois, **le Hodna d'Algerie**, (P.U.F), Paris 1953, p 358.*

2 - أرجموند كوارن، **المرجع السابق**، ص *88*.

3 أديب حرب، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر**، ***1808 / 1847***، ج2 (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، *1983*، ص *88*.

4 انظر صورة الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة، الملحق رقم *13*.

وتتمثل في:"شخصية أحمد باي"، التي يؤكد بشأنها عبد الجليل التميمي[1]، أن "*مؤرخي الفترة الاستعمارية أهملوها واهتموا متعمدين ببعض الشخصيات وببعض الأحداث وببعض الفترات دون غيرها والتي تتفق مع أهوائهم وهذا ما ألحق بالتاريخ المغاربي مضرة كبيرة*" ويضيف "*أنّ الأمير عبد القادر والحاج أحمد بالنسبة للتاريخ الجزائري يمثلان الشخصيتين الهامتين اللتين ظهرتا في العقد الرابع من القرن التاسع عشر، ولئن حظيت الأولى بالبحث والاستقطاب فلا تزال شخصية أحمد باي بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة حتى تسمح بإدراك أصالة التاريخ القسنطيني والذي طبع بطابع شخصية رئيسه*"[2]، ورغم الكتابات التي تناولت مقاومة أحمد باي في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، لا تزال غير كافية بالمقارنة مع ما كتب عن شخصية الأمير عبد القادر الجزائري.

وينحدر أحمد باي من أسرة معروفة فأبوه هو "محمد الشريف" خليفة "حسن باي" ولد في حدود سنة *1786*، وتولى السلطة سنة *1826*.

أما أمه فهي الحاجة شريفة[3] أخت بوعزيز بن قانة شيخ العرب، **الأسرة التي امتدَّ صيتُهَا في رُبُوعِ البايلك كُلّه**، وَجَدُّهُ من أبيه هو أحمد باي القلي الذي حكم قسنطينة ستة عشر سنة أي من **1755** إلى *1771*[4].

ويروي فيرو أنه لما ولد أحمد باي أخذته **أمه** إلى زاوية "سيدي الزواوي" الْمَرَابَطْ الذي يقال أنه كان ملهما في استشعار الغيب ومعرفة خبايا المستقبل، **فوضع** الراهب يده على وجهه ثم ردد "*كن مباركا أيها القائد..أيها الخليفة ..أيها الباي*، ستكون آخر

---

1 - عبد الجليل التميمي: " الحاج احمد باي وبايلك قسنطينة *1830/ 1837* " **مجلة الأصالة**، العدد *64*، *1978*، ص *21*.

2 - **المرجع نفسه**، ص *22*.

3 - وفي الغالب يقال له: الحاج أحمد بن الحاجة رقية، انظر : بوعزة بوضرساية، **الحاج أحمد رجل دولة ومقاوم *1826 /1848***، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، ص *34*.

4 - محمد العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، *1981*، ص *6*.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بايات قسنطينة وسيكون بعدك هرج ومرج، وأن ملكي وزاويتي سيصيبها هذا الشر ولكن لحسن الحظ لن أكون حيا آنذاك"[1].

وحسب الحاج محمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (*1754-1830*) فإن تَوْلِيَة أحمد باي على رأس بايلك الشرق يأتي بعد مرحلة عصيبة مرت بها قسنطينة وصفها بـــقوله : " *وكل من يتولى بايًا يجمع مالا ويخفيه لعواقبه وذريته وإذا قرب وقت الدنوش يأخذون أموال الناس ظلما بالمصادرة والنهب والغزو على أموال العرب وتوالت تسمية البايات وعزلهم والوطن لا يزداد إلا نقصا وضعفا، وهكذا اضطروا هذه السنة اضطرارا كبيرا لتولية الكورغولي أحمد باي على قسنطينة*"[2]، وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه صالح العنتري حيث أكد أن "مناماني باي" ألحق أذى كبيرا بالبايلك من فوضى عارمة وقتل عشوائي لسكانه دون علة، مما أنتج حالة من التذمر عند الأهالي، فذهب موظفو البايلك شاكين أمرهم إلى الباشا فعزله، وبعد تفكير عميق توصل الباشا إلى أن أفضل رجل يصلح لحكم بايلك الشرق هو أحمد باي[3]، وتفيد بعض الروايات التاريخية أيضا أن الحاجة رقية بنت قانة أم الحاج أحمد باي، سعت لدى باشا الجزائر لتولية ابنها على رأس البايلك لما كانت تملكه من مكانة ومنزلة ورثتهما عن أجدادها أفراد أسرة بن قانة.

والشاهد إذا أنّ هذه التولية كانت بقرار من باشا الجزائر نفسه[4] وكان يهدف من ورائها إلى إعادة الهدوء والطمأنينة والاستقرار لهذا الاقليم الهام ولا يتأتى ذلك إلا بتعيين من يضطلع بهذه المهمة بكل جدارة ويقدر على وضع الأمور في نصابها.

اهتم أحمد باي منذ نعومة أظافره بالفروسية وكان ذا بنية جسمية قوية، يحب النساء والمال والخيول[5]، عُيِّنَ قائدا للعواسي[6] وسِنُّهُ لم يتعدَّ *18* سنة[1]، لنضجه ونبوغه في القيادة وبروز ملامح قوة الشخصية عليه مبكرا .

---

1 - *charles-Louis Feraud, les Ben-Djellab sultants de Tougourt, Op.cit, p33-1.*

2- أحمد توفيق المدني ، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1754 – 1830** (س.و.ن.ت.)، الجزائر ، *1974* ، ص *160*.

3 - *Salah el Antri : « Constantine sous les Turcs », in R.A.S.C. n° 16 Edition Brochier , 1928-1929 , p107 .*

4- *Ernest Mercier, les deux sieges de Constantine (1836-1837) imprimerie, librairie L. Poulet, Constantine, 1896, p11.*

5- صالح فركوس، **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826 – 1850**، المرجع السابق، ص *21*.

6- العواسي هي قبائل مخزنية كانت تقطن قرب مدينة عين البيضاء ببايلك الشرق الجزائري.

وتتضارب الأخبار حول فترة حكمه بين من وصفوه بالطاغية والجشع ووصفوا فترة حكمه بالتوتر وانعدام الأمن والثقة بين أحمد باي ورعيته، حتى داخل قصره، فلا يكاد يخرج من جناح إلى جناح ومن غرفة إلى أخرى، حتى يتسلح بمسدسين وسيف اتقاء شرّ الخيانة[2].

وبالغ بعض المؤرخين في تعنيف الرجل ورسم صورة قاتمة لفترة حكمه ، كمؤرخ البلاط التونسي ابن أبي الضياف الذي اتَّهَمَ أحمد باي بـــ :" *الفساد والجشع والاستبداد بالأموال وبالرعية في قسنطينة، حتى أخذها منه الفرنسيون سنة 1837 وبعد سقوط المدينة هرب خشية أن يسلمه أهلها وقد اتفقوا على ذلك* " ، ويواصل ابن أبي الضياف في تصوير سلوكات الرجل من خلال نهايته التي انتهى إليها، حيث يقول " *وهذا أقل ثمرات الجـــــور المفضي إلى المحظور، سَمعْتُ من بعض علمائها - قسنطينة - في ذكر الحاج أحمد باي وعَسْف جُوره يقولون : ولا زلنا في أسر هذا الظلوم الغشوم حتى رحمنا الله باستيلاء الفرنسيين عليها* "[3]

وفي مقابل ذلك يعتبر البعض الآخر أنّ سوء الإدارة التي انتهجها البايات قبله خاصة منهم "منماني باي" أغرق البلاد في موجة من التمرد على السلطة وفي فوضى عارمة، وكان على الحاج أحمد باي أن يُوَاجِهَهَا بحزم وعزم وإرادة قوية، وبذلك فقط استطاع إعادة الهدوء والاستقرار والأمن للبلاد، وبفضل حزمه في هذا الإقليم– الشرقي – وحَزْمِ الداي حسين في الجزائر وطول مدة حكمه، صَلُحَتْ أحوال البلاد شرقا وغربا واستَتَبَّ الأمن بها[4].

وقد وصفه ابن العطار في تاريخ قسنطينة بالرجل اليقظ الحازم[5]، الذي تمكن من بعث الاستقرار في ولايته وتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية[6] التي ساهمت بدورها

---

1 - بوعزة بوضرسابة، **المرجع السابق**، ص *41*.

2 - فندلين شلوصر، **قسنطينة أيام أحمد باي**، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، *1980*، ص *81* .

3 - أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من العلماء تونس، ج *2*، *1963*، ص *178* .

4 - محمد المهدي بن علي شغيب، **المرجع السابق**، ص *441*.

5 - ابن المبارك، **المرجع السابق**، ص *55*.

6 - *Ernest Mercier*, **op.cit**, *pp 376- 377.*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في ارتفاع مداخيل الخزينة وارتفاع قيمة الدنوش التي يقدمها أحمد باي إلى باشا الجزائر و بصورة ملموسة[1] .

وتوصل التميمي في دراسته المعروفة حول شخصية الحاج أحمد باي الذي حكم من *1826* الى *1837* أنّ الرجل قد رفض قطعيا التفاوض أو التراضي مع الاحتلال الفرنسي وفي نفس الوقت اتبع تعاليم الدين الاسلامي بحذافيرها[2] ، واعتبر نفسه هو والمجموعة الإسلامية القسنطينية في حالة جهاد ضد الفرنسيين، فقد واجه الرجل كثيرا من المؤامرات التي كان وراءها الحكام الفرنسيون ويوسف المملوك، لذلك كان قاسيا ربما وشديدا على أعدائه في بعض الأوقات، و بقي رغم ذلك متمسكا بمضمون القصاص والعدل[3].

ومهما يكن من أمر فإن الحاج أحمد باي قد اعترف له أعداؤه ومعاصروه بحنكته السياسية ومواقفه البطولية وشجاعته القتالية[4]وغيرته الدينية، عَمِلَ على تنظيم ولايته منذ عُيِّنَ عليها، فتحالف مع العائلات الكبيرة وربط علاقات استراتيجية مع أصهاره في الزيبان والأوراس، وظل يقاوم دون كَلَلٍ من سنة *1837* إلى سنة *1848*، لكنه عجز في أن يعطي لكفاحه الصبغة الدينية كما فعل الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، فأحمد باي لم يستنجد بشيوخ الطرق الصوفية ورجال الزوايا، وبقي يتصرف رغم تبدل أحواله وسوء موقفه بعقلية حكام البايلك[5] ورغم النهاية المؤسفة لقادته وأنصاره كعلي ابن

---

1 – *Marcel Emerit , **L'Algérie à l'époque d'AbdelKader** , T 4 , éditions la Rose , Paris , 1951 , p237 .*

2 – يتبين بوضوح من خلال ما كتب *E.Bigonet* في المجلة الإفريقية عدد *43* لسنة *1899* ص *175* وما بعدها ، تمسك أحمد باي بأنبل الأخلاق الاسلامية حتى في فترة الحرب ففي الحراسة ينقل عن أحمد باي توصيته لجنوده : ابذلوا جهدكم فلكم بكل لحظة حسنة وثوابا وهذا الأمر هو أعظم الأمور عزما وحزما ، فلتكونوا أهل يقظة وفطنة والله في عونكم ، وأما النصارى الفرنسيس الذين في عنابة فإياكم ثم إياكم أن يتعدى عليهم أحد أو يظلمهم أو يضيع لهم شيئا من مالهم فإن أرادوا المقام في عنابة فعليهم أمان الله ولا ينالهم مكروه وإن أرادوا الانتقال إلى بلادهم برضاهم وطواعيتهم فلا يمنعهم أحد ولا يتعدى عليهم ويرفعون مالهم وأمتعتهم عن آخرها .

3 – التميمي عبد الجليل: " الحاج أحمد باي وبايلك قسنطينة " **مقال سابق** ، ص *24* .

4 – يذكر طبيب الأسنان الفرنسي كارل سيديو *C . Sedillot* الذي كان مرافقا للحملة الفرنسية الثانية على مدينة قسنطينة في مذكراته أن الحمنة تعرضت في طريقها إلى هجوم مفاجئ وقويّ، وكان العدو (المقاومة) متشجعا بوجود أحمد باي بين صفوفه . انظر **المرجع نفسه** ص *135* .

5 – نصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، المرجع السابق، ص*103*.

عيسى[1] والحملاوي، ووقوع الخلل والاضطراب في صفوف أصهاره وأتباعه ، ظل محاربا على عدة جبهـــات : باي تونس ، فرحات بن سعيد ، بن قانة ، الفرنسيين ، الأمير عبد القادر[2].

ورغم موقفه الذي أخذ يضعف شيئا فشيئا إلا أنه ظل يبحث عن مخرج مشرف له، ولا يقدم على خطوة دون إعلام السلطان العثماني وفي ذلك برهان على وفائه للباب العالي[3]، وربما رغبته في استمرار الإرتباط بالدولة العثمانية التي تمثل رمز الوحدة الروحية والسياسية للمسلمين، التي بدونها قد لا تنعم شعوب المنطقة بالأمن الكافي، كما كان بإمكانه التحالف مع الأمير عبد القادر لو أراد لكنه رفض لأنه يرى في نفسه سلالة الأمراء والنبلاء[4] وزاد في مصيبته تخلي الأجواد[5] عنه.

وعندما استسلم سنة *1848* وجيء به إلى قسنطينة، وعَلِمَ السُّكّانُ بأن الباي في المدينة قاموا بجمع التبرعات والألبسة والمؤن له، حرصا منهم على أن يعيش الرجل بكرامة، ولما علمت السلطة العسكرية بذلك قامت بإحالة كل الذين ساهموا في العملية

---

1 – علي بن عيسى هو الرجل الثاني في البايلك ولد في بني فرقان كان قائدا للجيش الخاص بالباي، وكان رجلا عسكريا وسياسيا موهوبا، أسند له الباي مهمات تجارية الى تونس، رُقِّيَ بعدها إلى منصب باش حمبا (قائد الجيش) بعد سقوط قسنطينة انسحب إلى بني فرقان(من القبائل الصغرى التي تقع في الشمال القسنطيني) وحاول مواصلة المقاومة دون جدوى ، فطلب الأمان من الجنرال كاستيلان ثم عرض خدماته على السلطة الجديدة فعين خليفة على المنطقة الممتدة من ستورة إلى جيجل في *1838/09/30* ، وقد أظهر حماسا كبيرا كان له الفضل في بناء مدينة سكيكدة ونال وسام الشرف سنة *1839* ، لكنه في نهاية خدمته اتهم بتزوير النقود فحكم عليه بـــ *20* سنة سجنا مع الأشغال الشاقة والنفي إلى جزيرة مارقوريت *Marguerite* ، ثم رخص له في العودة إلى الجزائر العاصمة والإقامة فيها . للمزيد من المعرفة انظر ، عبد الحميد زوزو: " تقييدات بن عيسى عن حصاري قسنطينة " ، **مجلة الأصالة**، العدد *67* ، سنة *1979* .

2 – سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، ج*1*، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، *1990* ، ص *352* .

3 - *Charles-André Julien , **op.cit** , p148 .*

4 - *Charles-André Julien , **op.cit**, p 148.*

5 - يعني مصطلح الأجواد أسر النبلاء والأشراف وبيوت العز والمروءة التي دأب أصحابها على صفات الكرم والجود والشجاعة، وقد أطلق هذا اللفظ على عدة أسر في بايلك الشرق كالحنانشة، بن قانة، المقراني وغيرهم، ويقصد به هنا أفراد بن قانة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إلى مجلس القضاء العسكري[1] ومعاقبتهم، ممايظهر بجلاء تَعَلُّقَ السكان بَبَايِهِمْ القديم واعتزازهم به، ولو كان في نفسهم شيئا من غير ذلك، لما أولوه أهمية تذكر بل ربما قد يتشَفّوْا منه ويرشقوه بالحجارة ويوسعوه بشتى أنواع الشتائم والسب والتشفيّ.

وبعد استعراضنا السريع للجانب الأول من المسألة والمتعلق بمكانة ودور أحمد باي في المقاومة الشعبية ببايلك الشرق، يمكننا أن نتساءل عن طبيعة الدور الذي لعبته أسرة بن قانة في هذه المقاومة، فهل كانت يا ترى سنداً لها ؟ أم عملت على إضعافها وإخمادها ليتسنىَّ لها الفوز والظفر بخدمة سلطة الاحتلال الفرنسية التي ما فَتِئَتْ قوتها تزيد يوما بعد يوم خاصة بعد سقوط قسنطينة ؟

ثالثا / دور بن قانة في إضعاف مقاومة أحمد باي.

لقد تباين تأثر الفئات الاجتماعية في الجزائر بالمصاب الكبير، الذي ألَمّ بالجزائريّين بعد احتلال العاصمة سنة *1830*، ومن هذه الفئات فئة الأعيان والوُجهاء، الذين قبلوا بالتفاوض مع الاستعمار منذ بدايات الحملة نظرا لحجم الخراب الذي لحق ببنية المجتمع إقتصاديا واجتماعيا من جراء توغل الإستعمار، وكانت مكانتهم تقتضي التَّكيُّفَ بسرعة مع المستجدات، بعدما عجزوا عن إيجاد بدائل مناسبة في ذلك الوقت العصيب، فَرَاحَ بعضهم يبحث عن أنجع الفرص للاستفادة من الوضع الجديد، بعد طرد الإنكشارية وزوال سلطة الأتراك، وكان من الطبيعي أن يسلك أعيان المدن خاصة، هذا المسلك الذي صدر عن ثقافة كل فرد منهم ووجهة نظره، ومنطق الدفاع والحماية لمصالحه والحفاظ عليها من الزوال[2].

وفي مقابل ذلك ساهمت كثير من الأسر والعائلات الأرستقراطية في تسهيل مهمة الإحتلال، والسَّبَبُ في ذلك أنها كانت على علاقة غير منسجمة مع القبائل، فقد كانت

---

[1] – *Abdelkarim Badjaja : « la Bataille de Constantine 1836 – 1837 » , op.cit, p160* .

[2] – عمري الطاهر، **دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار *1830* / *900***، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، *1998*، ص *106*.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تخشاها وتحس بتهديداتها لمصالحها في البايلك، وهكذا رأت ضرورة إبقاء الوضع على ما هو عليه[1]، أي التمكين للإدارة الفرنسية الجديدة والخضوع لها.

فهل يمكن اعتبار أسرة بن قانة من صنف هذه الأسر التي لم يكن همها سوى الحفاظ على مكانتها السياسية والإجتماعية وعلى مصالحها المادية ؟

للأجابة على هذا التساؤل لا بد من الرجوع إلى الوراء قليلا، فبعد سقوط مدينة قسنطينة انسحب المقاومون بزعامة أحمد باي الذي لم تؤثر فيه الهزيمة، حيث استدعى قادة القبائل واقترح عليهم مايلي :

أولا : تشكيل زمالة[2] من جميع الذين خرجوا من المدينة ثم التوجه إلى الجنوب الصحراوي حيث يوفر لها مكانا آمنا.

ثانيا : أن يحتل جيش المقاومة بقيادة أحمد باي إحدى النقاط الحساسة في الطريق بين عنابة وقسنطينة بهدف قطع الاتصالات والمؤن التي يرسلها الفرنسيون للحامية الموجودة بمدينة قسنطينة[3]، وهي نفس الخطة التي كان انتصر بها في السنة الماضية على الجيوش الفرنسية وذلك بقطعه طريق الإمدادات والنجدات القادمة من عنابة[4].

وقد لقيت هذه الخطة حسب أحمد باي قبولا من طرف المقاومين وكادت أن تدخل حيز التنفيذ لولا الاعتراض الشديد الذي أظهره بوعزيز بن بولخراص بن قانة شيخ العرب عندما صاح قائلا :

" ماذا تريدون أن تفعلوا ؟

تبتعدون عن بلدكم وتتوجهون نحو الشمال ؟

إذن فأنتم لا تعلمون أن فرحات بن سعيد يقترب بسرعة من الزيبان ؟

وفي الوقت الذي تحاولون فيه الدفاع عن قسنطينة فإنكم تعرضون أنفسكم للطرد من منطقتكم ؟؟

1- *Leila Babès, op.cit ,P19 –20*

2- تضم الزمالة النساء والأطفال والشيوخ العاجزين ، كما تضم الممتلكات الثمينة للباي وقادته .

3- محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص 76 .

4- محمد المهدي شغيب، **المرجع السابق**، ص 444 .

يجب علينا أن نسرع إلى الصحراء ندخل عائلاتنا ومن اتبعنا إلى المدن ثم نخرج متحدين ضد العدو الذي نخشى هجومه أكثر، فالفرنسيون لن يتقدموا بينما فرحات يزحف علينا، ومن ثم يجب أن نبدأ بمحاربته، وبعد ذلك نوحد قواتنا ونهاجم الفرنسيين"[1].

ونظرا لقلة أنصار أحمد باي في هذه الساعة الحرجة وشدة الصدمة من جراء سقوط قسنطينة، فقد اضطر إلى قبول رأي خاله بن قانة وعَدَلَ عن خطته الحربية السابقة، ورفض العرض الذي تقدم به أحمد بن محمد المقراني خليفته على مجانة بالتوجه معه إلى الجهات الغربية للبايلك واتخاذ منطقة القبائل كقاعدة جديدة للمقاومة[2]، وتوجَّه إلى الصحراء لتنظيم المقاومة التي استمرت بعد ذلك إحدى عشر عاما[3]، لكن دون أن تأتي بنتيجة.

فهل كان الذي طرحه بن قانة تكتيكا عسكريا ملائما صدر عن خبرة وروية، أم هو بداية القطيعة مع أحمد باي وتغير الولاءات وبداية تبلور منطق الوقوف مع الأقوى (فرنسا) لدى بن قانة؟

إن قراءة دقيقة في هذا الإقتراح الذي سار فيه أحمد باي على مَضَضٍ يُمَكِّنُنَا من أن نستنتج ما يلي:

أولا : لم يكن بوعزيز بن قانة ضليعا بالقدر الكافي في الشؤون العسكرية، فقد أفسد رأي أحمد باي الذي كان مكتسبا بالخبرة ولقي إجماعا حوله، وهومن الناحية التكتيكية سليمٌ يمكن أن يفسد مخططات الجيش الفرنسي ويدفعه إلى الحذر والتباطؤ في تنفيذ سياسته التوسعية في مقاطعة قسنطينة، وكان من أخطاء بن قانة الجسيمة سوء تقديره لطرفي الصراع فقد كان يظن أن *"الفرنسيين لن يتقدموا بينما فرحات يزحف علينا."*

والظاهر أن الحقد الكبير والغل الشديد الذي كان يكنه الرجل لغريمه فرحات بن سعيد أفسد عليه عقله وتدبيره.

ثانيا : ساهم هذا الإقتراح في تشتيت صف المقاومة التي التفت حول أحمد باي، فليست كل القبائل وشيوخها على استعداد للذهاب نحو الصحراء، وليس على استعداد في ذلك الوقت على مكابدة قساوتها ورمالها وقحالتها وترك مواطنهم للعبث والمجهول والسيطرة الأجنبية.

---

1 - محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص 77.

2 - *Charles- Louis féraud : « Histoire des Villes de Constantine ,Borj BouArereje » , in R.A.S.C, Constantine, 1872 ,p311.*

3 - محمد المهدي شعيب، **المرجع السابق**، ص 439.

ثالثا : لقد أضفى هذا الإقتراح صفة الهارب من المعركة على أحمد باي مما قد يسقطه ربما من أعين القبائل الأخرى ويزيد في ثقة فرنسا بنفسها، وفعلا فقد وصف فندلين شلوصر في مذكراته أحمد باي بالهارب، حين قال *" وقد عين الباي صهرا له شيخا للعرب و فر معه أيضا فيما بعد* ؟[1]

رابعا : لم يكن همُ بن قانة في هذا الظرف العصيب سوى مصالحه الشخصية ومكانته وأمواله، التي آثرها على المشروع الدفاعي عن بايلك الشرق، فسقوط قسنطينة والشرق الجزائري وضمور المقاومة فيه يعني الكثير بالنسبة للجزائرين الذين انتظموا في صفوف المقاومات الشعبية، لكن الأمر سيَّان بالنسبة لأسرة بن قانة، شأنها في ذلك شأن الكثير من العائلات الإقطاعية التي تحدثنا عنها من قبل والتي آثرت مصالحها الذاتية وخشيت عليها، ولوكان هؤلاء الإقطاعيون فعلا يتمتعون بالنُفوذ والسُلطة الحقيقية-كما يرى أحد المؤرخين- في أوساط الأهالي لحاولوا أن يستقلوا بأمرهم، ويؤسسوا إمارات مستقلة و يتفاوضوا مع الفرنسيين مفاوضة الند للند[2].

وقد علق على موقف الطبقة الأرستقراطية مصطفى الأشرف في كتابه "الجزائر الأمة والمجتمع" حين أورد شهادة أحد ضباط الجيش الفرنسي في تلك الفترة يدعى : "فيليب دي كوس بيساك" *Phillipe de Cosse-Bissac* حيث يقول في هذا الصدد *" لقد كان عملاء الأتراك سابقا قد استجابوا للعروض التي قدمها لهم الجنرال بوايبي قائد الجيش بوهران وهو أول من أدرك التوافق بين مصالحهم ومصالحنا "*[3]، ورغم وقوع هذا المثال ببايلك الغرب إلا أن منطق التفكير عند هذه الفئة من الناس واحد لا يتبدل.

فالمصالح الشخصية والمنفعة الذاتية هي التي كانت تملي على الطبقة الأرستقراطية المؤيدة للاحتلال سياستها في التعامل مع الأحداث والمتغيرات.

خامسا : ساهم بن قانة بعد سقوط قسنطينة حسب مذكرات أحمد باي في إفساد العلاقة التي كان ينوي هذا الأخير أن ينسجها مع باي تونس، فبعد الخسائر التي تعرض لها أحمد

---

1 - فندلين شلوصر، **المرجع السابق**، ص 101 .

2 - مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، (م.و.ك.)، 1983، الجزائر، ص ص 54 - 55 .

3 **المرجع نفسه**، ص 56 .

باي والقبائل التابعة والمؤيدة له أمام القوات الفرنسية، ضاقت به السبل وعمَّ الفقر والفاقة وانتشرت المجاعات، فقام أحمد باي بمراسلة باي تونس ليبيع له القمح، خاصة وأنه كان يُباع بأسعار معقولة، فأرسل أحمد باي وفدا إلى باي تونس لهذا الغرض، لكنَّ الوفد كان دون مستوى الآمال التي علقت عليه، لأنه اتبعوا نصيحة بوعزيز بن قانة شيخ العرب ؟ فما هي هذه النصيحة التي أسداها للوفد خال أحمد باي يا ترى والتي ساهمت في إفساد خطته وعجلت بضعف موقفه واستسلامه في نهاية الأمر ؟؟

يعتقد القبطان سيروكا *Séroka*[1] أن سقوط قسنطينة زاد موقف الباي ضعفًا وتَشَتُّتًا، مما دفع بأسرة بن قانة الى التفكير الجدي في تغيير ولاءها، حفاظا على مكانتها من جهة وانتقاما من أحمد باي من جهة ثانية، الذي عاث فسادا في الأسرة و لم يقابل إخلاصها الا بالنكران، وتلقى الباي بعد معركة صحيرة[2] في ديسمبر *1837* وتعيين بن عزوز خليفة للأمير عبد القادر في الزاب ضربة جديدة، فانسحب نحو القَنْطَرَة ثم إلى باتنة، وفي هذه الأثناء اتصل بباي تونس يطلب منه الدعم والمؤازرة، فكان جوابه أنه سيرحِّبُ به إذا أراد العيش في بلاده وسيمنحه مقاطعة يعيش فيها بسلام وأمان، أما مساعدته في المقاومة فهذا أمر مرفوض، بحجة أنَّهُ مرتبط بمواثيق وعهود مع فرنسا و ليس مستعدا لمخالفتها[3].

والذي زاد في حقد بن قانة على الباي كما يعتقد سيروكا أن أحمد باي كان يخفي هذه المراسلات عن بن قانة حتى يحافظ على قوته ومهابته أمامه، ولكنه لما علم بها أدرك حقيقة الموقف و أن الباي في حرج ووضعه يسوء يوما بعد يوم، ومنذ ذلك الحين أخذ يفكر بجدية في الاتجاه نحو فرنسا وعرض خدماته عليها[4].

وفي المقابل يزعم أحمد باي في مذكراته أن بوعزيز بن قانة ينطوي على كثير من النوايا السيئة التي أملت له إثارة باي تونس على أحمد باي لأشياء في نفسه ذكر منها :

1 - **الطمع** في ما كان تحت يد أحمد باي من الملك والسلطان حتى وإن فقد منه الكثير بعد سقوط قسنطينة، ويمكن أن نستشفَّ ما يؤكد هذا الأمر ما ذكره بوعزيز بن قانة أغا العرب في كتابه حول تاريخ الأسرة أنّه بعد سقوط مدينة الجزائر و إلغاء منصب

---

1 - انظر النبذة التي ذكرناها عنه في مقدمة هذا البحث .

2 - لمعرفة تفاصيل المعركة انظر الفصل الثالث من هذا البحث .

3 - *Joseph-Adrien Séroka*, ***op.cit***, *p 404.*

4 - ***Ibid***, *p 405.*

الباشا الذي كان يمثله الداي حسين أعلن أحمد باي نفسه باشا مكانه [1] واستعان بخليفتين هما:

الأول : محمد الحاج بن قانة الذي ثبته في منصب شيخ العرب يتصرف في منطقة الجنوب القسنطيني حتى الصحراء .

الثاني : علي بن عيسى الذي عيَّنَهُ بايًا على قسنطينة .

لكن هذه القسمة لم تعجب محمد بلحاج بن قانة الذي كان يرغب كثيرا في أن يكون بايا على قسنطينة، واتصل لتَوِّه بالباي أحمد وأعلن عن معارضته لهذه التّعيينات التي قام بها [2] ، وذكَّرَهُ بما كان له من أَيادٍ بيضاء وما لعبه في تثبيت ملكه، خاصة حينما عادوا إلى قسنطينة، بعد حملة الدفاع عن مدينة الجزائر سنة *1830*، وذكَّرَهُ بالمؤامرة التي دبَّرَهَا له " تاشكر باي"حينما انقضَّ على السلطة وانقلب عليه في غيابه، وذكَّرَهُ كذلك بأَسًى أنه الوحيد الذي بقيَّ على وفائه له عندما غَيَّرَ الناسُ ولاءهُمْ، لكن أحمد باي (الباشا) تمسك بقراره رغم كل شيء وحطَّم قلب بن قانة الذي تَأَلَّمَ كثيرا لذلك [3].

2- **جشعه وحبه للمال**، حيث كان يسعى دوما للحصول عليه بكل الطرق الملتوية كالرِّشوة والاحتيال وما شابه ذلك ، ويسوق أحمد باي على ذلك أمثلة حية تدين بوعزيز بن قانة وتضعه في قفص الاتهام والتي منها قضية الشيخ "الحسناوي".

كان الحسناوي شيخ قبيلة الحنانشة [4] التي كان أحمد باي مقيما عندها قد حاك مؤامرات ضد الباي فحَكَمَ عليه بالإعدام، واستبدله بالشيخ "رزقي" الّذي أبدى كثيرا من الإخلاص، ولكن ولإرضاء أسرة الحسناوي فقد عيَّنَهُ كاتبا للشَّيخ رزقي وتغاضى عن تنفيذ حكم الإعدام، لكن حقد الحسناوي على أحمد باي بقي ضامرا في نفسه، فتنازل عن منصبه ثم التجأ إلى باي تونس ثم إلى يوسف المملوك بعنابة عدو أحمد باي اللدود،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- *Ernest Mercier ,les deux sieges de Constantine ,**op.cit**,p12.*

2 – غير أن القبطان سيروكا في تاريخه للجنوب القسنطيني لم يذكر بتاتا هذه التغييرات الإدارية التي ساقها بوعزيز بن قانة في كتابه المشار إليه ماعدا تعيين الباي لبن عيسى وزيرا له وتكليفه بمجموعة من القبائل انظر : *Seroka , Joseph-Adrien , **op.cit** , p379 .*

3 – *Bouaziz.B , **op.cit** , p 49.*

4 – تعاون شيخ الحنانشة محمد الحسناوي بن بلقاسم مع الأمير عبد القادر ضد أحمد باي للمزيد انظر : يحي بوعزيز: "جهود الأمير عبد القادر في دعم الجبهة الشرقية" ، **مجلة الأصالة**، عدد *48*، الجزائر، *1977*.

وذات يوم اتصل ببوعزيز بن قانة وطلب منه أن يعيده شيخا على الحنانشة مكان رزقي، وقدّم له مبلغا كبيرا من المال، وعلى الفور استجاب بوعزيز بن قانة لهذا العرض السخيّ وجاء يطلب من أحمد باي ويترجاه أن يقوم بهذا التّعيين الجديد لفائدة الشيخ الحسناوي، ورغم مقاومة أحمد باي لهذا التّدخل، إلا أنه أذعن في النهاية لأنه لا يملك من أمره شيئ كما قال أحمد باي نفسه :" غير أنني كنت في ذلك الوقت تقريبا تحت رحمة بوعزيز فاضطررت إلى القبول"[1].

ولما عَلِمَ رزقي بالمؤامرة التي تُدبر له، اتّصل ببن قانة وعرض عليه مالا أكثر ليعيده إلى منصبه، فاقترح عليه هذا الأخير أن يذهب مباشرة إلى أحمد باي ثم يترجّاه للتخلص من الحسناوي، ويَأْمُرَ بقتله ثم يُعَيِّنَ صِهْرَهُ " محمد بن علي" شيخا على الحنانشة وأن يكون رزقي كاتبا له ومستشارا.

وبمجرد أن علم أحمد باي بالسيناريو الجديد الذي رسمه بن قانة استنكره واستشاط غضبا ورد على بن قانة بشدة هذه المحاولات بقوله:" إذا كُنْتُ قَدْ عَاقَبْـــتُ مَنْ خَانَـــنِي فَإِنَّـــنِي لَمْ أَخُـــنْ أَحَدًا أَبَدًا"[2].

وغضب بوعزيز بن قانة من جواب الباي، وأشار على القوم بأن يَغْزُوا زاوية عبد الكريم التي كانت مخزنا لحبوب كامل الشرق التونسي بهدف إثارة باي تونس على أحمد باي وعزله عنه، وتكون لبن قانة بالتالي، الكلمة العليا من بعده في المنطقة، ولما فشلت خُطَّتُهُ و لم تُثْمِر غادر صهره إلى الصحراء[3].

ولنا بعد هذا أن نتساءل عن الدوافع الحقيقية التي كانت وراء خضوع أحمد باي لآراء أخواله من بن قانة ... هل كان بن قانة يمسك على أحمد باي نقاط ضعف أو بتعبير آخر ورقة ضغط قوية ترغمه على الخضوع والتسليم له ؟ أم أن العواطف تغلبت عليه والحنين إلى أولاده وأسرته قد ألجمه ، فاتبع أخواله إلى الصحراء لمقاتلة فرحات بن سعيد تاركا للفرنسيين فرصة التَّمَركُزِ في عاصمة الشَّرق إلى الأبد ؟

تساؤلات كثيرة لاتزال بحاجة إلى تسليط المزيد من الضوء ولكننا من خلال استقراء للواقع السياسي آنذاك، يمكننا أن نلتمس بعض الأعذار لأحمد باي، إذ كانت بيد بن قانة شيخ العرب، قيادة كثير من القبائل التي ربما قد تعلن ولاءها له في الوقت المناسب الذي

---

1 - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 85.
2 - المرجع نفسه، ص 86.
3 - نفسه، ص 86.

يختاره فأدرك أحمد باي أن زمام القيادة والمبادرة قد خرج من يده، وأن حلفاءه وأصدقاءه في تناقص مستمر وأعداؤه ومنافسوه في زيادة، وآماله التي كان علقها على الباب العالي قد تبخرت، وعلق أحمد باي على هذا الموقف الدقيق والشديد الذي بلغه بقوله:" *ولقد اتبعت بوعزيز وكان ذلك هو مصابي الأعظم وإذا حكم القدر على شخص بالهلاك أعمى بصره وبصيرته*"[1].

وخلاصة القول يمكننا أن نشخص فشل مقاومة أحمد باي في العوامل التالية:

أ - كثرة الخصوم وتَفَرُّقُهُمْ، وانتشارالبلابل والمؤامرات والمكائد على امتداد مساحات شاسعة من أراضي البايلك.

ب- المتاعب الكثيرة التي أثارها ضده خاله بن قانة لأَتْفَه الأسباب.

ج- عدم تعاونه مع الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، ولكل منهما جزءا من المسؤولية يتحملانه في هذا الأمر، نتيجة الأحكام المسبقة التي كونها كل منهما عن صاحبه وتدخل جهات أجنبية في ذلك.

د- أطماع بايات تونس في الإيالة وتعاونهم مع فرنسا ومنع المعونات العسكرية التي أرسلت إلى أحمد باي بحرا ومصادرتها وإرغام الجنود الأتراك على العودة من حيث جاؤوا.[2]

هـ - عدم استفادته من هدنة مع الاحتلال لينظم بها صفوفه من جديد[3].

---

1 - محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص *86* .

2 - يحي بوعزيز : " معارك الحاج أحمد في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية " **مجلة الثقافة**، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد *90*، *1985*، ص*124* .

3 - خاض الحاج أحمد باي معارك مستمرة ضد بومزراق وابراهيم باي وفرحات بن سعيد منذ عام *1831 / 1832* ، ومعركة "رجاتة" في نوفمبر *1834* ضد يوسف المملوك وقبيلة العلمة المعسلة ومعركة "العشاري" بواد الأحد ضد فرنسا قبل الحملة الأولى التي انسحب منها متخوفا، ومعركة "الزغالة" بوادي ريغ عام *1839* .

وكان الخطر الأكبر تلك الرسائل التي قدمت يوسف المملوك من الصحراء وعامر الغرابة وأولاد نايت وأولاد بن يلس والزمول وأولاد مقورة بن عاشور وأولاد عبد النور يطلبون منه الهجوم على قسنطينة ؟ انظر : حميدة عميراوي، **من الملتقيات التاريخية**، دار البعث، قسنطينة، *2001*، ص ص *120 -121* .

وقد لجأ أحمد باي إلى قلب الأوراس بقرية "منعة" عند عائلة "بن عباس" صاحبة الزاوية القادرية، ولما طاردته القوات الفرنسية هناك، انسحب الى جبل "أحمر خدو" عند "السراحنة" و"الشرفا" ثم إلى "بني ملكم" ثم إلى "أولاد عبد الرحمن كباش" بسيدي المصمودي بسفح الأوراس الجنوبي[1]، ولما انقسم أولاد عبد الرحمن كباش إلى قسمين بين مؤيد لمواصلة المقاومة ورافض لها[2]، فصل أحمد باي في الأمر حيث استسلم للفرنسيين و معه 14 مجاهداً، وذلك في 1848/06/05[3] عند جبل "تقطيبوت" في المكان المسمى "تيميسة" بسيدي المصمودي، بعدما طلب الأمان من الجنرال "سان جرمان" حاكم بسكرة فمنحه إيَّاهُ، ولما حان موعد الإستسلام سار مع دليله فرأى غير بعيد عن المكان، رجالا من أولاد بن قانة، فَتَقَطَّبَ وَجْهُهُ واكفهر ووقف واجما ثم قال لدليله:"*لم تأخذ ولم تعمل بما قلته لك في رسالتي*"، ويعني بذلك عدمَ اطْلاَعِ أحد من المسلمين بأمر استسلامه، ثمَّ أسرَّ له بعبارات اكْتَنَفَهَا كثيرٌ من الغموضِ والأسى :" *إن أولاد بن قانة هددوني وأتعبوني، وسيهددونكم ويتعبونكم أنتم كذلك، إنهم السَّبب في كل مآسيَّ ولا أحب أبدا أن أراهم بعيني هذه*"، فأمر القائد الفرنسي سان جرمان حينها بإبعدهم، فَهَدَأَ حالُه واستراح بعض الشيء[4].

رابعا / تجدد الصراع بين بن قانة وفرحات بن سعيد .

فرحات بن سعيد هو آخر شيوخ العرب من أسرة بوعكاز الذواودة، تحدث عنه القبطان سيروكا في تاريخه لجنوب قسنطينة بكثير من الإعجاب والمدح والإطراء ومما قال فيه أنه كان رجل حرب شهم وكريم، بسيط ومؤمن، ويُذَكِّرُ-حَسْبَ سيروكا- برجال الإسلام الأوائل، لكنّه في مقابل ذلك كان مضطرب الذّهن لا يملك الصّبر الكافي وطول النّفس لإدراك غاية كبرى وتحصيلها، وليس ذلك لشجاعة تنقصه أو لهمّة يفتقدها.

فرغم قصر جسمه كان يبدو رجلا عظيما، وغير عادي حينما يكون ممتطيا جوادُه، وكان على درجة كبيرة من الكراهية لبن قانة حتّى أنّه إذا قيل له أنّ بن قانة

---

1 - محمد العيد مطمر : " الإحتلال الفرنسي لمنطقة الأوراس 1844/1884"، اصدار خاص لجمعية أول نوفمبر، دار الشهاب، باتنة، ص 120.

2 - المرجع نفسه، ص 126 .

3 - محمد العيد مطمر، المقال السابق، ص 127.

4 - يحي بوعزيز: " معارك الحاج أحمد في جبال أولاد سلطان "، المقال السابق، ص 116.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يلبسون ثيّاباً جميلةً[1]، كان يجيب : " أنّ اللّبَاسَ الجَميلَ للنِّسَاءِ أَمَّا جَمَالُ الرّجل فَفي فِعْله وَقَوْله"[2].

وقد بالغ أنصار فرحات بن سعيد في الإعتداد به ووصفه بأوصاف خيالية وغير عادية، كقولهم أنّه لا يصاب في المعارك كما يصاب غيره بالبارود والرّصاص، ويزعمون أن أَحَدَ " الْمُرَابْطِينْ " من منطقة جرجرة، منحه طَلاَسمًا يجعله لا يتأثّرُ بالبارود، والرّصاص لايخترقُ جِسْمَهُ، وعندما تنتهي المعركة يَضَعُ سَلاحهُ ثُمَّ يَفُكُّ رِبَاطَ وَسَطِه فَتَسْقُطُ الرصاصاتُ بين أقدامه[3]؟

و لم يفكر فرحات بن سعيد يوما في وقف السباق مع خصومه لاسترجاع مجده ومجد أسرته الضائع، الذي أهدره بوعزيز بن قانة وابنَ أخته أحمد باي، فرحات بن سعيد الذي حارب الفرنسيين وأحمد باي في نفس الوقت من أجل قضية شخصية لا قضية وطنية[4]، بلغت به النقمة العارمة على الطرفين مبلغا كبيرا دفعته للبحث عن أيّة وسيلة للإنتقام ونظرا لعجزه منفردا في مقارعة خصومه فقد تعدَّدَت وُجْهَاتُهُ وتباينت بَحْثًا عن مساند له وداعم لقضيته.

وقبل وقوع قسنطينة تحت الاحتلال الفرنسي، راسل الأمير عبد القادر عرب قسنطينة وسكانها يخبرهم بأنه أبرم صلحا مع الفرنسيين الذين اعترفوا بسيادته على كامل أنحاء البلاد، وعليه فإنّه يطلبُ منهم أن يتخلّصوا من سلطان أحمد باي ويدخلوا في طاعته، وإنْ لم يفعلوا ذلك فإنه سَيُثيرُ عليهم الفرنسيين وفي وقت وجيز ستسحقكم قوات الأمير وقواتهم[5].

و لم تلق هذه الدعوة استجابة من عند أحد باستثناء فرحات بن سعيد الذي كان يعمل على استثمار مثل هذه الفرص في دعم مكانته ضد بوعزيز بن قانة، وبعدما عيَّن الأمير عبد القادر" البَرْكَانـــي" خليفة له بالصحراء، لم يشأ فرحات بن سعيد أن يكشف

---

1 - وقد سار في المجتمع الجزائري مثل تهكمي بالرجل الذي يلبس لباسا فاخرا ويمشي مشية خيلاء فيقول عنه الناس أنه "يمشي مشي بن قانة" أو "يعيش مثل بن قانة".

2 - *Joseph-Adrien Seroka, Op.cit , p381.*

3 - *Ibid , p 382 .*

4 - سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الحديث – بداية الاحتلال** – معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، *1970*، ص *92*.

5 - محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص *80*.

له عن خطه حتى يطمئن لانتصار أحد الطرفين على خصمه[1]، وأحسَّ بأنَّ الأمير عبد القادر لا يرى فيه في هذا الوقت الشخصية المناسبة التي يعول عليها في الزِّيبان فانصرف عنه.

وبعد سقوط قسنطينة اتَّجه أحمد باي نحو الزيبان كما رأينا سابقا، بعدما حشد الحشود وزحف بها على بسكرة حاضرة تلك البلاد، فدخلها و فَرَّ حاكمها فرحات بن سعيد ولَحقَ بالجزائر مستنجدا بحاكمها الفرنسي[2]، واتصل فرحات بن سعيد به وعرض عليه التَّحَالُفَ معه واقترح عليه أن يعترف به كشيخ للعرب، وأن يمدّه بالقوة والسلاح للقضاء على المقاومة بزعامة أحمد باي وأتباعه، وقال له فيما يرويه أحمد باي في مذكراته : " *انظروا إنني أتصرف في سبعة نجوع من العرب بينما، لم يبق مع بوعزيز بن قانة سوى نجع واحد، فإذا أعطيتموني جيوشا فإنني سأنتهي منه، وآتيكم برأس الباي أحمد*"[3].

لكنَّ الفرنسيين كانوا يدركون أنَّ فرحات بن سعيد لايملك شيئا من القوة التي ذكر و لم يكن عسيرا بالنسبة إليهم أن يُدركُوا حالة الضُّعف التي صار عليها، رغم الاستعراض العسكري الحافل الذي قام به من قبل في أعالي ضاحية عين الباي بفرقة من الفرسان، حينما قَدمَ إلى مدينة قسنطينة ذات يوم من شهر أوكتوبر سنة *1837*[4]، وأذهل الفرنسيين المتواجدين هناك حتى صاح فيه أحدهم:"*هذا هو ثعبان الصحراء*[5] "، كما كانوا يدركون جيدا أن ولاءه لفرنسا الذي ساوم به، لم يكن سوى بدافع الانتقام من غريمه بن قانة، و لم يَرُدَّ الحاكم العام الفرنسي "دوروفيقو" على العرض الذي طرحه فرحات بن سعيد عليه، رغم أهميته وتأثيره وبقي من دون جواب شافٍ[6].

---

1 - محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص *80*.

2 - محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تحقيق ممدوح حقي، ج *1+2* ،ط2، دار اليقظة العربية، *1964* ، ص *300* .

3 - محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق** ، ص *81* .

4 - *Ernest Mercier , **Histoire de Constantine** , Op.cit , p 444.*

5 - علق مارسييه على هذا الكلام بقوله : " أن أتباعنا لقبوه ثعبان الصحراء دون أن ندري من أين لهم هذه التسمية " انظر *Ernest Mercier , **Histoire de Constantine** , Opicit , p 445.*

6- *Pellissier de Reynaud , **Annales Algériennes** ,t 1 , librairie militaire, Paris , 1854 , p246.*

وتغافل الحاكم العام الفرنسي عن نجدة فرحات بن سعيد، رغم اللقب الرمزي الذي منحه إياه الماريشال "كونت فالي" حاكم قسنطينة، والمتمثل في "خليفة الصحراء"، وذلك في 27 / 10 / 1837 [1] ، في محاولة لكسبه إلى صفه إلى حين.

ولم يستمتع بن سعيد بهذا اللقب لمدة طويلة، فبعد تعيينه مباشرة جاءه الأمر من سلطات الاحتلال، بالتحرك لمطاردة أحمد باي وشيخ العرب السابق بن قانة، لكنه ظل ماكثًا بقسنطينة، في انتظار حصوله على جيشٍ نظاميٍ تمنحه إياه فرنسا، و كان برفقته خليفته بن زكري، فجاءه الرَّدُّ العنيف من الكولونيل "برنال" يطلب منه الخروج والإعتماد على إمكانيته الخاصة فقط، وألاّ ينتظرَ شيئًا من فرنسا[2]، فلم يستسغ فرحات بن سعيد هذا الإهمال لخدماته والتّنكُّرَ واللامبالاة فقَرَّرَ البحث عن طرف جديد.

ويذكر فوفيون أن الماريشال فالي راسل سلطات الاحتلال في باريس في سنة 1838 يقترح عليها تعيين فرحات بن سعيد كقائد على قسنطينة مكان حمودة بن الشيخ الفقون المسالم وضعيف الشخصية دون أن يلق اقتراحه أيَّ ردٍّ[3].

بعد هذا عاود فرحات بن سعيد الاتصال بالأمير عبد القادر في غفلة عن الحاكم العام الفرنسي، وكان الأمير حينئذ في مدينة "المدية"، فجاءه واشتكى له صروف الدَّهر ودعاه للإستيلاء على بسكرة وما إليها من بلاد الزاب، وطَرْدِ أحمد باي[4]، فأجابه الأمير إلى ذلك وجهَّزَ خليفته محمد البركاني جيشا كبيرا من النظاميين والمتطوعين، وسار بهم مع فرحات بن سعيد نحو مدينة بسكرة في أواخر سنة 1838، وكان خبر مسيرهم قد بلغ أحمد باي، فَفَرَّ منهم ولحق بالصحراء، واستولى الخليفة البركاني على بسكرة، ووفدت عليه أعيان العرب والبربر تابعه من "نفزاوة" و"الزواوة" وغيرهم، وأرسل الخليفة بالخبر إلى الأمير فَسُرَّ لذلك وأمره بتمهيد تلك النواحي وتوسيع رقعته إلى أطراف الصحراء[5].

وأخذ فرحات بن سعيد يتقرب من الأمير عبد القادر عسى أن يظفر بمنصب شيخ العرب، فسبقه إلى هذا كاتبه السابق "الحسن بن عزوز" حيث أرسل إلى الأمير سرًا "سي السنوسي" يلتمِسَ منه أن يُعَيِّنَهُ خليفةً على الصحراء الشرقية، مقابل القضاء على أحمد

---

1 - *Gouvian . M.E* , **op.cit** , *p37.*

2 - *Bouaziz.B*, **op.cit** , *p 54-55.*

3 - *Gouvian . M.E* , **op.cit** , *p37.*

4 - أديب حرب، **المرجع السابق** ، ص 24 .

5 - محمد بن عبد القادر، **المرجع السابق**، ص 300 .

باي وبن قانة، وبعد مدة أرسل فرحات بن سعيد أخاه الحاج الباي رفقة الحسن بن عزوز كرسولين للأمير عبد القادر للغرض نفسه، لكن الأمير عبد القادر بعدما اطمأن إلى الحسن بن عزوز عينه خليفة له على بسكرة والزيبان، وكلف قائد جيوشه وخليفته البركاني بتثبيته في منصبه برفقة حوالي *1700* من جند الأمير النظاميين[1].

وكان فرحات بن سعيد قبل أن يبلغه النبأ، يأمل في أن يستعيد سلطته في الزاب بعدما تم للأمير عبد القادر القضاء على عدوه أحمد باي، لكنه لما علم بتعيين الحسن بن عزوز[2] خليفة على بسكرة وواحة الزعاطشة والزيبان[3]، غضب وجُنَّ جُنُونُهُ، وصاح في وجه ابن عزوز:"يَا مَاكِرْ وَيَا خَدَّاعْ بَعَثْتُكَ رَسُولاً فَعُدْتَ أميرًا " ثم اتصل مجددا بالفرنسيين وما لبث أن أعلن الثورة ضد المسؤول الجديد للزاب[4]، لأنه لم يستسغ ما آل إليه وضعه، وعند اتصاله بالفرنسيين وقعت إحدى رسائله بيد البركاني فوضعه في الأسر[5].

غير أنّ سنة *1839* كانت تحمل تغييرا جديدا بالنسبة لمعادلة الصراع في الزاب بعدما أعلن شيخ العرب "بوعزيز بن بولخراص بن قانة" ولاءه لفرنسا، وسرعان ما كان الموعد بينه وبين الحسن بن عزوز في معركة "سالسو" التي وقعت في *24* مارس *1840* وانتصر فيها ابن قانة وقبيلة الغرابة على الحسن بن عزوز خليفة الأمير عبد القادر، في الزيبان، فتدهورت مكانة ابن عزوز بين القبائل المحلية مما" دفع الأمير عبد القادر إلى استبداله وتعيين فرحات بن سعيد الذي ظل يترَقَّبُ من بعيد، فأطلق سراحه وكلفه بالالتحاق بمنطقة الزيبان، وهكذا فقد أنعم الأمير عبد القادر على بن سعيد بإيالة بسكرة وما إليها بعد أن قارب صبره النفاذ، على شرط أن يلاحق أولاد بن قانة، ولم يكن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] - *Charles- Louis féraud, le **Sahara de constantine**, op.cit , p334*

[2] - ينتمي الحسن بن عزوز إلى أسرة عريقة هي أسرة "بن عزوز" في الزيبان قرب طولقة، كان ينتمي إلى الطريقة الرحمانية وعمل كاتبا لدى فرحات بن سعيد، عينه الأمير عبد القادر خليفة له مكان فرحات بن سعيد اعتقل سنة *1841*، من طرف قوات الإحتلال الفرنسي. انظر مياسي إبراهيم : " خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان" في **مجلة الخلدونية**، بسكرة، ديسمبر *2004*، العدد *03*، ص *70*.

[3] - يحي بوعزيز : " جهود الامير عبد القادر في دعم الجبهة الشرقية "، **المقال السابق** ص *10*.

[4] - أديب حرب، **المرجع السابق**، ص *24*.

[5] - *Charles- Louis féraud , le **Sahara de constantine** , op.cit , p334.*

اطمئنان الأمير عبد القادر لفرحات بن سعيد تاما فاستبقى أفراد عائلته عنده كرهائن، حتى يضمن عدم خـــداعه واستسلامه للفرنسيين"[1].

والتحق فرحات بن سعيد بالزاب وتمكن خلال سنوات 1840 و 1841 من تشديد الخناق على أسرة بن قانة، وأفسد عليهم نظام معيشتهم البدوي القائم على الهجرة والتنقل من المناطق التلية إلى الصحراء بحثاً عن الماء والكلأ، بل وبلغت به الثقة حدَّ الخروج لواحات الزيبان لتحصيل الضرائب، لكن البوازيد كانوا له بالمرصاد حيث نصبوا له كمينا قرب "أولاد جلال" وقتلوه فيه، و لم يكتف قاتلوه بضرب عنقه بل قطعوا أُذُنَيْه واجْتَثُّوا لحيته ونزعوا عنه خاتمه وأخذوا هذه الأشياء جميعا إلى بن قانة[2]، الذي كان على أحرّ من جمر لرؤية غريمه ينتهي هذه النهاية المفزعة[3]، وتَمَكَّنَ بعد ذلك أنصاره من دفنه في مدينة سيدي خالد[4].

ترك فرحات بن سعيد ذكريات كثيرة طيبة عند أنصاره وسكان الزاب الغربي خاصة كفارس شهم وبطل مغوار، وقيل فيه عشرات القصائد الشعبية الملحمية ومما جاء في بعضها :

يا فارس إلي جيت تسيـــــــــر	رد الجواب عني عاود الأخبـــار
عرق الجواد غــــطى الديارر د	الجواب عني يا راعـــي الصبـــار
كيف مات حرمة أهل بن علي	فرحات الدوادي حرمة من جار

---

[1] - ابراهيم مياسي، **المرجع السابق**، ص 109.

[2] - *Ernest Mercier*, ***Histoire de Constantine***, *op.cit , p493.*

[3] - ترى معاشي جميلة في أطروحتها حول الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق التي تحدثنا عنها سابقا، "أن لجوء فرحات بن سعيد إلى الفرنسيين لم يكن إلا طريقة للإنتقام من أعدائه ومنافسيه، و لم يكن الشيخ يهدف من وراء ذلك إلا استرجاع مشيخة العرب وجعلها وراثية في ذريته كما كانت في الماضي" ومن خلال ما توصلنا إلي من نتائج يبدو أن فرحات بن سعيد لم يكن سياسيا بارعا كخصومه فكثيرا من الفرص كانت تتبدى له دون أن يغتنمها بسبب نرجسيته واعتداده بنفسه إلى أبعد الحدود، وقد أدرك الأمير عبد القادر هذه الخصال في الرجل فصرف عنه مشيخة العرب وثبتها في شخص نائبه "الحسن بن عزوز" الذي يمثل حقيقة روح المقاومة ويحمل في نفسه قضية سامية كما عرفنا سابقا، أما القول بأن فرحات بن سعيد لو وجد قوة محلية توصله إلى هدفه لما التجأ إلى الفرنسيين كما تضيف الكاتبة، فهو قول غير صحيح لأن فرحات بن سعيد بدأ اتصالاته بالفرنسيين مبكرا أي بُعَيْدَ سقوط مدينة الجزائر بقليـــل (انظر الصفحة 5 من هذا الفصل)، وفي ذلك الوقت ما تزال كثير من الجهات غير أحمد باي وشيخ العرب بن قانة، تمثل مصدر قوة حقيقية.

[4] - نفس المرجع ، ص 110.

كيف مات راعي الأحمر ... يلغوا به في كل نهار
عدوه منه يفزع يوي ... ينهزم على ظهره بالنهار
كيف مات زين الفرسان ... كيف فرحات من سرجه طار
يوم البارود لا سلاك إلا به ... قتله الطمع بن قانة الغدار
يالخيال باه تسيروا أبكوا ... يا رجال على خلاص الثار[1]

غير أن الخبر الذي أورده "محمد بن عبد القادر الجزائري" في كتابه تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر يذكر خلاف ذلك، حيث يؤكد أن الخليفة البركاني بعدما تمّ له الأمر بالزيبان أقفل راجعا إلى المدية ظافرا " فأنعم الأمير عبد القادر على فرحات بن سعيد بإعادته خليفةً له على بسكرة وما إليها فاستلم زمام الأمور وترتَّبت الحاميات والمسلحات في الثُّغور والتُّخوم وأَمنَت السُّبُلُ، حتى أنَّ المرأةَ كانت تسير من أول المملكة إلى آخرها لا تسأل من أين وإلى أَينَ" ؟ [2]

وحاول خليفة الأمير عبد القادر أن يغتنم هذا الظرف فراسل باي تونس حمودة باي يدعوه إلى ربط علاقات مع الأمير لكن دون جدوى، وفي *1841* عزل الأمير عبد القادر الحسن بن عزوز بعدما انهزم أمام بن قانة وعين مكانه أحمد بلحاج محمد الصغير بن عبد الرحمن[3].

لقد كان ظهور الأمير عبد القادر على مستوى الجهة الشرقية بعد *1840* في مرحلة اتَّسَمَت بتَحَوُّلِ موقف بن قانة من مناصر للمقاومة الشعبية ممثلة في شخصية أحمد باي إلى موال للإدارة الفرنسية، و لم يستطع الأمير أن يَبْسِطَ نفوذه على الزيبان في وقت كان فيه أحمد باي يتمتع بنفوذ أكبر من غيره من الخصوم، ومهما يزعم بن قانة بأن أسرته تملك قبولا شعبيا في منطقة الزاب وبسكرة بوجه التحديد، فإن مزاعمه فَنَّدَتْهَا المقاومة الشعبية الكبيرة للإحتلال الفرنسي، الذي كان بن قانة يبشر به وسط الأهالي ويدعو له، بل لقد فضَّل الأهالي الالتفاف حول خليفة الأمير عبد القادر وتأييده ومناصرته ضد أعدائه.

---

[1] - *Charles- Louis féraud , le Sahara de constantine , op.cit , p332.*

[2] - محمد بن عبد القادر، **المرجع السابق**، ص *300*.

[3] - يحي بوعزيز : " جهود الأمير عبد القادر في دعم الجبهة الشرقية"، **المقال السابق**، ص *14*.

واستمات بن قانة في حرب الأمير عبد القادر استماتة كبيرة، و لعب دورا فعالا في تقليص تأثيره خاصة في منطقة الزاب، واعتبر شارل أندري جوليان أن بن قانة شيخ العرب ببسكرة كان أبعد نظر وأذكى في علاقته مع فرنسا، فقد قاد حربا عنيفة لحسابه الخاص ضد خليفة الأمير عبد القادر وبأسلحة ودعم الحاكم العام، وبعد إحدى المعارك التي انتصر فيها قطع 500 خمسمائة أذن يمنى لجند الأمير عبد القادر القتلى، وأرسلها كعربون ولاء واعتراف للجنرال "قالبوا" *Galbois*، فتلقّى في مقابلها 25000 فرنك ذهبي ومجموعة قيمة من الهدايا، وحزام الشّرف للضّباط *Commandeur de la légion d'honneur*[1].

لقد كانت الحرب التي قادها بن قانة ضد أنصار المقاومة بصورة عامة شرسة ودموية وصفها بدقة الحاج محمد الصغير الخليفة الأخير للأمير عبد القادر على منطقة الزاب حينما كان في تونس عبر رسالة إلى مصطفى صاحب الطابع فقال في فقرة منها : " إنّ عدوَّ الله الفرنسيس كَلّفَ خديمه المتُولّي أمر العرب والزّيبان بمقاتلتنا عدوَّ الله ابن قانة فوقعت بيننا وبينهم معارك نحو الخمسة عشرة معركة وفي هذه السَّنة أقبل إلينا ولد الراي وهاجر الناس البلاد "[2].

وكانت معركة سالسو تمثل الضَّربة القاضية للأمير عبد القادر في منطقة الزاب حيث هُزِمَ فيها خليفته بن عزور أمام قوات شيخ العرب بن قانة، ووصف "أرنيست مارسييه" المعركة بأنها خلدت بطولة بن قانة في سجلات الحملة الفرنسية[3].

خامسا / ولاء بن قانة لفرنسا.

1 - بداية النفور بين بن قانة وأحمد باي.

يقول بوعزيز بن قانة أغا الزيبان في كتابه السابق ذكره أن أحمد باي هو من فتح على نفسه جبهة المعارضة لشيخ العرب، حينما حرمه من لقب باي قسنطينة- وقد تم الإشارة إلى هذه المسألة في بداية هذا الفصل- الذي كان يرغب كثيرا في أن يتولاّه،

---

[1] - *Charles - Andre Julien, Op.cit,p 279.*

[2] - احميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق بتونس، المرجع السابق، ص 50.

[3] - *Ernest Mercier , **Histoire de Constantine** , Op.cit ,p488.*

واتصل لتوه بالباي أحمد وأعلن عن معارضته للترتيبات الجديدة التي تحرمه من هذا اللقب الذي هو أجدر به من غيره، وذكّره بما كان له من أياد بيضاء وما لعبه في تثبيت ملكه وأنه أنقذه من المكيدة التي دبّرها له بعض سكان قسنطينة، لما ثاروا على الحامية التركية وأخرجوها من المدينة وأعلنوا عصيانهم له، لكن بن قانة اتصل بشيوخ المدينة وأقنعهم بأن أحمد باي ليس تركيًّا بل هو عربيٌّ، وأمُّهُ من بن قانة، وحينئذ فتحت له أبواب المدينة[1]، التي لولاه ما فتحت.

وقد أكد صالح العنتري على عنصر الغيرة التي انتابت شيخ العرب بعدما صار علي بن عيسى في مكانة الباي حيث ألبس القفطان وعزفت له موسيقى التشريفات وعمل بعض الموظفين وأصدقاء شيخ العرب على تأجيج نار الغيرة في نفسه[2].

لكن أحمد باي " الباشا " – على حد تعبير محمد بلحاج بن قانة– تمسك بقراره رغم كل شيء وحطّم قلب بن قانة، الذي تألم كثيرا لذلك، فارتحل إلى الصحراء في خريف سنة *1832* يحمل في صدره كثيرا من الحزن والألم والحسرة[3] يَشُوبُهَا ربما كثير من الرغبات الجامحة في الانتقام.

وبمجرد أن ابتعد عن مدينة قسنطينة حتى بلغه نبأ مقتل أحد أصدقائه الذي كان يشتغل في منصب "أغا الخيل"، ويدعى "علي بن بشير" من طرف أحمد باي وبتدبير من خليفته علي بن عيسى فغضب بن قانة محمد بلحاج وصاح غاضبا :

" *انتهى الأمر بيني وبين الباشا* " وصحَّحَ ما كان يقوله في يوم من الأيام عندما يقدمه على أساس أنه عربي ، فقال " *إنه تركي وابن تركي إنه يفتقر للدم العربيِّ* ".

ولما وصلت هذه العبارات لأحمد باي، لم يأبه بها لكنها أثّرت فيه، وكان يبحث في قرارة نفسه عن وسيلة للإنتقام لشرفه الذي بدأ محمد بلحاج بن قانة يمرغه في التراب، لكن قوة شيخ العرب آنذاك كانت تمنعه من تنفيذ وعيده[4].

ويواصل بوعزيز بن قانة أغا الزيبان سرد حوادث شيخ العرب مع ابن أخته أحمد باي مع العلم أنه اعتمد بصورة بارزة على القبطان سيروكا فيقول أنه بحلول ربيع سنة

---

1 – *Seroka , J-A , Op.cit, p 379.*

2 – صالح العنتري، **المرجع السابق**، ص *121* .

3– *BenGana. B, Op.cit , p 49.*

4 – ***Ibid**, p 50 .*

1833 عاود محمد بلحاج بن قانة الرجوع إلى الشمال فأرسل له (الباشا) أحمد باي رسالة معبرة وعاطفية لكن شيخ العرب أجاب في عزة نفس :

" لا يوجد بيننا أي شيء .... علي بن عيسى هو بايك مادُمْتَ وضعته في مكاني تَوَجَّهْ إليه أمَّا أنا فلن اتبعك أبدا "

وكان أحمد باي في هذه الأثناء في رحلة تفقدية في منطقة مجانة، اغتنمها في البحث عن قائد جديد للجنوب ليعوِّضَ به محمد بلحاج بن قانة شيخ العرب العاصي، وحاول الإتصال بفرحات بن سعيد، لكنَّ هذا الأخير لم يجبه لعلمه وإدراكه لحقيقة أحمد باي، لكنَّ أخاه "الحاج باي بن سعيد" أعجبه العرض، فقرَّرَ أن يغتَنِمَهُ، واتجه في حينه إلى أحمد باي في فرقة عسكرية تضم خمس غمرات و 200 جندي من أولاد سحنون.

لكن المصيبة التي حلت بالحاج باي بن سعيد أن أحمد باي كان منذ مدة يتوعَّدُ أولاد سحنون بأشد العقوبة إن هو ظفر بهم، بسبب خذلانهم له أثناء حصاره لواحة الزعاطشة، ولما وصل الوفد إلى أحمد باي ورأى أن فرحات بن سعيد لم يستجب لعرضه استشاط غضبا وقتل الخمس غمرات وأسر المئتي جندي من أولاد سحنون على رأسهم الحاج باي بن سعيد[1].

ومن مجانة توجه أحمد باي نحو المسيلة ومن هناك كتب لشيخ العرب محمد بلحاج بن قانة مرة ثانية ، يخبره بما فعل بغريمه بن سعيد حينما أسر أخاه، وكانت هذه المراسلة بهدف رأب الصدع الذي دَبَّ بينهما، وإذابة الجفوة وتهوين الوحشة التي طفقت بين أحمد باي وبن قانة، لكنَّ هذا الأخير رغم أنه قاوم الوعود "الكاذبة" التي كان الباي يظهرها له استسلم له في النهاية ولحق به إلى المسيلة[2].

وحضر أحمد باي بنفسه لاستقباله في صورة رسمية، موسيقى وجوق عسكري، كل ذلك لإزالة الشكوك والظنون التي استقرت في نفس بن قانة، وفي جلسة الإستقبال كان أحمد باي قد دبر عملية اغتيال بن قانة بتواطؤ مع "قائد السبسي" المدعو المتوّسي، والمكلف بإعداد غليونة ضيوف الباي، وما كاد شيخ العرب ينتهي من تدخينها حتى أمره أحمد باي بالاستعداد لحملة مفاجئة ضد أولاد ماضي، قرب بوسعادة وكان اليوم شديد الحرارة، وعند العودة بدأت ملامح التعب الشديد تبدو على شيخ العرب، حيث بدأ

---

1 - *BenGana. B, Op. cit p51*

2- *Ibid , p 52*

مفعول السم الذي زرعه المتوسي في الغليونة يفعل فعله، لكنَّ أحمد باي اعتبر هذا الوهن الذي أصاب شيخ العرب مجرد ضربة شمس لا غير، ستزول بعد أخذ قسط من الراحة[1].

لكن حالة بن قانة ازدادت سوء فانتفخت شفاهه وتورمت وتقيحت فأرسل له أحمد باي حلاقه الخاص بذريعة معالجة هذه التورمات، لكنه في حقيقة الأمر كان بهدف الإجهاز عليه لأن الموسى الذي عالج به ذقن بن قانة كان مسموما وسرعان ما ساءت حالته ومات على إثرها[2].

ونقل جثمان بن قانة إلى قسنطينة حيث دفن في مربع العائلة في مقبرة كدية عاتي(المقبرة المركزية حاليا).

ويضيف صاحب الرواية أن لا أحد استطاع أن يثبت تواطؤ أحمد باي في مقتل شيخ العرب بن قانة حتى أسرته استسلمت للأمر واعتبرته قضاء وقدرا.

وحتى يبعد من حوله الظنون واشكوك ، أبدى أحمد باي حزنا عميقا وتعاطفا مع العائلة، وعلى التَّوِّ قام بتعيين الأخ الأصغر لمحمد بلحاج المتوفي في منصب شيخ العرب والمدعو " بوعزيز بن بولخراص بن قانة" وهذا بناءً على تقاليد العائلة.

وكان بوعزيز بن بولخراص وفق صاحب الرواية، ضعيف الشخصية ديبلوماسيا أكثر منه محاربا، لذلك فإن قيادة العائلة كان يديرها من بعيد أخوه مُحَمَّد بوعزيزبن قانة[3].

2- أسباب ودوافع الولاء لفرنسا .

إذا استندنا إلى الرواية التي ذكرها بوعزيز بن قانة سابقا فإنها تبدو كافية لتقطع علائق المودة والولاء بين بيت بن قانة وأحمد باي ، فما الذي دعا أسرة بن قانة إذا إلى مواصلة مصاحبة أحمد باي بعدما تبين - وفق روايتهم- غدره وبرزت شروره ونقمته

---

[1] - *Ibid, p 52*

[2] - هذه الرواية نقلها بن قانة بوعزيز من كتاب تاريخ بسكرة للكولونيل سيروكا، ومن خلال سياقها نلاحظ أن سيروكا كان واضح الهدف في تحليله لأسباب الصراع بين بن قانة وأحمد باي وقد رجح سيروكا فرضية قيام أحمد باي بمؤامرة اغتيال شيخ العرب لعوامل نفسية نتيجة كرهه وبغضه له واستبداده بالسلطة .

[3] - *B.BenGana , Op.cit , p 52 .*

على الأسرة ؟ لماذا لم تحاول الأسرة بعد *1832* البحث عن طرف جديد تعتمد عليه في الإبقاء على مكانتها السياسية والاجتماعية عوض اتباع أحمد باي الذي بدأ يتنكر لها ويدفع بها إلى التهميش والزوال ؟

ومن خلال استقراء الأحداث الواقعة ببايلك الشرق في الفترة ما بين *1832* و *1837* نجد أن الأسرة لم تكن قد اختارت بعد الجهة التي ستنتهي إليها وتستقر بها وذلك لعدة عوامل منها :

1- قوة أحمد باي وتمكنه من فرض طاعته مجددا على البايلك بعد محاولات الإنقلاب التي عايشها على إثر عودته من معركة الدفاع عن الجزائر *1830*، وسقوط عنابة بيد قوات الاحتلال الفرنسية رغم ما كانت تمثل بالنسبة إليه من أهمية .

2- فشل السياسة الفرنسية في الاستحواذ على بايلك الشرق بطرق سلمية، عن طريق استمالة القبائل المناوئة لحكام بايلك الشرق، وقد نشط في هذا الشأن يوسف المملوك كثيرا.

3- اضطراب موقف فرحات بن سعيد آخر شيوخ العرب من الذواودة، بعدما هزمه أحمد باي وأخرجه من بسكرة جعلته مضطرب الأوصال لا يدري له وجهة فتارة يتجوه نحو الأمير عبد القادر وتارة أخرى نحو فرنسا، وهذا كلُّهُ يصُبُّ في رصيد أحمد باي .

وكان بن قانة يحس أنه من الشيوخ المعدودين الذين ستعتمد عليهم الإدارة الفرنسية وتهيؤهم لخدمة سياستها التوسعية في الصحراء[1]، ومن أجل ذلك ربما سلكت فرنسا سياسة الاحتفاظ بنفس الأجهزة الإدارية التي كانت في العهد العثماني مثل الخليفة، الشيخ، القايد، الأغا[2]،إلخ.. حتى لا يُحِسَّ الأهالي بتغيرٍ جذري في نظام الحكم الذي يسيطر عليهم، واعتمدت في مقابل ذلك سياسة التدرج والمرحلية في التعامل مع مختلف المقاطعات المحلية[3] ولذلك فإن كثيرا من شيوخ العهد العثماني بقوا في مناصبهم مادامو لا يشكلون خطرا عليها.

---

1 - عميراوي حميدة وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية *1844 / 1916***، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، *2004*، ص *34* .

2 - محمد السعيد قاصري : " السياسة الإدارية الإستعمارية في الصحراء الجزائرية "، في **مجلة الدراسات الأدبية والانسانية**، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية ، العدد*01* ، قسنطينة ، *2004* ص *44* .

3 - سعاد بو لحويدة، **قسنطينة في الفترة الانتقالية، دراسة وتحقيق لسجلات المحكمة المالية *1830 / 1845***، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، *2003*، ص *40*.

والمؤكد أن أسرة بن قانة لم تكن غائبة عن هذه المعطيات والتَّغيُّرات التي كانت تطرؤ على الساحة السياسية منذ البدايات للإحتلال وأدوار التشكل لموازين القوى، ففي فيفري *1831* قامت سلطات الإحتلال بإنشاء أول منصب عربي ليسد هُوَّةً كبيرةً، بين قوات الاحتلال والأهالي العرب، هو منصب " أغا العرب " ومُنِحَ هذا المنصب الحساس لسيدي الحاج محي الدين والذي بقي فيه حتى *1833*[1]، غير أن ضعف أداء هذا الرجل، وانتهازية اليهود الذين اُسْتُعْمِلُوا في الوساطة مع الأهالي وجَشَعِهِمْ وكذلك صعوبة اتصال الفرنسيين بالأهالي بحكم اللغة، كل ذلك كان سببا ودافعا لإنشاء مؤسسة جديدة أطلق عليها اسم "**المكاتب العربية**" .

ولقد ظل الفرنسيون يبحثون مدة من الزمن عن رجال ذوي كفاءة، يتخذونهم بين الشعوب أعوانا ووسائط، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ "روسي" *Rousset* " كان من الصعوبة بمكان اختيار من يليق بين الأعيان الكبار لأن الأمير عبد القادر كان أدرى الناس بأقدار الرجال فاختار من بينهم النخبة ولم يترك لنا سوى الأوباش"[2].

ويؤكد الكاتب مصطفى الأشرف أنه من الواجب علينا أن نقر حقيقة وقعت في هذه الفترة، لقد اختار الجزائريون صفهم ووجهتهم التي يؤمنون بها، تلقائيا في أغلب الأحيان، فالوطنيون ينضمون إلى أحد الصفين، أحمد باي أو الأمير عبد القادر، أما الجبناء والخونة فقد انضموا إلى الصف الآخر "فرنسا"[3].

وكان المتعاونون مع الإستعمار يصفهم ضباط جيش الإحتلال بأحقر الأوصاف وأقبحها، فقد وصفهم الكولونيل مان *Mann* بعد إحدى المعارك بـــ" حلفائنا الحقيرين " وأنهم كانوا يحسون بتأنيب الضمير لما تعاونوا معنا "[4].

تلكم هي الظروف النفسية والحالة الإجتماعية التي تغيرت فيها ولاءات كثير من الأسر الإقطاعية في الجزائر التي عملت على تسيير شؤون المقاطعات والمناطق نيابة عن فرنسا بقوة وكلفتها بجمع الضرائب وأعفيت منها، ومن كثير من الالتزامات العسكرية والمالية[5].

---

1 - *Rene Perponnet* , ***livre d'or des officiers des affaires indigénes 1830/1930*** *T1 , Imprimerie Algérienne , 1930 , p 25 .*

2 - مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص *232* .

3 - المرجع نفسه، ص *92* .

4 - نفسه، ص *92* .

5 - *Ernest Mercier* , ***Histoire de Constantine*** , *Op.cit ,p434*

أما أسرة بن قانة كما ذكرنا آنفا فإنها لم تنته إلى قرار في هذه الفترة، لكنَّ سقوط قسنطينة وضعها أمام المحك ودفعها إلى التفكير الجدي في البحث عن حليف جديد، ورغم أن أحمد باي انسحب كما أشرنا إليه سابقا إلى الجنوب نزولا عند رغبة بن قانة إلا أن ذلك لم يكن كافيا ليثبت شيخ العرب في المقاومة ويستمر في مساندة ابن أخته، والراجح أن الهدف الذي رسمه شيخ العرب من خلال النزول إلى الجنوب بالإضافة إلى تأمين أملاكه، ومناوشة فرحات بن سعيد كان أيضا العمل على إبعاد أحمد باي عن أجواء المقاومة والحروب والمعارك، وتهيئة الأجواء لدفعه للإستسلام للفرنسيين، وهكذا يجد شيخ العرب المُسَوِّغَ المناسبَ ويرفع الحرج عن نفسه.

ولما قرر أحمد باي الإستمرار في المقاومة بعد الشروط المخزية التي فرضتها عليه فرنسا حين كان ينوي وضع السلاح، شرع شيخ العرب في تجسيد رغبته في الولاء للسلطة الفرنسية قبل أن يسبقه فرحات بن سعيد إلى ذلك ويسحب البساط من تحت أقدامه، ويبدو أن حوادث تونس التي أعقبت انهزام أحمد باي في بسكرة وانسحابه منها كانت تصب في هذه المعاني، حتى يبدو بن قانة حينما يستسلم للفرنسيين في صورة الطرف الفاعل الذي سيعمل في الوساطة بين أحمد باي وسلطات الاحتلال، فيحفظ ماء وجهه، والحقيقة أن بن قانة أراد أن يتخلَّصَ نهائيا من أعباء ومشاكل أحمد باي[1]، التي زادت وتضاعفت بفعل كثرة الجبهات القتالية التي حاصرته من مختلف الجهات.

أما بالنسبة لسلطة الإحتلال فقد قامت في بدايات سنة *1839* بترسيم الإطار الأساسي الذي يستوعب الأسر الإقطاعية القوية في البايلك، واقتراحها إيَّاها للمشاركة في تسيير شؤون القرى والأرياف، التي لا تزال تشكل عمقا تتغذى منه المقاومات الشعبية، وقد تم تعيين بوعزيز بن بولخراص بن قانة في منصب " شيخ العرب "، ومَنَحَ هذا الاستحقاق لصاحبه سلطةً كبيرةً على قبائل البايلك الخاضعة للاحتلال الفرنسي، حيث يتطلب تسيير شؤونها رجلا مارس هذه المسؤولية من قبل على هذه القبائل[2]، هذه المسؤولية التي كان بوعزيز بن قانة يستحقها، وفق ما كانت تراه سلطة الإحتلال، لما لعبته أسرته من قبل خلال العهد التركي، وما لها من علاقات لا تزال محافظة عليها.

---

1 يحي بوعزيز : " معارك الحاج احمد باي "، **المقال السابق**، ص ص *123 - 143* .

2 – *Ministère de la guerre ;* ***Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie****, 1839, imprimerie royale, paris 1840, p 2 .*

ورغم خدمته تحت سلطة أحمد باي، لم تَرَ سلطة الاحتلال فيه أيَّ مانعٍ ليشغل هذا المنصب، وبعد دراسة وتمحيص، كان رد الحاكم العام الماريشال كونت فالي عليه : "*لقد تَلَقَّيْتُ بسرور كبير طلبكم الذي قدمتموه للجنرال قالبوا من أجل خدمة الحكومة الفرنسية، إنني مع علمي بقدركم العالي أسأل الله العلي أن تخدموا الملك بوفاء وحرارة وولاء تام* "[1] .

وانتقل بوعزيز بن بولخراص بن قانة إلى قسنطينة واسْتُقْبِلَ من طرف الحاكم العسكري للمدينة، وبعد ما أدى اليمين بين يدي علماء قسنطينة، مقسما على وفائه لملك الفرنسيين وطاعة الحاكم العام للمقاطعة منح رسمياً لقب شيخ العرب[2].

ويعد دخول بن قانة بيت الطاعة الفرنسي حدثا مهمّا بالنسبة لسلطة الاحتلال فبمجرد خضوعه بعث الجنرال الفرنسي قالبوا برقية الى الحاكم العام بتاريخ *1838/12/29* يخبره فيها بهذا النصر الكبير جاء فيها : "*إن شيخ العرب السابق بوعزيز بن قانة قد هرب وقرر الوقوف بين أيدينا وطاعتنا وإنّ هذا القدوم يعدّ حدثا عظيما لأن الرجل يمثل شخصية كبيرة جاء معه من أعيان البلد ما يزيد عن ثلاثين قائد وأكدوا لي جميعهم خضوعهم وولاءهم، وقد طلب مني بوعزيز بن بولخراص بن قانة قبل دخول المدينة أن أستقبله استقبالا رسميا يليق بمنصبه كشيخ للعرب لكني اعتذرت له عن ذلك لأن سلطة بلادي لا تزال لا تعترف به حتى يتم تعيينه بقرار رسميٍّ وبعدما يؤدي اليمين*"[3].

وهكذا فقد تمّ دَقُّ أولَ مسمار في نعش المقاومة التي كان يقودها في هذه الأثناء أحمد باي، باستسلام ابن قانة ، الذي خان قضيته الوطنية ووضع نفسه ومن معه في خدمة الاستعمار والاحتلال، واغتبط الفرنسيون[4]، بهذا الخبر وخُيِّلَ لهم أن احتلال الجنوب والصحراء صار قاب قوسين أو أدنى، وسارع الحاكم العام الماريشال فالي في إصدار قرار التولية في *14* جانفي *1839* هذا نصه :

---

1 - *BenGana .B, **Op.cit** , p 52 .*

2 - *Ministère de la guerre , **Op.cit**. p 2 .*

3 - *Charles Louis feraud , **le Sahara de Constantine** , Op.cit. p. 236*

4 - مناسي إبراهيم : " احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان "، في **حوليات جامعة الجزائر**، ج1، العدد 9، الجزائر ، 1995، ص 106 .

قـــــرار

نحن ماريشال فرنسا والحاكم العام للمتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا

بناء على قرارنا السابق بتاريخ *30* سبتمبر *1838* الذي يتعلق بتنظيم مقاطعة قسنطينة الذي لا تزال سلطتنا الإدارية لا تمارس فيه بصورة مباشرة قررنا ونقرر ما يلي "

المادة الأولى :

يعين السيد **بوعزيز بن قانة** شيخا للعرب في مكان **فرحات بن سعيد** .

المادة الثانية :

يحكم السيد **بوعزيز بن قانة** بناء على المادة السابقة الذكر المدن والقبائل التالية :

بسكرة المدينة وقراها ، فلياشة ، شتمة ، **سيدي عقبة** ، **أوماش** ، **بوشقرون** ، ليشانة، زعاطشة ، **فرفار** ، البرج ، ليوة ، الصحيرة ، المقادمة ، **أورلال** ، **مليلي** ، **بيقو** ، قرطة ، القنطرة ، وغيرها من قبائل الزاب .

يعين سي **مْحمد بوعزيز بن بولخراص** شقيق شيخ العرب قائدا على قبائل أولاد عبد النور في مكان **بن زكري** الذي أوقف مع صديقه **فرحات بن سعيد** في تاكدامت [1]."

كان هذا قرار التولية الذي هلل له **بن قانة** كثيرا وسارع من جهته أيضا بإرسال برقية عاجلة للماريشال فالي في *27* جانفي *1839* عبر له فيها عن سعادته ووفائه الدائم للحاكم العام الذي راسل **بن قانة** مرة أخرى مفصلا له بعض القضايا التي تتعلق بالتولية في منصب شيخ العرب وما يستلزمه هذا المنصب من تضحيات جسيمة ونشاط دؤوب ودهاء وذكاء ، وجاء فيها مايلي :

الحمد لله وحده

*كل شيء يعتمد على الله ، خادمه الماريشال **كونت فالي** سلطان الجزائر سنة 1253 (1837-1838)*

*من صاحب الجلالة **الماريشال كونت دو فالي** إلى السيد المحجد ذو الفخر السيد **بوعزيز بن قانة** شيخ العرب أيده الله ونصره وشمله برحمته :*

1.- *BenGana. B,* ***Op.cit*** *, p65.*

أخبرك وأنا في أعالي الهضاب بأن رسالتك وصلتني وقد قرأتها وفهمت جيدا فحواها، وأنتم تعلمون بدون شك أن حكومتنا ترغب في أن يكون تسيير أهالي إفريقية من طرف شخصيات من هذا البلد وفق قواعد شريعة الرسول - ص - كما نرغب أيضا في أن العائلات الكبيرة تبقى دائما محافظة على وضعيتها السابقة، وأن الوظائف الهامة تخصص لها، وبما أن أسرة بن قانة كانت من أهم الأسر فإنا حكومتنا ترغب في أن تحافظ على مكانتها تماما، وقد كلفتُ الجنرال "قالبوا" أن يعيد منحك قفطان التولية والرموز الأخرى لمنصب **شيخ العرب**، *ومن جهة أخرى فقد أعلمت سكان الجهة بأنني قد وضعت بين يديك إدارة بلاد الجريد ووادي ريغ والزيبان.*

وسيتكفل الجنرال السابق ذكره بإعادة أغراضك إليك، وعليه أن يتفق معك حول الفرقة العسكرية التي يجب أن تنظمها، ولتعلم أيضا أن قوتنا العسكرية الرئيسية ما إن تتحسن الظروف الجوية، فإنهاستوغل أكثر في الجنوب وعليك مساعدتها دائما بذكائك وولائك وراسلني دائما لأزودك بما تحتاجه، هذا كل شيء مع التحية" [1].

كتب بقصر الحكومة في الجزائر ذو القعدة *1254* الموافق ل *14* فيفري *1839*

كتب بأمر من **الحاكم العام** .

، ومنذ ذلك التاريخ وبصفة ثابتة حافظ بن قانة على ولائهم ووفائهم للحكومة الفرنسية وفي أحلك الظروف .

والملاحظ من خلال هذا التحول أن أسرة بن قانة لم يكن يهمها سوى المحافظة على مستواها ومكانتها السياسية ومظهرها الأرستقراطي وألقابها، وكانت تهزها صفات المدح والإطراء التي كانت تنهال عليها من كل جانب، خاصة حينما تجيئها من جانب حكومة الإحتلال، وفي هذا الصدد يورد أغا الزيبان بوعزيز بن قانة، فقرات من الإطراء والإعجاب التي سجلها الأمير **فيليب دورليون** نجل **نابوليون** الثالث، عندما قام بزيارة للجزائر، سنة *1839* ونزل بمدينة سكيكدة في جولة استكشافية لهذه الأرض الجديدة، التي سيطر عليها الفرنسيون وضموها إلى مستعمراتهم ، نقتطف منها ما يلي :

---

[1].- *BenGana. B,* ***Op.cit*** *, pp 64-66-67* .

" *عندما وطئت أقدامي الأرض عند الآثار الرومانية استقبلني* **الجنرال فالبوا** *وأكابر القادة في ناحية* **قسنطينة** *- أعجبتني- تلك الألبسة التي يرتدونها المشكلة من الحايك وأقمصة القطيفة المطرزة بالذهب والفضة، وأسلحتهم الرائعة وبرانيسهم المزركشة بالألوان وخيولهم مستقبلة الضيف القادم، مغطاة بقطع مطرزة بالذهب الخالص، والحراس والخدم يلبسون قنادير طويلة وكانت أقدام الخيل مزينة بلون الحناء .*

لقد أظهرلي الأربعة شيوخ الذين يحكمون الجهة عظيم السرور والابتهاج والاحتفال بمقدمي، منهم علي بن عيسى قائد الساحل الذي دافع عن قسنطينة في السابق مرتين، وبن حملاوي قايد فرجيوة، والقايد علي قائد الحراكتة، وبوعزيز بن قانة حاكم الصحراء – ويبدو أن الشيخ مقراني كان غائبا عن هذا التَّجَمْهُر- وكان هؤلاء القادة جدٌّ متأثرين بزيارة نجل ملك فرنسا لهم، ولقد كان لبوعزيز بن قانة حاكم الصحراء خاصة، موكبًا رائعًا، ذلك الشيخ الذي حكمت أسرته منطقة الجريد منذ ست مائة سنة، وجلب لي بهذه المناسبة ثمانية عشر(18) شيخَ قبيلةٍ تسكن الصَّحراء، قدَّمُوا فروض الطاعة والولاء لفرنسا "[1].

ويضيف بوعزيز بن قانة أن مدينة قسنطينة استقبلت في ما بعد الأمير الفرنسي "دوق دورليان" *le Duc d'Orléans* فاصطفَّ بن عيسى وشيخ العرب وخلفهما عشرون ألف (*20000*) فارس لتَحيَّته[2].

وفي *13* أوكتوبر *1839* وفي حفل بهيج حضره جميع قادة الجيش، منح القائدان نياشين رتبة الشرف باسم ملك فرنسا لويس فيليب، وكان حدثا عظيما أحس الأهالي من خلاله بالطمأنينة بعد انتهاء الصراعات الشخصية، وكأنه إحساس جديد ببركات الوطن الأم "فرنسا"[3].

وقضى بوعزيز بن قانة شتاء *1839* في منطقة "أم الصنب" بباتنة، وكان يرغب في طرد الحسن بن عزوز خليفة الأمير عبد القادر من الزيبان، ولهذا الغرض طلب مساعدة من الحكومة الفرنسية، لكنَّ الجوابَ لم يكن بأفضل من الذي تلقاه منافسه فرحات بن سعيد من قبل، حيث طُلِبَ منه ألاَّ يُعَوِّلَ إلاَّ على إمكانيته الخاصة، لكنَّ بوعزيز كان

---

[1] .- *BenGana .B,* ***Op.cit*** *, p67.*
[2] - ***Ibid*** *, p68.*
[3] - ***Ibid*** *, p68.*

أوفى لفرنسا من بن سعيد، وظل ينتظر حتى سنة *1944*، متنقلا كعادة البدو الرحل بين واحات الزيبان في الجنوب والمناطق التليَّة الرطبة بالشمال[1].

إن نموذج أسرة بن قانة الذي يمثل الطبقة الأرستقراطية المتلهفة لخدمة سلطة الإحتلال، لَيَدْعُونَا للتَّساؤل أحيانا حول صحة ادعائها النسب الشريف، ومكانتها التاريخية المكتسبة أواخر العهد التركي، ألا تبدو هذه المكانة التي نالتها الأسرة تتناقض مع ولائها لسلطة الاحتلال وارتمائها بين أحضانها ؟

وأعتقد أنَّ استكمال رسم صورة واضحة لهذه الأسرة التي تمثل محور الإشكالية، قد يدفعنا إلى اعتماد أسلوب المقارنة بينها وبين نموذج آخر، يمثل أسرة أرستقراطية من نفس الجهة، لكنَّ شيوخها فضلوا الإعراض عن خدمة سلطة الإحتلال، ورفض مقترحاتها وإغراءاتها المتعددة، إنها أسرة "بوعكاز" شيوخ فرجيوة.

وفي هذا المضمار فقد أكدت التقارير العسكرية الفرنسية أن ضباط المكاتب العربية كانوا لا يخشون ولا يحذرون من جهة شيخ العرب ابن قانة أو من جهة المقراني، بقدر ما كانوا يخشون ويحذرون شيخ فرجيوة بوعكاز، الذي كانت تعتبره حليفا لفرنسا أكثر مما تعتبره خادما لها أو خاضعا كما كانت تنظر لبن قانة، وما رفضه المجيء إلى قسنطينة ليكشف ولائه ويعرض خدمته، سوى دليلاً على قوة عقله وجديته، حتى وصفته المكاتب العربية بالرَّجل المحافظ بشدة، على تعاليم الدين الإسلامي[2].

وظلت سلطة الاحتلال بمقاطعة قسنطينة تراود بوعكاز وتغازله ليَقْدُمَ إلى قسنطينة في زيارة مجاملة وولاء دون جدوى، فالرجل كان بعيد النظر عَمِلَ طول الوقت على توطيد علاقاته بقبائله وشيوخها، قَصْدَ تفويت الفرصة على العدو، خاصة مع بداية *1846*، حيث كان بَصَرُهُ دوما مُتَّجهًا نحو بَطَلَيْ المقاومة الجزائرية، الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وفي انتظار ما سيسفر عنه جهادهما ضد المحتل، ولما انتهى إلى علمه خبر استسلام أحمد باي أصيب بخيبة أمل كبيرة لم يستطع أن يقف بعدها[3].

---

1 - *BenGana .B, Op.cit, p69.*

2 - فركوس صالح، **احتلال ومقاومة المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة، *1844 – 1871***، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، ج 2، جامعة منتوري، قسنطينة، *2001*، ص ص *267 - 268* .

3 - **المرجع نفسه**، ص *271*.

ولم تُثْمِرْ جهود سلطة الاحتلال في دفع بوعكاز لزيارة مدينة قسنطينة إلا في 02 أكتوبر 1850، بفضل دهاء مدير الشؤون العربية آنذاك "دي نوفو"، الذي قَدَّمَ ابْنَهُ "لامين" البالغ من العمر مابين 08 إلى 10 سنوات، كرهينة لدى زمالة الشيخ بوعكاز، مدة إقامة هذا الأخير بقسنطينة[1].

ومن خلال ما تقدم يتضح بجلاء قوة شخصية بوعكاز ورفضه الرضوخ لسلطة الاحتلال ولامتيازاتها، التي كانت تمنحها للمُوَالينَ لها، والمعاونين لها في تنفيذ سياستها الاستيطانية للقضاء على جيوب المقاومة التي ظلت تَتَفَجَّرُ هنا وهناك.

وفي هذا الشأن يقول لوي رين : " لم تكن فرنسا في حاجة لا إلى رجال الإدارة ولا إلى موظفين، بل كُنَّا في حاجة إلى حلفاء من ذوي الجاه والسلطان، أي إلى قوم يمكن لما لهم من شخصية وحسب ونسب، أن يكونوا خير رسل لنا لدى الأهالي، الذين استطاع الأمير عبد القادر أن يؤثر فيهم باسم الإسلام، وقد يكون من السَّخَف بمكان أن نتوقع من هؤلاء الحلفاء الذين لم نكن نحلم بهم، إذا عرضوا علينا فتح مناطق لَم نكن نَعْرِفُهَا ولم تطأها أقدامُنَا من قبل[2]".

سادسا/ بن قانة وخدمة السياسة الاستعمارية في الجزائر.

استمرت أسرة بن قانة في ولائها الشديد لسلطة الإحتلال رغم سياسة الإبادة التي تعرضت لها الجزائر في الفترة الممتدة من 1840 إلى 1850، وكانت مواقفها في موالاة أعداء المقاومة الشعبية، غير قابلة للنقاش والمساومة.

وفي عرضنا هذا سنشير إلى بعض المساهمات التي قدمتها الأسرة، حتى تتشكل عند القارئ صورة مكتملة لما لعبته الأسرة من أدوار أساسية بعد تحولها من خدمة السلطة التركية قبل 1837 إلى التحالف مع سلطة الاحتلال فيما بعد، فقد شارك "محمد الصغير بلحاج" قائد عرب الغرابة، و"علي بلقيدوم" قائد عرب الشراقة، في القضاء على ثورة أولاد نايل، بأمر من الكولونيل سيروكا سنة 1864، وبعد مرور سنة من ذلك، ساهما في إخماد ثورة الشعانبة في نفوسة، وغنموا 250 خيمة و 1500 بَعير، فطلب الشعانبة الأمان لضعفهم وعجزهم أمام جيش بن قانة المدعوم بقوة عسكرية فرنسية[3].

---

1 - فركوس صالح، **المرجع السابق**، ص 275 .

2 - مصطفى الأشرف، **المرجع السابق**، ص 60 .

3 - *Gouvian M. et E, **Op. cit** . p 11.*

وفي الفترة الممتدة من 1865 إلى 1870 مارس بن قانة كثيراً من الضغوط على القبائل في مقاطعة قسنطينة وبسكرة وما بينهما، حتى لا تثور على الاحتلال الفرنسي، ويعترف سيروكا بهذا الدور الذي لعبه بن قانة ويؤكد أنه" بفضلهم بقينا في الجنوب الجزائري"[1].

وعند اندلاع ثورة المقرانيِّينَ سنة 1871، اهتزت الأسرة لهذا الحدث وسارعت في الوقوف إلى جانب من أنعم عليها بالألقاب والمكانة، وبادر أبناء الأسرة بكتابة رسالة لتجديد الولاء والعهد والوفاء للدولة الأم هذا مضمونها :

رسالة أولاد بن قانة ضد الباشاأغا المقراني

" *سعادة المعظم الأرفع الهمام الأنفع الجنرال روستان الحاكم الكبير بقسنطينة وسائر عمالاتها أكرمه الله ورعاه آمين .*

هذا أيها السيد، وإنا نحن أول من خدم الدولة الفرانسوية منذ 1837 إلى الآن، و لم نزل على العهد إلى وقتنا هذا ونلازمه بالنصح الخالص والنية الكاملة، ما دامت الدولة الفرنساوية بَبِرِّ الجزائر، ولو بقي من الفرنساوية كذا إلا واحداً بيننا، وقد سمعنا بمحمد بن أحمد المقراني نافق، هذا المفسد ؟

فالمراد منك ومن كريم فضلك أن ترسل لنا نحن الثلاثمائة من العسكر، لتكون مع ما في بسكرة من العسكر كي تكف ألسنة الناس عن القول كذا والقال، وتكونوا ضَامنينَ في بسكرة، بحيث لن يَمُسَّكَ من جانبها تشويش، واعمل علينا كما تعمل على إخوانَك الفرنساوية والسلام ".

ممن كتب بإذنهم السيد محمد الصغير بن قانة والسيد بولخراص بن قانة وسي الحاج بن قانة وكافة أولاد بن قانة بتاريخ 18 مارس 1871[2].

وقد وقفت الأسرة نَفْسَ الموقفِ حينما اندلعت ثورة الأوراس سنة 1879، تلك الثورة التي اشتعلت بسبب الظلم والقهر والاستعباد، الذي كانت تمارسه السلطة الفرنسية وأعوانُهَا، وثِقَلَ الضرائب التي تضاعفت بالرغم من رداءة المواسم الزراعية، والقحط والجفاف، كما تزامنت أحداثها مع اشتداد الصراع الذي كان بين أسرة بن قانة وأسرة

---

1 - *Gouvian M.et E ,Op.cit.p 11.*

2 - يحي بوعزيز، **موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاأغا المقراني**، (م.و.ك.)، الجزائر، 1994، ص ص 22 - 23 .

"علي باي" بن فرحات بن سعيد بن بوعكاز الذواودي، الذي عمل على تأجيج نار الثورة[1] بصورة غير مباشرة، ثم وجَّهَ أصابعَ الإِتِّهَامِ لأسرة بن قانة مدعيًّا ضلوعهم فيها لدى السلطة الفرنسية، على أساس أن بن قانة كانوا رافضين مشاريع الإصلاحات الجديدة، التي استهدفت تقليص نفوذهم وسلطانهم[2].

وَتَزَعَّمَ الثورةَ محمد أمزيان بوبرمة أحد شيوخ المنطقة، ورغم أن سلطة الإحتلال تمكنت من القضاء على هذه الثورة دون عناء، غَيْرَ أَنَّ نتائجها وانعكاساتها على بن قانة كانت وخيمة، حيث شُنَّتْ على أفرادها حملةٌ شعواءٌ ، اتهمتهم بالفساد وسوء الإدارة والعجز، وتأليب الأهالي ضد الإدارة الفرنسية، ويبدو أن المترجم العسكري الفرنسي "شارل فيرو" *Charles Féraud*،كان من بين الذين أجَّجُوا هذه الحملة، مما جعل أسرة بن قانة تحمل له حقدا دفينا، وتأبى أن تعترف بكتاباته وملاحظاته التاريخية التي نشرها في المجلة الإفريقية، حول تاريخ الأسرة[3]، ويجهل السبب لحد الآن الذي جعل فيرو يتمادى في احتقار أسرة بن قانة، رغم ما لديها من أيادي بيضاء على سلطة الإحتلال خاصة منها التوسع في جنوب الجزائر كما اعترف بذلك كثير من المؤرخين، أم أن خصوم بن قانة تمكنوا من عَزْلِ واستقطاب فيرو، وتزويده بكل ما من شأنه أن يبرز مساوئ الأسرة بهدف النيل منها، والطعن في تاريخها ويبقى الموضوع بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث.

وفي مقابل ذلك قام القبطان "وولف" رئيس سابق للمكتب العربي ببسكرة، بتقديم شهادته لدى الرأي العام نشرت في جريدة الميتروبول آنذاك، تبرئ ساحة أسرة بن قانة من الضلوع في حوادث ثورة الأوراس هذا نصها " *إن اتهام أفراد بن قانة بالوقوف وراء الثورة باطل، فما هو يا ترى الغرض الذي يدفعهم لذلك وهم مُدَجَّجُونَ بالنَّياشين والأوسمة وسجلاَّتُهُم مليئةٌ بالخدمات الجليلة؟ إنها مغامرة تكاد تذهب بمجدهم وحريتهم لو فعلوها، وقَدَ ثبت لديَّ أنَّ علي باي بن فرحات بن سعيد، دَسَّ من يَتَّهِمُ بن قانة بهذا لقد كان محمد الصغير بن قانة القائد الكبير يتأَلَّمُ مِنْ هذه الحملات الإعلامية، وكثيرا ما .*

---

1 – وفق رواية أغا الزيبان بوعزيز بن قانة صاحب مذكرات الأسرة.

2 – بوعزيز يحي، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1980 ص 238 .

3.- *BenGana. B*, ***Op.cit*** *, p10.*

كان يزورني في مكتبي، فكنت أُطَمْئِنُهُ، وأُذَكِّرُهُ دوما بالمثل العربي المشهور، عندما تمر القافلة تنبح الكلابُ "[1].

ومهما قيل في ولاء بن قانة لسلطة الإحتلال، فإننا لم نجد ما يخدش هذا الولاء خاصة في الفترة الأولى التي أعقبت حصول بن قانة على لقب شيخ العرب، إذ كانت الوسيلة المثلى التي تمكنت بها فرنسا من إخضاع كثير من المناطق، وفرض الأمن والاستقرار بها وإرساء تقاليد التعامل والإحتكام لسلطة الإحتلال، وفي هذا المضمار ساهم شيخ العرب في تشكيل أولِ مجلسِ قضاءٍ حربيٍّ بطلب من الحاكم العام لمدينة قسنطينة، ومن عضوية خليفة الساحل علي بنٍ عيسى وخليفة مجانة وفرجيوة وقائد الحراكتة، وذلك بهدف محاكمة مجموعة من العرب تسببوا في مقتل فرنسيين، فَأُلْقِيَّ عليهم القبض وحُكِمَ على سبعة منهم بالإعدام، فكانت هذه المحاكمة هي الأولى التي يَتِمُّ فيها محاكَمَةُ عَرَبٍ مِنْ طَرَفِ عَرَبٍ آخرين من جنسهم وإعدامِهِمْ[2].

وفي هذه الفترة التي أعقبت سقوط مدينة بسكرة نهائيا بيد الإحتلال سنة *1944* واستقرار أسرة بن قانة بها، برز إلى السّطح التنافس من جديد على المشْيَخَة والسلطة في الجنوب القسنطيني بين ابن قانة وغيرها من القبائل الموالية لفرنسا، خاصة منها أسرة المقراني بمجانة، حيث نشط بن قانة في كسب ولاءات قبلية جديدة له، لكن مكتب الشؤون العربية ببسكرة تفطَّنَ لهذا المسعى، الذي وصفه بدسائس أسرة بن قانة، التي كانت تعمل على استرجاع مكانتها وسلطتها على قبائل الصحاري، مما دفع المكتب إلى تأييد ودعم إدارة المقرانيين ضد هذه المحاولات[3].

ولما أحس بن قانة بهذا الميل لخصومه لم يعجبه هذا الموقف، ونتيجة لذلك فقد اتبع ابن قانة سياسة اللامبالاة "الغير مبررة" في إدارة المنطقة التي تحت نفوذه، وهذا ما لاحظه مكتب بسكرة، حيث سجَّل في هذا الشأن الرائد سان جرمان "*إن شيخ العرب لم يعد في مستوى المهمة الملقاة على عاتقه و لا يسير أبدا وفق آرائنا* "[4].

---

[1] - BenGana. B, **Op.cit**, p10.

[2] - Ministère de la guerre. **Op.cit** p2.

[3] – صالح فركوس، **المرجع السابق**،ص *245*.

[4] – **المرجع نفسه**، ص *245*.

والرَّاجح إن هذه السياسة التي سلكها ابن قانة في تسيير شؤون القطاعات التي تحت سلطته لم تكن نابعة أبدا من تغيير جذري في نظرته للأحداث، أو عدوله عن موالاة فرنسا، بقدر ما كانت بدافع الحسد والمنافسة للمقرانيين، والحرص على الإنفراد بالسلطة دون منازع من الأهالي والقبائل الأخرى.

وعندما مرَّ الأمير عبد القادر قرب منطقة الحضنة، سنة *1846* ذكرت التَّقارير الفرنسية أن شيخ العرب قد أبدى سروره وغبطته لهذا الحدث؟؟ وقد أعلنها بو عزيز بن قانة صراحة للضابط الفرنسي "ليبيرت" حيث صرَّح له بقوله *"إنّني سعيدٌ ومسرورٌ لهذا الحدث في الحضنة، حتى يَتَبَيَّنَ الفرنسيُّون المُخْلصِينَ لَهُمْ من أعوانِهِمْ والذين لا يحبونهم إلا بالشِّفَاه"*[1].

إنها رسائل شبه مشفرة من بن قانة إلى سلطة الإحتلال تدعوها كي تعيد الأسرة إلى وضعها الطبيعي الذي ضحَّت من أجله طويلا وتحمَّلت الأذى والصبر في سبيل تحقيقه.

وبالرغم من هذه التطورات السلبية التي أحاطت بالأسرة، فإن السياسة الفرنسية التي كانت تهدف إلى ضرب الأسر الجزائرية "المخضرة"[2]– ربما لكونها تمثل حلقة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل– فقد اُسْتُثْنِيَتْ أُسَرُ الجنوب الجزائري كأسرة بن قانة من هذا الإجراء، وحافظت على مكانتها لدى سلطة الاحتلال رغم اهتزاز العلاقات بين الطرفين بين الحين والآخر، فحرص الأسرة كان كبيرا في الإبقاء على نفوذها من خلال منصب شيخ العرب، الذي رغم كل شيءٍ أُلْغِيَّ رسميًّا بعد وفاة محمد بن قانة سنة *1864*، وتَوَلِّي ابْنه بوعزيز المنصب، ولكن تحت اسم جديد هو "باشا أغا"[3].

ولم تكتفِ الأسرة بتجسيد ولائها فقط في الميدان السياسي والعسكري، بلٍ واكبت جلَّ أنشطة سلطة الإحتلال في منطقة الزاب وغيرها، سواءً كانت أنشطة اجتماعيةً أو ثقافيةً أو اقتصاديةً، وفي هذا الإطار يروي أوجان فالي *Eugène Vallet* – الذي كان عضوًا في المجمع العلمي الفرنسي، حين كان بصدد القيام برحلة استكشافية عبر الأراضي الجزائرية "المحتلة" قادته حتى النيجر– حيث يقول أنه " في *15* نوفمبر

1.– *BenGana. B,* ***Op. cit***, *p32.*

2 – المقصود بها الأسر التي عاشت الفترة التركية وبداية الإحتلال .

3 – صالح فركوس، **احتلال ومقاومة المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة من *1844* إلى *1871***، المرجع السابق، ص *243*.

1926 عندما غادرنا بسكرة في الساعة الثامنة صباحا، كان في توديعنا بعض الأصدقاء منهم بوعزيز بن قانة (أغا الزيبان)، جاؤوا يَتَمَنَّوْنَ لنا رحلة سعيدة"[1].

واستمرت الإدارة الفرنسية مع مطلع القرن العشرين تستفيد من خدمات الأسرة التي كانت حاضرة بقوة وساهمت في صناعة المشهد السياسي، الذي عرف في هذه المرحلة تحول مشروع المقاومة الوطنية من أسلوب المقاومة العسكرية إلى أساليب العمل السياسية والثقافية والفكرية، فبمناسبة احتفالية مرور 100 سنة على احتلال قسنطينة، الذي اعتبرته الإدارة الفرنسية عيدا وطنيا، وهيأت له وأنفقت عليه كثيرا، دعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفدرالية المنتخبين الجزائريّين، عَبْرَ الصحف التي كانت تملكها، إلى عدم الانسياق وراء دعوات الفرنسيين وأباطيلهم، ودعت في مقابل ذلك إلى الاعتزاز بالتاريخ الوطني الجزائري وتمجيد بطولات الآباء والأجداد أمثال الحاج أحمد، باي قسنطينة والتنويه بجهادهم، كما نصح العلماء والمصلحون الناس بعدم الخروج إلى الشارع والبقاء في منازلهم أو في المساجد والتضرع لله بالصلاة والدعاء، ونجحت المقاطعة نجاحا كبيرا.

واتهم الفرنسيون العلماء بتحريض الأهالي على كرههم، منهم "قُوسْتَافْ مَارْسِيِ" *Gustave Mercier* رئيس بلدية قسنطينة آنذاك وبن قانة شيخ العرب الذي أكدَ أن ما منحته فرنسا للجزائر خلال 100 سنة من الأمن، لم تعشه الجزائر منذ أيام الروم[2] ؟ ودعا بمعية البَاشاغا بن شنوف الهاشمي، الجزائريين إلى الثقة في الإصلاحات التي تقوم بها سلطة الاحتلال وفي مشروعها الحضاري بصورة عامة[3].

وفي هذا الإطار أيضا أقامت سلطات الاحتلال احتفالات أخرى بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لإنشاء الفرق الصبايحية في الجزائر 1841 – 1941، في الفترة الممتدة من 06 إلى 09 نوفمبر 1941 ومن الشخصيات البارزة التي كانت حاضرة بقوة باشا أغا

---

[1] – Eugène Vallet, **de Constantine au Niger par le Sahara**, *étude sur la colonisation et la mise en valeur de nos possessions de l'Afrique occidentale , novembre décembre 1926 , éditeur ; Braham ,Constantine , 1926 , p12 .*

[2] – صالح فركوس، **المرجع المرجع السابق**، ص 227 .

[3] –*Charles –Robert Agéron,* ***histoire de l'Algérie comptemporaine*** *, P.U.F. Paris ,1979 . p 461 .*

خنشلة بن شنوف الهاشمي ، وشيخ العرب بوعزيز بن قانة طبعا بعدما أضفت الإدارة الفرنسية هذا اللقب عليه مجددا[1].

وعند اندلاع الثورة الجزائرية في 01 نوفمبر 1954 وقفت الأسرة موقفا عدائيا منها، وهو موقف عاديٌ يندرج ضمن سلسلة مواقفها السابقة التي تقوم على الولاء المطلق للسلطة الإستعمارية، وقد عبر عن هذا الشعور، "بن قانة محمد بلحاج " نائب عمالة قسنطينة، في مداخلته التي أدلى بها يوم 12 نوفمبر 1954 أمام الجمعية الوطنية (الفرنسية)، حيث صرح بأن الأعمال التي وقعت ليلة الفاتح نوفمبر 1954، كانت بفعل مؤامرة خارجية مدبرة نفذها فرق عسكرية مدربة في الخارج ولقيت دعما من طرف الخارجين عن القانون والمعروفين لدينا جيدا، وأنّ على السلطة أن تسعى لعزل هذه الجماعات عن طريق وَضْعِ أُسُسِ تَنْمِيَّة اقتصادية واجتماعية شاملة ينال الجزائريون حظهم فيها[2].

إنّ هذه المقتطفات والعينات التي ذكرناها في هذا العرض المختصر، تُعَدُّ شيئا قليلا بالنسبة مما سجلته الأسرة في تاريخ الجزائر خلال فترة الإحتلال، ولا يزال هذا السجل ثريا بكثير من المواقف والوقائع التاريخية، التي يمكن للباحث أن يدرسها بمزيد من التحليل والإستنتاج.

وخلاصة القول في هذا الفصل أنّ أسرة بن قانة كانت من الأسر القلائل التي نالت من السلطة الإستعمارية حُظْوَةً ومكانة مرموقة كيف لا، ولا يكاد ذكرها ينقطع في كتابات المؤرخين والعسكريين والسياسيين، معتبرين هذه الأسرة حليفا كاملا ووفيًّا، ومن أجل ذلك لَمْ تَتَوَانَ فرنسا في مكافأتها بما يستحق، ويمكن أن نَعُدَّ أفضل المكافآت التي افْتَخَرَ بها آل قانة على أندادهم، المعاملة الْمُدَلَّلَةُ والرعاية الكاملة التي حَظِيُّوا بها، والتي من أهم مظاهرها :

1 – منح النياشين والشهادات المختلفة لأفراد الأسرة الذين قاموا بخدمات جليلة لفرنسا خاصة قبيل الحرب العالمية الأولى(1914–1918) .

---

[1] - *Les Troupes Indigènes de l'Algérie aux service de la France*, *imprimerie Minerva, Alger, 1941, p3.*

[2] – لمزيد من الاطلاع انظر نص المداخلة في الملحق رقم 14.

2- إطلاق يد الأسرة على خيرات البلاد، كمنحها الملكيات العقارية، وإعفاؤها من الضرائب، حتى صارت الأسرة أكثر برجوازيةً من غيرها[1]، ففي سنة *1901* على سبيل المثال اعتبر سي محمد بوعزيز بن قانة، أغنى أغنياء قادة العرب في الجنوب ومن أجل ذلك عُيِّنَ أخوه باشاغا الحضنة الشرقية سنة *1913*[2].

3- الوقوف إلى جانب الأسرة في مختلف المحطات خاصة الانتخابية منها، كانتخابات *1935*، حيث وقفت سلطة الإحتلال إلى جانب بن قانة وعائلة دبابش الموالية لها، ضد سعدان المرشح عن كتلة النواب الجزائريين لأنه عمل على استعطاف الرأي العام العربي والإسلامي الجزائري[3].وغيرها من المواقف.

---

1 - كان أفراد بن قانة بين الحين والآخر يسلكون سياسة ذر الرماد في عيون الأهالي ففي سنة *1931* وبمناسبة إنشاء مدرسة الإخاء ببسكرة لنشر التعليم باللغة العربية والثقافة، اجتهد المشرفون على جمع التبرعات بإقامة حفل لهذا الغرض وحرص بوعزيز بن قانة أن يكون الحفل بالمسجد الذي بناه في وسط المدينة، وساهم في التبرع من أمواله الخاصة للمدرسة بـــ : *1000* فرنك. انظر سليمان الصيد، **مدرسة الإخاء في بسكرة *1931*، ودورها في نشر الثقافة العربية والإسلامية في منطقة الزيبان وغيرها**، بسكرة، *2003* ،ص *12*.

2 - *Charles –Robert Agéron, op.cit p 213 .*

3 - كريمة بن حسين، **الحياة السياسية في قسنطينة من *1930* إلى *1945***، معهد العلوم الإجتماعية، جامعة قسنطينة، *1992*، ص *79*.

الخـــاتـــمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمـــــــة

بعد هذا العرض الذي قدمناه يمكننا في نهاية المطاف أن نخلص إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات التي ستظل بحاجة إلى مزيد من البحث والإثراء والتقصي يأتي في مقدمتها أن أسرة بن قانة التي طالما اقترن اسمها بالصحراء والفيافي لم تكن أسرة صحراوية بأتم معنى الكلمة وإنما أقحمت في الصحراء الجنوبية لقسنطينة في ظروف تاريخية معينة.

ومهما يكن من أمر فإن مجال البحث للإستزادة والإجابة على جملة الإشكاليات السابقة والتي لا يزال بعضها عالقا يبقى واردا، وبإمكان الباحث الذي يرغب في تجديد البحث والتنقيب في هذا الموضوع أن يستند إلى جملة من الخلاصات التي توصلنا إليها والتي يمكن أن نصنفها في رتبة النتائج الأولية حتى يثبت غيرها، وتتمثل في ما يلي:

أولا : إن الأصل الشريفي للأسرة ما زال غير ثابت يثر عدة تساؤلات إلى حد الساعة ولا تزال جملة من الشكوك تحوم حوله، خاصة إذا أَقْرَنَّا هذا النسب بدرجة ولاء الأسرة لسلطة الإحتلال، بشهادة أفراد الأسرة ومؤرخي الحقبة الإستعمارية، الذين أجمعوا على أن أفراد عائلة بن قانة الذين عاصروا الحقبة الإستعمارية عملوا بكل هوادة للتمكين للمشروع التغريبي الفرنسي الكولونيالي، ولم يَشُذَّ عن هذه القاعدة أيّ من أفراد الأسرة، وهذا خلافا لكثير من أسر البايلك المعاصرة لبن قانة، التي تأرجحت بين الولاء والمقاومة.

أفليس من مقتضيات النسب الشريف أن يقف المرء إلى جانب الحق ويناصر العدل أيا كان لونه؟ بل أليس من باب تمام المروءة وكمال الرجولة أن يساند الرجل أهله وبني جلدته؟ وإذا كان الأمر ليس كذلك فماذا يعني النسب الشريف وأين موقع الشرف من نفس إمرئ يُهتك عرضُه وتُسلبُ أرضُهُ ويُقَتَّلُ أَهْلُهُ شر تقتيل ويُشَرَّدُوا في الآفاق ثم يسكت ويرضى بذلك بل ويرتب هذه الأفعال ضمن سجلات بطولاته؟

ثانيا : تضاربت الأقوال كثيرا حول أصل الأسرة ما بين من ينسب أصولها لمنطقة رجاس ومنهم من ينسبها لإمارة كوكو بمنطقة القبائل ورأي آخر يرجح انحدارها من الأندلس، مقابل ما كان يراه البعض من تجذر الأسرة في منطقة الزاب، وبين تشتت هذه الآراء وعدم وجود أدلة تاريخية دامغة يبقى البحث يراوح مكانه، وإن كنت في هذه الخاتمة أرجح قدوم الأسرة من منطقة القبائل التي يبدو أن اسمها (قانة) اشتق فعلا من حرفة

الحدادة التي كانت حرفة شائعة خلال العهد العثماني، ولا تتطلب من ممارسها سوى قليلا من التجربة والإمكانيات.

ثالثا : من خلال هذا البحث وقفت عند نقطة أساسية وهامة وهي أن المصلحة الخاصة للأسرة كانت وراء تحول جل مواقفها وولاءاتها في معادلة الصراع على مجال النفوذ على مر العصور والأزمنة، سواء كان الشأن بالنسبة للعهد العثماني أو الفترة الكولونيالية، ومن أمثلة ذلك وقوف الأسرة ضد صالح باي لما أراد أن يتبع سياسة الموازنة في مجال توزيع النفوذ في الجنوب القسنطيني بين أسرة بن قانة وأسرة الذواودة، ورفعت التقارير بالرجل من طرف شيخ العرب بن قانة صوَّرَتْهُ في أبشع الصور، وساهمت في تأكيد شكوك الباشا في محاولات صالح باي الانفصالية، وانتهى أمره بالعزل والقتل.

رابعا : ساهمت أسرة بن قانة في تقويض المقاومة الشعبية التي قادها أحمد باي بعد سقوط قسنطينة، حيث عملوا منذ البداية على تشتيت أمره وإضعاف شوكته وابتزازه لما علموا أن المرحلة المقبلة في ظله وتحت قيادته وولائه ستكون مرحلة صعبة يقل فيها نفوذهم وتنحسر فيها مجالات سيادتهم وهم الذين ألفوا البذخ والترف والحياة الهنية، ومزايا الارستقراطية.

خامسا : إن فشل مشروع المقاومة المنظمة ومشروع الدولة التي أسسها الأمير عبد القادر في منطقة الزيبان يتحمل فيه شيخ العرب بن قانة جزءً كبيراً، فقد أثبت هذا الأخير ولاءه الشديد والوحيد لسلطات الاحتلال الفرنسية، بوحشية ما اقترف أتباعه في جند الأمير من قتل وإبادة في معركة "سالسو" التي نال بعدها بوالخراص بن قانة شيخ العرب شهادات ونياشين "فرسان الشرف الفرنسيين"

Chevalier de la légion d'Honneur.

وباءت كل مساعي الأمير لإنقاذ الموقف بالفشل وكانت النهاية الحتمية لمشروع المقاومة في الزيبان، دون أن ننسى في خضم ذلك الأدوار الغير محسوبة والنابعة من منطلقات ذاتية التي لعبها فرحات بن سعيد الذوادي، الذي ساهم هو أيضا من جانبه في تردي مشروع المقاومة.

هذا وإن مجالات البحث في هذا الموضوع ماتزال قائمة كما ذكرنا في بداية هذه الخاتمة، إذا سخرت الإمكانيات المادية والمعنوية المناسبة له، فالبحث في حاجة إلى معاينة ميدانية أكبروأعمق وأشمل في نقاط جغرافية عديدة بلغها نفوذ أسرة بن قانة منها منطقة وادي العثمانية، التي ربما قد تحتفظ ذاكراتها الشعبية وأطلالها بشيء يثري الموضوع، إذا علمنا أن بقايا الأسرة من فرع بلقيدوم بن قانة ما تزال تقيم في هذه الجهات، ومنها منطقة رجاس بميلة وزوايا الروفاك بولاية قسنطينة، فضلا عن منطقة مشيرة قرب تلاغمة التي وقعت عندها إحدى أكبر المعارك بين أحمد باي رفقة شيخ العرب بن قانة ضد فرحات بن سعيد الذوادي، ولا نبالغ إذا قلنا أن كل منطقة مرت بها جيوش شيخ العرب وأتباعه فإنها حتما ستحتفظ بجزء من الذكريات المفيدة للبحث.

ولا تزال مدينة بسكرة كذلك وضواحيها وأريافها بحاجة إلى مسح دقيق وشامل، خاصة وأن شيوخ هذه الجهات ممن استقرت في أذهانهم هذه الصراعات اعتنوا بجمع المخطوطات التي تعود لهاته الحقبة واحتفاظوا بها في خزائنهم الخاصة وفي أقبية زوايا تلك الجهة النائية، متناثرة هنا وهناك.

ولا ننسى في هذا الجانب أيضا محور بجاية والقلعة وبقايا إمارة كوكو التي تعد الجذور الأولى للأسرة وفق أغلب الظنون.

أما المحور الأخير في اعتقادنا فيتمثل في الأرشيف الوطني بالمكتبة الوطنية بالحامة وبالجامعات الفرنسية المكتوب باللغة التركية أو المترجم إلى الفرنسية في السنوات الماضية، والذي من شأنه أن يزود موضوع البحث بمعلومات جديدة، قد تدفعنا إلى إعادة النظر في كثير من القضايا التاريخية التي أصبحت اليوم في حكم المسلمات.

ويبقى التساؤل مطروحا أيضا حول الحرفة الحقيقية والأصلية لأفراد أسرة بن قانة، فإذا كان هؤلاء في بداية بروزهم على مسرح الأحداث ببايلك الشرق، يمارسون حرفة الحدادة، والتي اشتق منها أصل تسميتهم في أغلب الظن كما سبق ذكره، فإن تحولهم عن هذه الحرفة إلى حرفة الرعي والبداوة، لا يزال يطرح عدة إشكاليات حول سبب هذا التحول ومسوغاته، وكيف اكتسبوا المهارات العسكرية والإدارية التي يشهد لهم بها كثير

من المؤرخين والتي جعلتهم جديرين بلقب شيخ العرب مرات عديدة ومحل ثقة حكام بايلك الشرق؟

هل من السهولة بمكان أن يغير أفراد معينون حرفتهم التي توارثوها عن أجدادهم تحت أي ظرف وفي ظل أي طارئ مستجد ؟

كما لا يزال التساؤل مستمرا حول عناصر قوة هذه الأسرة، أين تكمن ؟ أفي نسبها الشريف الذي لم يثبت قطعا بالدليل والبرهان؟

أم تكمن قوتها في قدرة بعض رجالها في فترات معينة على اغتنام الفرص وصيد المنافع وعدم تفويتها والسعي بكل الوسائل والأساليب الممكنة للحفاظ عليها وتثمينها ؟

أم ترجع قوتها إلى تلك الشحنة القوية من الحسد والتنافس والعصبية، التي بثتها فيها أسرة بوعكاز الذواودة، فانصبَّ سعيها في العمل على تحطيم منافستها العنيدة والدفع بها في أتون ردود الفعل الغير مدروسة وغياهب التهميش القاتلة؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 1

BENGANA BOUAZIZ, Cheikh El rab, à Biskra, descendant d'une

191

opulente famille de l'Oued-Rhir et du Sahara. Les origines de cette famille furent interprétées de façons diverses sans en justifier la source exacte. L'origine chérifienne paraît toutefois être démontrée. Le titre de **Cheikh El Arab** fut attribué à cette famille par les Turcs, titre qui fut consacré plus tard par les Français en 1839. D'un loyalisme parfait, les **Bengana** contribuèrent à la répression durant la période d'insurrection ; ils adressèrent au Gouvernement, au moment de la déclaration de la guerre de 1870 le message suivant : *Tant que le Gouvernement français subsistera en Algérie, en vint-il même à n'y être représenté que par un seul de vos nationaux, nous resterons vis-à-vis de lui dans la soumission la plus complète. Nous tous mettons à vos pieds nos richesses et vous offrons nos bras, nos âmes, notre sang.* (Consulter le merveilleux ouvrage **Kitab Aayane-El-Mazhariba**, de **Marthe et Edmond Gouvion**, Imprimerie Orientale Fontana frères, 1930, Alger). Le **Cheikh El Arab** actuel fut un très précieux auxiliaire de l'Administration durant la guerre 1914-1918. **Bouaziz Bengana** est un savant en littératures arabe et française, il est également un administrateur émérite ; il entretient chez lui une école dont les frais sont pris sur ses deniers personnels. Ses enfants fréquentent nos grandes écoles ; il est Commandeur de la Légion d'honneur et haut dignitaire de nombreux Ordres français et étrangers.

BENGUENAN HAMEZA BEN ABDELKADER, caïd des Mekhadma a

أغا الزيبان بوعزيز بن قانة ضمن الشحصيات البارزة في كتاب السجل الذهبي للجزائر سنة 1930

ملحق رقم 2

خريطة منجزة من طرف صاحب البحث

ملحق رقـــم 3

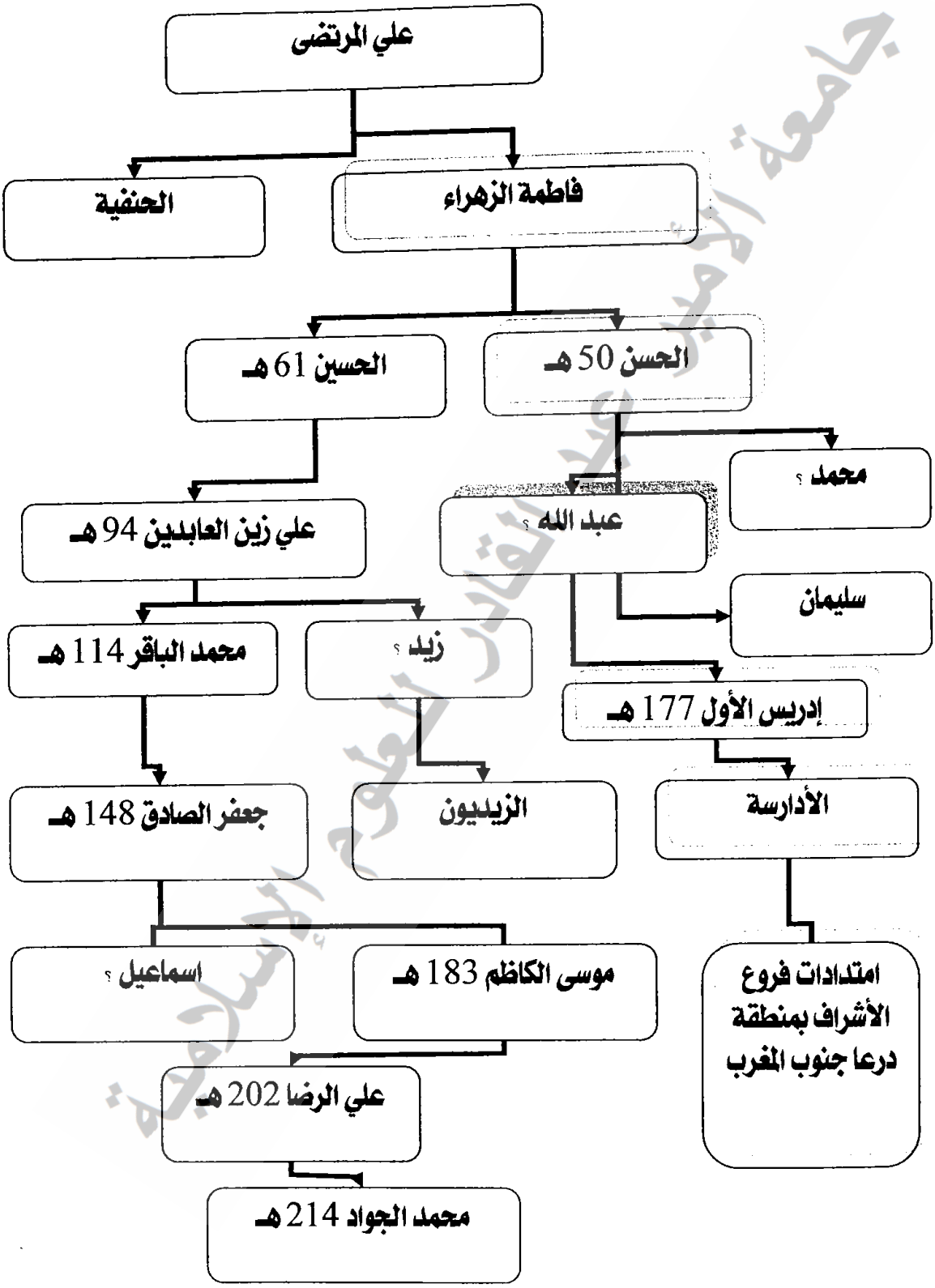

شجرة نسب الأدارسة والشيعة (السنة تمثل وفاة المعني)

ملحق رقم 4. شجرة نسب أغا الزيبان ، ابن الشارف المرجع السابق، ص 146.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 5

خريطة من إنجاز صاحب البحث

طرق المواصلات البرية في شمال قسنطينة خلال العهد العثماني

ملحق رقم 5

خريطة من إنجاز صاحب البحث

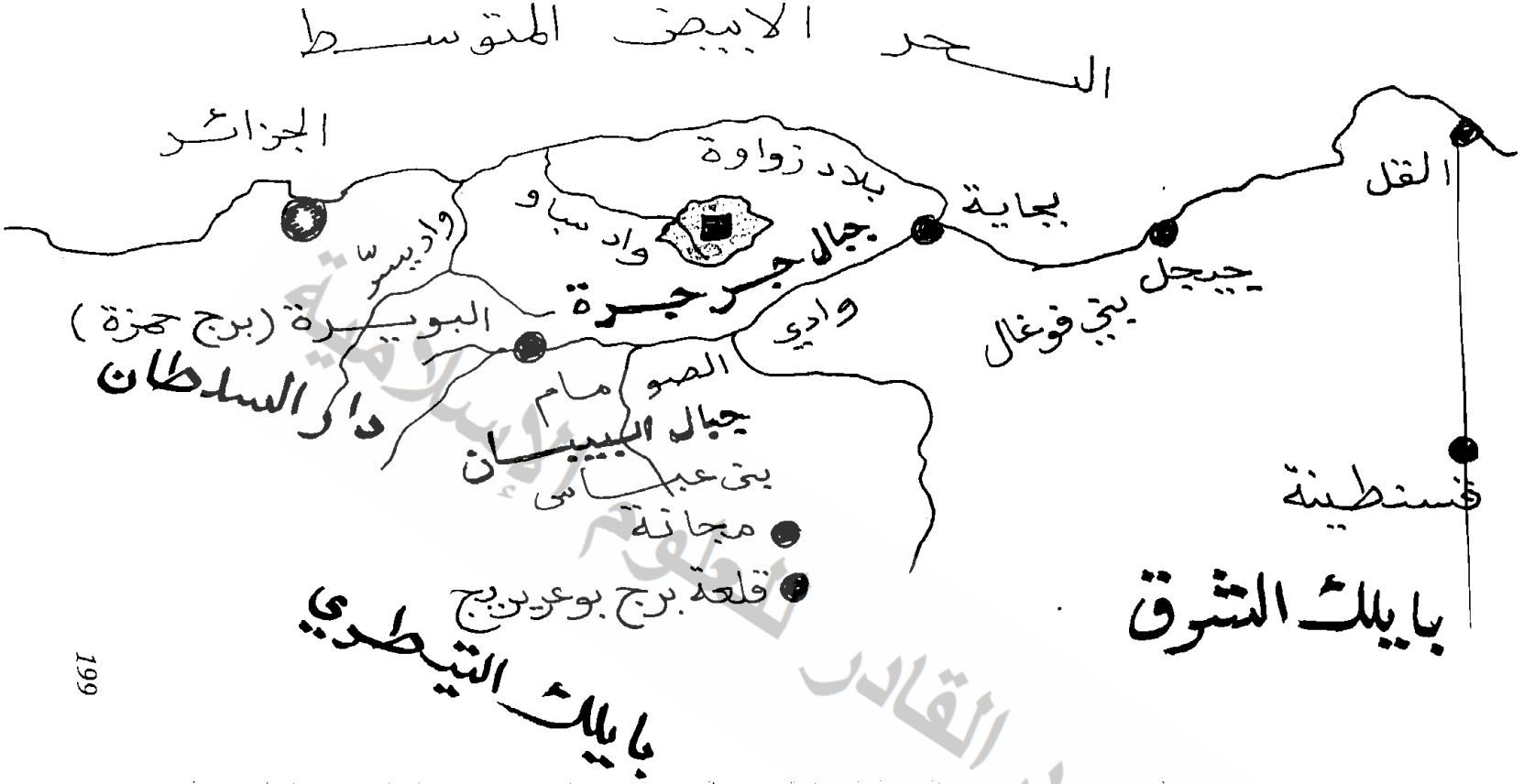

إمـــارة كوكو الـــتي يعتـــقد أن المرأة قـــانة تنتســـب إليـــها

موقع الإمارة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 7

خريطة من إنجاز صاحب البحث

أهم القيادات في بايلك الشرق الجزائري قبل الاحتلال 1830

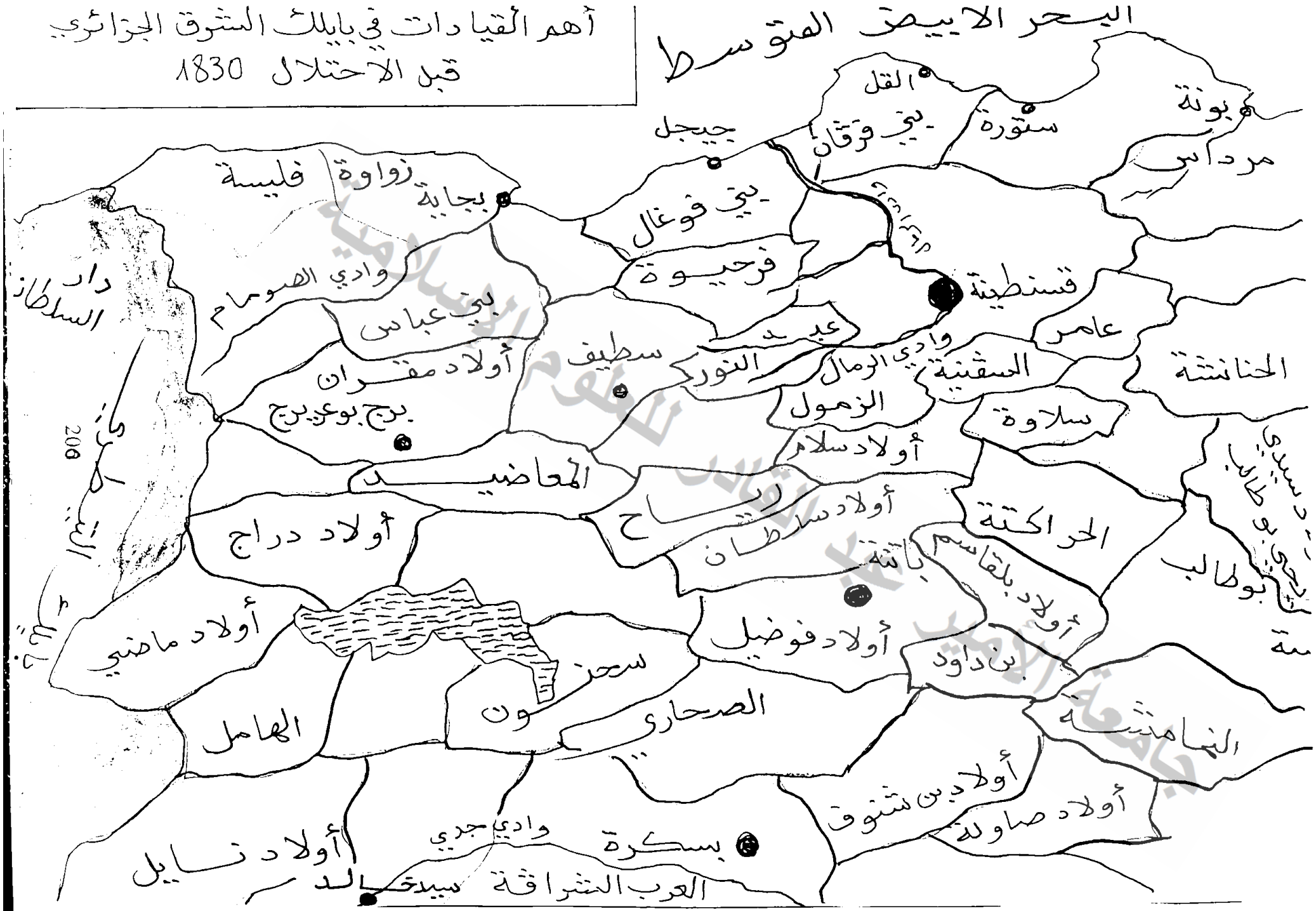

ملحق رقم 8

خريطة من إنجاز صاحب البحث

تحديد إقليم الزاب عند ليون الإفريقي و ياقوت الحموي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بونة
ستورة
بجاية
جيجل
ميلة
روفاك
قسنطينة
فرجيوة
واد عثمانية
قالمة
كاف ثاغروت
سطيف
ثلاغمة
مجانة
عين مليلة
برج بوعريريج
مدتيرة
أم الصنب
عين بيضاء
جبال الاضنة
مسيلة
نقاوس
باتنة
بلزمة
بريكة
خنشلة
شط الحضنة
مزغ بلميع
القنطرة
الأوراس
الوطاية
جبال النمامشة
الحنشة
سلسو
مرج جازية
الحرزية
بسكرة
القصر
ليانة
الزاب الشرقي
أولاد جلال
سيدي خالد
ستيل
شط ملغيغ
وادي جدي
شتمة
بسكرة
زعاطشة
سيدي عقبة
طولقة
أوماش
أورلال
دوسن
وادي الركاب
الوادي
تقرين
دزيوة
توقرت
قرارة
الهجيرة
غرداية
ورقلة

211

خريطة منقولة عن مذكرات آغا الزيان

الملحق رقم

بايلك الشرق الجزائري
بين 1830 - 1845

✡ معارك كبرى لشيخ العرب بن ثانة ضد خصومه

ملحـــق رقم 10

خريطة منجزة من طرف صاحب البحث

المعارك الأولى التي شارك فيها شيخ العرب بن قانة إلى جانب أحمد باي بعد سقوط مدينة الجزائر سنة 1830

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحـــق رقم 11 **خريطة منجزة من طرف صاحب البحث**

سقوط عنابة 1832 وأثره في ضعف الموقف الدفاعي لقسنطينة

الملـــحق رقم 12

بوعزيز بن بولخراص بن قانة آحر شيوخ العرب الأقوياء
1839/1861 وحوله قواده وشيوخ القبائل

الملحق رقم 13

أحمد باي قائد المقاومة الجزائرية ضد الإحتلال ببايلك الشرق الجزائري من 1837 إلى 1848

ملحق خاص بأغا الزيبان بوعزيز بن قانة

الباشاغا بوعزيز بن قانة صاحب مذكرات الأسرة 1917
رسمت له هذه اللوحة الزيتية سنة 1917 من طرف الرسام الفرنسي آدم ستيكا **Adam STYKA (1890-1959)**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله وحده ولاية الجزائر العامة

أمرنا هذا بيد ماسكه السيد بوعزيز
بن قانة باشاغا الزيبان أننا شرفناه باسم

شيخ العرب

حسبما كان جدوده متشرفين به وهذا
الامتياز الوحيد جزاء له على حسبه ونسبه
ومقامه وصفاء سيرته وصدقه لدولة فرنسا الفخيمة

كتب في الجزائر يوم فاتح جانفي سنة 1929

الوالي العام

Fac-similé du brevet élevant à la dignité de Ch
le Bachagha des Zibans, BOUAZIZ BENG

نسخة من قرار تعيين أغا الزيبان في منصب شيخ العرب سنة 1930

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصـــــادر والمراجـــــع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع.

أولا/ باللغة العربية

المصـــــادر.

1- ابن أبي (الضياف أحمد)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من العلماء، ج 2، تونس، 1963.

2- ابن أبي الدينار (محمد بن أبي القاسم القيرواني)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** الطبعة الأولى ، المطبعة التونسية ، 1286هـ .

3- ابن الشارف (عبد الله بن محمد علي حشلاف)، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، المطبعة التونسية ، تونس ، 1929.

4- ابن العطار (أحمد بن المبارك)، **تاريخ قسنطينة**، تحقيق رابح بونار، بدون معلومات.

5- ابن حبان (أبو حاتم محمد البستي) ، **المجروحين** ، الجزء 2، دار الوعي، حلب، بدون تاريخ.

6- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد)، **جمهرة أسناب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، نشر دار المعارف، القاهرة، 1382.

7- ابن خلدون (عبد الرحمن)، **المقدمة** ، المطبعة الأزهرية ، مصر ، 1930.

8- ابن خلدون (عبد الرحمن)، **تاريخ ابن خلدون** " العبر" ج4، دار بولاق، القاهرة.

9- ابن عبد القادر (محمد الجزائري)، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تحقيق ممدوح حقي، ج 1+2 ،ط2، دار اليقظة العربية، 1964 .

10- ابن عبد الكريم (محمد)، **حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته** ، ط 1 ، دار الثقافة، بيروت، 1972.

11- ابن كثير (إسماعيل)، **تفسير القرآن العظيم**، ج 4، دار الشعب للنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

12- ابن ميمون (محمد الجزائري)، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1972.

13- أبو بكر (يحي بن زكرياء)، **سير الأئمة وأخبارهم (المعروف بتاريخ أبي زكرياء)** تحقيق إسماعيل العربي،(د.م.ج)، الجزائر، 1984.

14- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، **الجامع الصحيح المختصر**، الجزء 3، ط3، دار ابن كثير، دمشق، 1987.

15- البستاني (بطرس)، **دائرة المعارف** ، المجلد 9، دار المعرفة ، بيروت .

16- الحموي (ياقوت)، **معجم البلدان**، المجلد الثالث، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1906.

17- خوجة (حمدان بن عثمان)، **المرآة**، تحقيق وتقديم العربي الزبيري، (ش.و.ن.ت)، ط2 ، الجزائر، 1982.

18- خوجة (علي أفندي بن حمدان)، **وصف رحلة من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة عبر الجبال عام 1832** ، تقديم وتعريب احميدة عميراوي ، منشورات جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر 2000.

19- الداودي (أحمد بن علي)، **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، تحقيق رضا نزار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1971.

20- الذهبي (محمد بن عثمان)، **كتاب الكبائر**، ج1، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

21- الزياني (أبو القاسم)، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، 1967.

22- السمعاني (بن منصور التميمي)، **كتاب الأنساب**، مؤسسة الكتب الثقافية الجزء 1، ط1 ، لبنان، 1988.

23- السيوطي (أبو بكر عبد الرحمن)، **تاريخ الخلفاء**، ط1، ج1، مطبعة السعادة ، مصر 1952.

24- صالح (العنتري)، **مجاعات قسنطينة** ، تحق رابح بونار ، (ش.و.ن.ت.) الجزائر ، 1974 .

25- العدواني (محمد بن عمر)، **تاريخ العدواني**، تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، بيروت ، 1996.

26- الفيروزأبادي (أبو طاهر محمد بن يعقوب)، **القاموس المحيط**، دار الرسالة، بدون معلومات.

27- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1959.

28- القيرواني (أبو القاسم ابن أبي الدينار)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1 ، المطبعة التونسية، 1286هـ

29- المراكشي (عبد الواحد بن علي)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، بدون معلومات.

30- مسلم (بن الحجاج النيسابوري)، **صحيح مسلم**، ج1 ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي

المراجـــع

1- (مجموعة من المؤلفين)، **الأطلس العالمي**، نشر وطباعة المعهد التربوي الوطني الجزائر، بدون تاريخ.

2- أديب (حرب)، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، 1808 / 1847**، الجزء 2 (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1983.

3- أرجموند (كوران)، **السياسة العثمانية تجاه احتلال الجزائر 1827/ 1847**، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، تونس، 1972.

4- الأشرف (مصطفى)، **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، (م.و.ك.)، 1983، الجزائر.

5- أفندي (محمد ثابت) و زكي إبراهيم خورشيد، **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد 13، 1933، بدون معلومات.

6- بجاجة (عبد الكريم)، **معركة قسنطينة 1836-1837**، تعريب محمد الهادي لعروق، دار البعث، قسنطينة ، 1984.

7- بليق (عز الدين)، **منهاج الصالحين**، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1984.

8- بوصفصاف (عبد الكريم)، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، رسالةدبلوم الدراسات المعمقة، دار البعث، قسنطينة، 1981.

9- البوطي (سعيد رمضان) ، **هذا والدي** ، ط3 ، دار الفكر، دمشق ، 1995.

10- بوعزيز (يحي)، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الوطنية الجزائرية، ط1، الجزائر، 1965.

11- بوعزيز (يحي)، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط1 دار البعث، قسنطينة، 1980.

12- بوعزيز (يحي)، **موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاأغا المقراني**، (م.و.ك.)، الجزائر، 1994.

13- بيل (ألفرد)، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1989.

14- الجيلالي (عبد الرحمن)، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، 1955.

15- خنوف (علي)، **السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري** (نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي)، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999.

16- خير الدين (محمد)، **مذكرات** (خير الدين)، ج1، (م.و.ك.)، بدون تاريخ.

17- دودو (أبو العيد)، **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830 – 1855**، (م.و.ك.)، الجزائر، 1989.

18- دونوفو (إدوارد)، **الإخـــوان**، دراسة إثنولوجية حول الجماعات الديني عند مسلمي الجزائر، ت كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002 .

19- زامباور(المستشرق)، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي**، ترجمة زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأولى القاهرة، 1951.

20- الزبيري (محمد العربي)، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1982.

21- الزبيري (محمد العربي)، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1981.

22- زوزو (عبد الحميد)، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1900**، (م.و.ك.)، الجزائر، 1984.

23- ساحلي (أحمد)، **أعلام من زواوة – إقواون –** مطبعة الثورة الإفريقية، الجزائر، بدون تاريخ.

24- سالم (عبد العزيز)، **المغرب الكبير الجزء الثاني العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

25- سعد الله (أبو القاسم)، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

26- سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ط2، (م. و.ك)، الجزائر، 1985.

27- سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الحديث – بداية الاحتلال** – معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970.

28- سعيدوني (نصر الدين)، **الجزائر منطلقات وآفاق**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

29- سعيدوني (نصر الدين)، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، (م.و.ك.)، 1983.

30- سعيدوني (نصر الدين)، **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، سنة 2000 ..

31- السمعاني (بن منصور التميمي)، **كتاب الأنساب**، مؤسسة الكتب الثقافية ج1، ط1، لبنان، 1988.

32- شالر (وليام)، **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816 / 1824**، ترجمة وتحقيق اسماعيل العربي، (ش.و.ن.إ.)، الجزائر، 1982.

33- شغيب بن علي (محمد المهدي)، **أم الحواضر بين الماضي والحاضر، تاريخ قسنطينة**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.

34- شلوصر (فندلين)، **قسنطينة أيام أحمد باي**، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1980.

35- صيام (زكريا)، **ديوان الأمير عبد القادر**، (د.م.ج.)، الجزائر، 1988.

36- صيد (عبد الحليم)، **أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة**، ط1، واد سوف، 2000.

37- طالبي (عمار)، **عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره**، ط1 ، دار مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.

38- الطمار (محمد بن عمرو)، **تلمسان عبر العصور**، (م.و.ك)، الجزائر، 1984.

39- الطيب (محمد سليمان)، **موسوعة القبائل العربية**، المجلد 2، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

40- العبادي (أحمد مختار)، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971.

41- العربي (اسماعيل)، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، (م.و.ك.)، الجزائر، 1983.

42- عميراوي (احميدة) وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 1916**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2004.

43- عميراوي (احميدة)، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827/1840**، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1987.

44- عميراوي (احميدة)، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس**، دار البعث، قسنطينة ، 2002.

45- عميراوي (احميدة)، **من الملتقيات التاريخية**، دار البعث، قسنطينة، 2001

46- غيرستر (جورج)، **الصحراء الكبرى**، تعريب خيري حماد، منشورات المكتب التجاري، ط1، بيروت، 1961.

47- فتال (هند) ورفيق السكري، **تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر**، دار جورجوريوس، ط1، 1988.

48- فركوس (صالح)، **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826 / 1850** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

49- فضلاء (محمد الطاهر)، **قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس**، دارالبعث، قسنطينة، 1968.

50- فيلالي (عبد العزيز) ومحمد الهادي لعروق، **مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1984.

51- فيلالي (مختار)، **رحلة الورتلاني عرض ودراسة**، دار الشهاب، باتنة، الجزائر 1998.

52- قشي (فاطمة الزهراء)، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.

53- القطب (سمير عبد الرزاق)، **أنساب العرب**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1968.

54- لقبال (موسى)، **المغرب الاسلامي**، دار البعث، قسنطينة، 1969.

55- لقبال (موسى)، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، (ش.و.ن.ت) الجزائر، 1979.

56- المدني (أحمد توفيق)، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1754 – 1830**، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1974.

57- منصور (عبد الوهاب)، **قبائل المغرب**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.

58- الميلي (مبارك محمد)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (ش.و.ن.ت.)، الجزائر، 1976.

59- الورتلاني (الحسين)، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1908.

60- يحي (جلال)، **السياسة الفرنسية في الجزائر 1830 / 1960**، دار المعرفة، القاهرة 1959.

61- يحي (جلال)، **تاريخ المغرب العربي، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار**، ج 3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

62- يحي (جلال)، **تاريخ المغرب الكبير**، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3 ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

63- يوسف (جودت عبد الكريم)، **الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين**(9و10الميلاديين)،(د.م.ج.)، الجزائر، بدون تاريخ.

مقالات الدوريات.

1- بوعزيز (يحي) : " معارك الحاج أحمد في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية " **مجلة الثقافة**، وزارة الثقافة والسياحة، العدد 90 ، الجزائر، 1985 ، ص123 إلى 140..

2- بوعزيز (يحي): " جهود الأمير عبد القادر في دعم الجبهة الشرقية " ، في **مجلة الأصالة**، الجزائر، عدد 48، سنة 1977 .

3- التميمي (عبد الجليل): " الحاج احمد باي وبايلك قسنطينة 1830/ 1837"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد 64 ، 1978 ، ص 21 .

4- التميمي (عبد الجليل): "فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجزائر"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد2، ص 134.

5- زوزو (عبد الحميد): " تقييدات بن عيسى عن حصاري قسنطينة " ، في مجلة الأصالة، العدد 67 ، سنة 1979 .

6- زوزو (عبد الحميد): "أحمد باي ودوره في المفاومة بايلك الشرق"، **مجلة الأصالة**، العدد 31، سنة 1976، ص 111 .

7- زيادة (نقولا) :"قراءة في مذكرات أحمد باي حاكم ولاية قسنطينة": **مجلة بحوث ودراسات عربية**، بدون معلومات ، ص249 .

8- سعيدوني (نصرالدين): " مذكرة حول إقليم قسنطينة "، **مجلة الأصالة**، العدد 70/ 71 السنة 1979، ص 10 .

9- الصفدي (هشام) :« دور الصحراء في تاريخ الجزائر»، **مجلة الثقافة**، العدد11، سنة 1972، ص 32 .

10- علي محمد (عبد الباقي): " أنساب العرب ودعوى الطوتمية "، **مجلة سيرتا**، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، العدد الأول، ماي 1979.

11- غالم (محمد) :« من التاريخ الوضعي إلى التاريخ العلمي ملاحظات حول التاريخ الاقتصادي » ، **مطبوعات مركز الأبحاث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، نوفمبر1995

12- قاصري (محمد السعيد) : " السياسة الإدارية الإستعمارية في الصحراء الجزائرية "، **مجلة الدراسات الأدبية والانسانية**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد01، قسنطينة، 2004، ص 44

13- مصمودي (فوزي):« بسكرة عروس الزيبان وبوابة الصحراء»، **مجلة الفيصل**، العدد 315، نوفمبر/ ديسمبر، 2002.

14- مطمر (محمد العيد):" الإحتلال الفرنسي لمنطقة الأوراس 1844/1884"، **اصدارخاص لجمعية أول نوفمبر**، دار الشهاب، باتنة، ص 120.

15- مياسي (إبراهيم): " خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان" في **مجلة الخلدونية(بسكرة)**، العدد 03، ديسمبر 2004، ص 70.

16- مياسي (إبراهيم): " احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان "، **حوليات جامعة الجزائر**، الجزء الأول، العدد 9، الجزائر ، 1995، ص 106 إلى132.

17- الميلي (محمد) :« نماذج من تشويه بعض الأجانب لتاريخ الجزائر»، **مجلة الأصالة**، وزارة الثقافة(الجزائر)، عدد 36، سنة 1973، ص 136.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

18- الميلي (محمد): "المغرب العربي في منظور المؤرخين الإستعماريين"، **مجلة الثقافة**، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، العدد 12، 1973، ص 15.

الرسائل الجامعية والأطروحات.

1- بن حسين (كريمة)، **الحياة السياسية في قسنطينة من 1930 إلى 1945**، دبلوم الدراسات المعمقة، معهد العلوم الإجتماعية، جامعة قسنطينة، 1992.

2- بوضرساية (بوعزة)، **الحاج أحمد رجل دولة ومقاوم 1826 /1848** ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر.

3- بولجويدة (سعاد)، **قسنطينة في الفترة الانتقالية**، دراسة وتحقيق لسجلات المحكمة المالية 1830/ 1845، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية، جامعة منتوري، 2003..

4- سيساوي (أحمد)، **النظام الإداري لبايلك الشرق 1791 / 1830**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، 1988.

5- شويتام (أرزقي)، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800 / 1830**، جامعة الإسكندرية، 1988.

6- فركوس (صالح)، **بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير 1779/ 1796**، دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة قسنطينة، 1979.

7- فركوس (صالح)، **احتلال ومقاومة المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة ، 1844 – 1871**، **رسالة** دكتوراه في التاريخ الحديث، ج 2، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001.

8- عمراني (معاد)، **أسرة بني جلاب في وادي ريغ خلال القرنين 19 / 20**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002.

9- عمري (الطاهر)، **دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعما 1830/1900**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1998.

10- القيشاعي (فلة)، **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771–1837**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990.

11- قشي (فاطمة الزهراء)، **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن 13 الهجري، " من أواخر القرن 18 إلى منتصف القرن 19"**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تونس الأولى، *1998*.

12- معاشي (جميلة)، **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، *1991*.

ثانيا / المراجع باللغة الفرنسية

*1-Addi Lahouari, **De l'Algérie Précoloniale à l'Algérie coloniale** Economie et Société ,E.N.A.L, Alger, 1985 , p 24 .*

*2-Ageron Charles –Robert, **histoire de l'Algérie comptemporaine** P.U.F. Paris ,1979 . p 461 .*

*3-Babès Leila, **Pouvoir central, Pouvoir local dans le Beylik de Constantine** , Essaie de synthèse , univ de Constantine , 1988.*

*4-Benachenhou Abdelatif, **l'Etat Algérien sous l'Emir Abdelkader** sans date , p 92 .*

*5-BenGana Bouaziz (le cheikh el arab) , **Une famille de Grands Chefs Sahariens : les Bengana** .édition Soubiron, Alger ,1930 .*

*6-Bontems Claude, **Manuel des Institutions Algeriennes de la domination Turque a l'independence** , T1, editions Cujas, France,1976, p57.*

*7-Boyer Pierre , **la vie quotidiènne a Alger a la veille de l'intervention Francaise** , imprimerie nationale , Monaco , 1964.*

*8-Colombe Marcel, **Initiation à l'Algérie**, librairie d'orient, Paris, 1957.*

*9-De Grammont Henri-Delmas , **Histoire d'Alger sous la Domination turque 1515-1830**, Edition Bouchene , Paris, 2002.*

*10-De Paradis Venture, **Tunis et Alger au XVIII siecle** , la Bibliothèque Arabe Sindibad , France , 1980 , p118.*

*11- De Reynaud Pellissier, **Annales Algériennes** ,t 1 , librairie*

militaire, Paris , 1854 , p246.
12-Eichelbrenner Michele Bièse, **Constantine, la Conquête et le temps des pionniers** , sans date , p 26 .
13-Emerit Marcel, **l'Algérie à l'époque d'AbdelKader** , T 4 , éditions la Rose , Paris , 1951.
14-Gautier.E.F, **Structure de l'Algérie** , Société d'Editions Géographiques et Scientifiques , Paris , 1920.
15- Gouvian (Marthe et Edmond) , **Kitab Ayane el Maghariba**, imprimerie Oriontale Fontana Fréres , Alger , 1920 .
16-Haido (Fray Diego. De) , **Topographie et Histoire Générale d'Alger** , traduction de , Dr.Monnereau et A.Berbrugger , présentation de Jocelyne Dakhlia, éditions Bouchène , Paris , 1998.
17-Jean despois , **le Hodna d'Algerie** , prèsses univérsitaires de france , Paris 1953 .
18-Julien Charles - Andre , **Histoire de l'Algérie contemporaine,la conquète et les débuts de la colonisation 1827-1871**,P.U.F,,Paris ,1964.
19-Kaddache Mahfoud , **l'Algérie durant la période Ottomane** , O.P.U. Alger , 1991.
20-Les Troupes Indigènes de l'Algérie aux service de la France, imprimerie Minerva,Alger,1941.
21-Marcaillou , **Biskra les zibans , Algérie** , impression Henri Bacconier , Alger , 1954.
22-Marmol , **l'Afrique de Marmol**, traduction de Nicolas Oenot Fesion d'Ablancourt ,T3, Paris.
23-Mercier Ernest .**les deux sieges de** Constantine **(1836-1837)** imprimerie, librairie L. Poulet , Constantine ,1896.
24-Mercier Ernest , **Histoire de Constantine** , Marle et F.Biron imprimeur éditeur , 1903.
25-Mercier Ernest , **Histoire de l'Etablissement des Arabes dans l'Afrique Septentrionale**, édition Chalamel, Paris 1875.
26-Merouche Lemnouar , **Recherche sur l'Algerie a l'Epoque Ottomane , Monnaies, Prix , et Revenus 1520-1830** , Editions Bouchene , Paris , 2002.
27-Ministère de la guerre ; **Tableau de la situation des**

établissements français dans l'algérie, 1839, imprimerie royale, Paris 1840 .

28-Oussedik,Tahar,leroyaumedeKoukou, E.N.A.L,Alger,1986.

29-Perponnet Réné , livre d'or des officiers des affaires Indigénes,1830/1930, T I, Imprimerie Algérienne,1930.

30-Rinn Louis , le Royaume d'Alger sous le dernier dey, Adolphe Jourdan imprimerie, Alger, 1900.

31-Sedillot .C, Notes et Mémoires, Crochard et Cie , libraires Editeurs, 1838.

32-Vallet Eugène, de Constantine au Niger par le Sahara, étude sur la colonisation et la mise en valeur de nos possessions de l'Afrique occidentale,nov-déc1926, éditeur ; Braham ,Constantine, 1926.

33-Vayssettes Eugène, histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837,Editions Bouchène, Paris, 2002.

مقالات الدوريات

01- Babès Leila, Tribus et structures sociaux et Pouvoir Politique dans le province de Constantine sous les turcs, D.E.A. Universite d'Aix Marseille 1981, p3 .

02- Bièse - Eichelbrenner Michele, Constantine, la Conquête et Le temps des pionniers , sans date, p 26 .

03- De Reynaud Pellissier, Annales Algériennes ,t 1 , librairie militaire, Paris , 1854 , p246.

04- El Antri Salah: « Constantine sous les Turcs » , in R.A.S.C. n° 16 Edition Brochier , 1928-1929 , p107 .

05- Féraud Charles- Louis : « Histoire des Villes De Constantine Borj BouArereje » , in R.A.S.C, Constantine, 1872 ,p311.

06-Féraud Charles-Louis,«les Harrars Seigneurs des Hanancha»,R.A n18 1874 p 23.

07-Féraud Charles-Louis : « Notes historiques sur la provence de Constantine les beni djellab sultants de tougourt »,in R. A N° 26 , 1882 , p 377.

08- Féraud Charles- Louis: "Kitab El Adouiani, ou le Sahara de Constantine et Tunis" , in R. S.A.C. v2 , Challamel Aine éditeur , Paris 1868 , p 153 .

09-Féraud Charles- Louis: « Les Déscendants d'un Personnage des Mille et Une Nuits en Algérie » in R.A , N32 , 1878 , p14.

10- Filali Kamel : « le Don Epine Dorsale du système Ottoman : Le cas de l'Algérie » **Annales du laboratoire d'Etudes et de recherches Maghreb- Méditerranée**, V4, Université Montouri Constantine, 2002, pp5-23 .

11-Mercier Ernest : « Constantine au 16ème siécle , Elévation de La famille El Feggoun » , in R.S.A.C , 1878 , p 218 .

12- Romey Alain « l 'Etat Turc st les pouvoirs religieux en Algérie de la fin du 18ème et au début du 19ème siècle », in **Cahiers de la Méditéranée**, N°41, dec1990, p34.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعـــلام والقبائل والمدن والمنـــــاطق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام والقبائل.

حرف الألف

ابراهيم باي الكريتلي 103 - 119 - 127 - 140.
ابراهيم باي بوصبع 92 - 114.
ابراهيم بن الحاج بن قانة 87 - 107.
إبراهيم بن الحاج بن محـــمد عزيز 29
ابراهيم بن قانة 114 - 122.
ابن أبي الضياف 150
ابن الأغلب 47
ابن الحفصي المقراني 146
ابن الشارف 23 - 24 - 25 - 26 - 27 - 31 - 32 - 34 - 35 - 36.
ابن العطار 114 - 150.
ابن الوادفل 19
ابن عذارى 47
ابن غانية 47 - 48.
أبو القاسم الزياني 71
أبو القاسم سعد الله 5 - 14 - 52 - 62 - 63 - 72 - 106 - 113.
أبو بكر الصديق 3
أبو حامد المشرفي 5
أبو راس الناصري 5 - 14.
أبو زكرياء الحفصي 48
أبو سفيان 4 - 9.
أبو عبد الله الشيعي 9
أبو هريرة 3 - 11 - 12.
الأتراك 23 - 38 - 40 - 59 - 61 - 63 - 71 - 72 - 75 - 80 - 82 - 83 - 84 - 85 - 88 - 91 - 128 - 129 - 133 - 142 - 160.
الأثيوبيون 67
الأجواد 77 - 152.
أحمد الشريف 30 - 33 - 102.
أحمد القلي (الباي) 25 - 37 - 38 - 45 - 86 - 89 - 111 - 124 - 125.
أحمد الكروش 124 - 125.
أحمد باي 58 - 83 - 85 - 100 - 101 - 102 - 105 - 107 - 108 - 109 - 110 - 113 - 114 - 123 - 125 - 126 - 127 - 128 - 129 - 134 - 126 - 127 - 128 - 139 - 147 - 150 - 151 - 152 - 153 - 154 - 155 - 157 - 158 - 159 - 161 - 162 - 163 - 164 - 165 - 170 - 178.
أحمد باي المملوك 100 - 113 - 123 - 124.
أحمد بلحاج 86 - 139 - 181.
أحمد بن الشريف 124
أحمد بن الصخري 61 - 107.
أحمد بن المبارك بن العطار 78
أحمد بن علي الداودي 1
أحمد بن محمد الحساني 18
أحمد بن محمد المقراني 167
أحمد بن محمد 30
الأدارسة 6 - 8 - 21 - 23 - 42.
سيروكا(أدريان) 17 - 90 - 170 - 174 - 183.
إدريس الأصغر 15 - 21 - 26 - 35 - 36.
إدريس الأكبر 15 - 21 - 26 - 35 - 36.
أرمندي Armandy 153
تويني أرنولد 63 - 68.
مارسييه أرنيست 22 - 182.
الإسبان 38 - 52 - 82 - 83.
الأسر الإقطاعية 19 - 172 - 173.
أسرة الذواودة 111 - 121.
أسرة بن زكري 97 - 100 - 123 - 125.
أسرة بن قانة 1 - 4 - 6 - 15 - 17 - 18 - 24 - 25 - 28 - 32 - 34 - 36 - 37 - 41 - 43 - 44 - 63 - 64 - 81 - 84 - 85 - 88 - 89 - 90 - 92 - 94 - 96 - 97 - 98 - 100 - 102 - 105 - 106 - 108 - 110 - 112 - 113 - 114 - 115 - 116 - 117 - 118 - 119 - 121 - 122 - 123 - 124 - 125 - 126 - 129 - 132 - 134 - 139 - 151 - 159 - 165 - 166 - 169 - 170 - 179 - 186.
أسرة بوعكاز 78 - 86 - 89 - 90 - 93 - 94 - 106 - 113 - 117 - 121 - 126 - 130 - 151 - 174.
الأشراف 6 - 7 - 10 - 11 - 14 - 21 - 25 - 26 - 30 - 32 - 34 - 92 - 101 - 147 - 165.
الأصل الشريفي 5 - 6 - 20 - 24 - 25 - 34 - 41 - 110.
الأعراب 59 - 79.
الأعرج 11 - 12.
أعيان المغاربة 15 - 29 - 31.
أغا الخيل 183
آغا الزيبان 14 - 15 - 16 - 17 - 19 - 25 - 26 - 28 -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

29 - 36 - 41 - 44 - 90 - 91 - 99 - 101.
أغا العرب 170 - 187.
آغا المحلة 53
أغا النوبة 60
الأغالبة 46 - 69.
الإقطاعية 20 - 169.
الإقطاعيين 42 - 56.
آل الفقون 75
التيجانيين 114
ألفرد بل 13
أم هانئ بنت رجب باي 93
أمراء الركب 22
أمراء بني جلاب 114
أمير العرب 78
أمير المسلمين 48
الأمـــير عبد القادر 108 - 114 - 134 - 139 - 155 - 157 - 160 - 164 - 165 - 173 - 175 - 176 - 177 - 178 - 179 - 180 - 181..
أمين العيون 54
انجليز باي 97 - 121.
أندري نوشي 144
أهل البادية 120
أهل النوبة 60
أهل بن علي 39 - 91 - 93 - 94 - 134 - ..
أهل عامر 58
أوجان فالي Eugène Vallet 200
أورييلي 117
أولاد ابراهيم 54
أولاد بن زكري 92
أولاد بن عزام 82
أولاد بن عزوز 113
أولاد بن قانة 81 - 174 - ..
أولاد داوود 70
أولاد رحمن 130
أولاد زكري 93 - 135.
أولاد زيان 116
أولاد سحنون 134 - 135 - 151 - 159 - 184.
أولاد سعيد 58
أولاد سلطان 101 - 173 - 174.
أولاد سيدي يحي 21
أولاد صاولة 70 - 78 - 95 - 96 - 121 - 135.
أولاد عاشور 54
أولاد عبد الرحمن كباش 174
أولاد عبد المؤمن 75
أولاد عبد النور 58 - 80 - 85 - 127 - 131 - 134 - 135 - 147 - 151 - 158 - 161.
أولاد عز الدين 54
أولاد ماضي 184
أولاد مقران 59 - 86.
أولاد مَهْدْ 16 - 34.
أولاد مهدي 34
أولاد نايل 96 - 115 - 175.
آيت قانة 42

باء

باشا الجزائر 54 - 60 - 76 - 79 - 118 - 119 - 120 - 123 -.
الباي حسن 89
الباي المملوك 101
باي تونس 108 - 152 - 158 - 164 - 169.
باي قسنطينة 55 - 78 - 83 - 93 - 106 - 121 - 123 - 128 - 134 - 144 - 146 - 150 - 151 - 162.
الباي محمد الميلي 124
باي وهران 150
البتر 24
البدو 57 - 58 - 63 - 68 - 90..
البربر 13 - 14 - 23 - 69 - 70 - 178.
برتيزين 152
بسكرة بن كهيل 66
بلقاسم بن مراح 89
بلقندوز المقراني 127 - 134.
بلمسترون 157
بن المسعي بن ابراهيم بن قانة 124 - 125.
بن باديس عبد الحميد 19 - 20.
بن جلاب 84 - 118 - 153.
بن حبيلس 59
بن حسين بوحنك 87
بن زعمون 59
بن زكري 92 - 97 - 98 - 99 - 100 - 101 - 102 - 121 - 123 - 124 - 125.
بن سلامة 58
بن شنوف الهاشمي 95 - 96 .
بن عباس 174
بن عز الدين 45 - 59.
بن علي بالقيدوم 25

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بن علي بن سليمان 15 - 25 - 26 - 35 - 38 - 116.
بن قانة محمد بلحاج 173 - 183
بن لبيوض 126
بن نعمون 124 - 126.
بن واضح اليعقوبي 23
بنو سليم 23 - 69 - 77 - 79.
بنو عباس 51
بنو عطا 16
بنو كانون 34 - 35.
بنو محمد 23 - 24.
بنو مراد 51
بنو مسارة 35
بنو ملكم 174
بنو هلال 48 - 69 - 77 - 79.
بنو يسنوس 16
بو كمية 87
البوازيد 92 - 93 - 130 - 135 - 139 - 179.
بوابي 169
بورنان بن عز الدين 45
بوشريط بن سيد الحاج بن عامر 31
بوضياف بن شنوف 96 - 121.
بوطيب البادي 158
بوعبد الله بن مناصر 136 - 137.
بوعزيز بن بولخراص بن قانة 18 - 129 - 138 - 167 - 179 - 184.
بوعزيز بن قانة 14 - 15 - 16 - 18 - 19 - 20 - 25 - 27 - 34 - 38 - 41 - 90 - 108 - 109 - 137 - 159 - 160 - 168 - 169 - 170 - 171 - 172 - 175 - 176 - 182 - 183 - 184.
بوعكاز 40 - 53 - 71 - 75 - 77 - 78 - 81 - 82 - 83 - 84 - 85 - 87 - 88 - 90 - 91 - 99 - 102 - 105 - 106 - 107 - 108 - 110 - 111 - 112 - 113 - 114 - 115 - 116 - 119 - 178.
بومزراق 106 - 150 - 173.
باي التيطري 106 - 150.

تاء

تاشكر باي 122 - 123 - 128.
الترك 40 - 58 - 60 - 61 - 62 - 71 - 72 - 73 - 77 - 78 - 79 - 81 - 85 - 86 - 89 - 90 - 91 - 96 - 101 - 111 - 113.

جيم

جميلة معاشي 37 - 38 - 130 - 139.
الجنرال "سان جرمان" 174 - 179.
الجنرال "فالبوا" Galbois 181
الجنرال روستان 196

حاء

الحاج الطاهر 31
الحاج باي بن سعيد 184
الحاج بن أحمد المكي 60
الحاج بن قانة 25 - 35 - 36 - 38 - 41 - 45 - 90 - 96 - 98 - 107 - 110 - 111 - 112 - 113 - 117 - 118 - 171 - 177.
الحاج رجب 157
الحاج سليمان بن قانة 25 - 37.
الحاج محمد بن علي بن سليمان بن قانة 116 - 161.
الحاجة رقية 101 - 124 - 126.
الحامية التركية 75 - 81 - 96 - 116 - 120 - 121 - 132 - 182.
الحراكتة 54 - 79 - 131 - 157
حسان أغا 91
حسن أغا 73
حسن باشا 120
حسن باي 87 - 160.
الحسن بن عزوز 139 - 140 - 178 - 179 - 181 - 183.
الحسناوي 108 - 171 - 172.
حسين أغا 71
الحسين الورتلاني 72
حسين باي 87 - 95 - 96 - 108 - 118 - 120 - 121.
حسين بن حسن بوحنك 95
حسين بن صالح باي 83
حسين زرق عينه 130
الحسينيون 24
حشلاف 14 - 25.
الحَضَرْ 58
الحفصيون 48 - 71 - 75 - 90.
الحلواني 9
حَمُّ بن الدراجي 31
حمدون بن إدريس الثاني 21
حمدان خوجة 106 - 109 - 130 - 152.
الحملاوي 159 - 164.
حمودة باشا 83
حمودة بن الشيخ الفقون 76 - 177.
الحنانشة 50 - 54 - 59 - 61 - 75 - 78 - 79 - 85 - 86 - 108 - 109 - 157 - 171 - 172.

خاء

حالد باي 83

خدوجة حمدان خوجة 106

خليفة الأمير عبد القادر 139 - 179 - 180 - 181 - 193.

الخوارج 69

دال

دام ريمون 156 - 157.

داوود 15 - 21 - 70.

الداي حسين 101 - 123 - 124 - 126 - 134 - 163 - 180.

الداي علي خوجة 83 - 123.

دايخة بن بوزيد المقراني 106

دباح بن بوعكاز 97 - 100 - 101 - 123 - 124 - 126.

الدرعي (الرحالة) 71

درويش 19 - 31.

سعدان 203

الدُوق دُو نَيْمُورْ De Neymour 155

دوق دورليان" le Duc d'Orléans 182

دي نوفو 167

ديرمون 153

الذواودة 22 - 58 - 59 - 61 - 70 - 75 - 78 - 81 - 83 - 84 - 85 - 88 - 90 - 94 - 96 - 107 - 111 - 113 - 114 - 115 - 118 - 121 - 124 - 127 - 130 - 132 - 133 - 134 - 174.

راء

الرائد سان جرمان 174 - 186.

الرايس حميدو 62

رحاء بن أبي قنة 47

رحال الزوايا 82 - 164.

رحمان (قبيلة) 139

رزقي (الشيخ) 157 - 171 - 172.

الرَّسام "فرنسيس جامس" 73 Francis James

رشيد باي 157

رقية بنت بوخُراص بن قانة 106

روبارت هاتكينس 73 Robert Hatkins

روسي" 167 " Rousset

الرومانْ 69 - 73 - 182.

رياح 48 - 78 - 90.

ريغة 127 - 157.

زاي

الزمول 147 - 174.

زناتة 69

زواغة 45 - 54 - 59 - 105 - 126 - 147 - 158.

الزواوة Zouaves 153 - 178.

الزوايا 82 - 113 - 164.

سين

ساسي البغلة 135

سالوست 68

سباو 42

السراحنة 174

السلطان العثماني 151 - 164.

سلاطين بني حلاب 114 - 118.

سليم التومي 106

سليمان كاهية 83

سي أحمد الطيب 111

سي السنوسي 178

سي محمد بن بوعزيز 140

سي محمد الصغير 139

سي محمد الموفق الحفصي 18

سيد الخير بن يعقوب 29 - 33.

سيدي التواتي 127

سيدي الحاج محي الدين 182

سيدي الدراجي 19

سيدي ناجي 65 - 78.

شين

الشيخ الحناشي 83

الشيخ الذباح 86 - 122.

شيخ العرب 18 - 25 - 36 - 54 - 64 - 73 - 77 - 78 - 79 - 80 - 81 - 82 - 83 - 84 - 85 - 86 - 89 - 91 - 92 - 93 - 94 - 95 - 96 - 97 - 98 - 99 - 100 - 101 - 102 - 106 - 107 - 108 - 109 - 112 - 115 - 116 - 117 - 118 - 120 - 121 - 122 - 123 - 124 - 125 - 126 - 127 - 128 - 129 - 130 - 131 - 132 - 133 - 134 - 135 - 136 - 137 - 138 - 139 - 144 - 145 - 146 - 147 - 148 - 151 - 153.

شيخ أولاد بوعون 158

الشيخ بوزيان 136

شيخ زواغة 45 - 126.

شيخ فرجيوة 45 - 126 - 128 - 184.

شيخ مجانة 83 - 86 - 128.

شيخ الإسلام 75 - 76 - 77 - 420.

صاد

صالح العنتري 161 - 183 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صالح باي 62 - 76 - 83 - 84 - 87 - 95 - 106 - 113 - 117 - 118 - 119 - 120 - 124 - 133.
صالح ريس 71 - 113.

طاء

الطيب بن وادفل الشريف 31

عين

عائلة بن باديس 22
عائلة بن قانة 22 - 36 - 47 - 84 - 107.
عائلة بن لفقون 22
عائلة دبابش 183.
عائلة عبد المؤمن 22
عامر (قبيلة) 58 - 69 - 127 - 131.
عامر الشراقة 131
عامر الغرابة 131
عبد الباقي بن المعتوقي 31
عبد الرحمن بن الفقون 76
عبد الرحمن بن سعيد الغبريني 30 - 33.
عبد الرحمن بن نعمون 124
عبد السلام المقراني 106 - 128 - 158.
عبد الله الزبوشي 62
عبد الله باي 98 - 122 - 147.
عبد الله بن أحمد 15 - 16 - 26 - 30 - 33 - 34 - 35.
عرب الغرابة 135 - 136 - 182.
عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان 77
العدواني 70 - 124.
عرب الشراقة 134 - 135 - 138 - 140 - 175.
العربي ضياف 157
عروبة بن يوسف 47
عروج (بربروس) 85 - 106.
العشماوي 15 - 29 - 34.
عقبة بن نافع الفاتح 66
العلويين 23
علي أفندي 109
علي البهلولي 29، 36.
علي باشا 60
علي باي التونسي 83
علي باي بن فرحات بن سعيد 168
علي بلقيدوم 95، 96، 97، 98، 99، 100، 121، 122، 123، 126، 181.
علي بن بشير 183
علي بن بوعكاز بن السخري 78، 93، 116.
علي بن عيسى 15، 26، 27، 35، 128، 129، 137 - 155، 171، 183.
علي بن محمد بن جلاب 153
علي بن يحي المسوفي 47
علي بوعكاز 78، 93، 116.
علي خوجة 83، 123.
عمار بن زقوطة 107
عمر بن ابراهيم الشريف البجاوي 30، 33.
عمر بن حمدان 31
عيشوش بنت المقراني 106

غين

غانية 47
غمرة 93، 134، 163.

فاء

فايسيت (أوجان) 75، 89، 133، 151.
فرحات بن أحمد 92، 117.
فرحات بن الصخري 80
فرحات بن سعيد 85، 86، 111، 125، 126، 127، 132، 134، 135، 136، 137، 138، 151، 154، 164، 167، 168، 172، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 184.
فرحات بن علي 89
فرحات بن محمد بن قانة 100، 123.
الفرق الصبايحية 183 .
الفرق الصوفية 13
فرقة السالمية 139
الفرنسيون 138، 153، 156، 162، 163، 166، 167،
فسيكرا أو "فيسيرا" 66
فندلين شلوصر 168

قاف

قائد "الوطَنْ 53
قائد التلاغمة 131، 158.
قائد الزمالة 89
قائد السبسي 184
قائد الشقفة 158
قائد العواسي 131
قائد أولاد عبد النور 131
قائد بسكرة 89 - 145.
قائد ساحل سكيكدة 54 - 158 - 183.
قارة مصطفى 123
القبائل الرحل 143
قبائل الرعية 53، 57.
قبائل الصحاري 99، 101، 120، 128، 130،.
القبائل الصغرى 79
القبائل المخزنية 53، 85.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قبائل أولاد بن صاولة 120
قبائل بن يلس 151
قبائل بني هلال 69
القبطان "وولف" 183
قائد الأوراس 54
قائد الحركتة 54،163،164.
قائد الحضنة 97، 98، 106.
قائد الزاب الشرقي 97، 98.
قبيلة أهل بن علي 39، 91.
قبيلة الغرابة 179
قليان حسين باي 87
القناوة 34
القيدوم بن الصخري 106

كاف

كانون بن عمران 35
كرفة 70 - 77.
كلوزيل (الجنرال الفرنسي) 152 - 154.
كترة 21
الكنوات 27
الكنونيين 35
حرف اللام
لويس برتران Louis Bertrand 73
لويس رين 142
ليون الإفريقي 9 - 64 - 70.

ميم

مباركة بنت علي 92
المتوّسي 162
محمد البركاني 176 - 177 - 178.
محمد الشريف الزهار 161
محمد الشريف بن الموفق 30 - 33.
محمد الصغير بلحاج 195
محمد الصغير بن علي بالقيدوم 25
محمد الصغير بن محمد بلحاج بن قانة 96، 97، 98، 121،
محمد الغراب 61
محمد بن علي أبـــهلول المجاجي 5
محمد بن قانة 38، 39، 40، 100، 109، 113.
محمد أمزيان بوبرمة 197
محمد أمقران 60
محمد بلحاج بن بولخراص بن قانة 125
محمد بن سليمان 23، 24، 91.
محمد بن أحمد المغراوي 5
محمد بن الحاج القاسمي الحسني 31
محمد بن الحاج بن قانة 94، 97، 107، 117.
محمد بن الحاج محمد بن سليمان بن قانة 116
محمد بن باديس 20
محمد بن بوعكازالذواودي 117، 118.
محمد بن بولخراص بن قانة 157
محمد بن عبد القادر الجزائري 180
محمود بن تشاكر باي 128
محمود بن قانة 38، 39، 42.
المرابط الزواوي 61
مراد باي 83
مرداس بن رياح 90
مسعود بن مبارك 157
المسعودي الشريف بلقاسم 29، 33.
مصطفى الوزناجي 121
مصطفى بن الحاج الدرويش 31
مصطفى بوشلاغم 105
مصطفى صاحب الطابع 161
مناماني باي 161

نون

نعمان باي 122

هاء

الهاشمي بن غضاب 31
هايدو (دييغو) 53
هودر Huder 153

واو

وَنُّوغَة 16، 34.

ياء

يعقوب بن علي 85، 90.
يوسف المملوك 108، 163، 171.
يوسف باشا 61 - 113.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأماكن والمدن .

باء

بسكرة 20، 37، 41، 43، 48، 51، 53، 57، 58، 64، 69، 71، 72، 73، 77، 80، 81، 82، 88، 94، 95، 96، 98، 99، 101، 111، 112، 115، 117، 120، 121، 130، 131، 135، 136، 137، 138، 141، 146، 147، 177، 178، 179.

تاء

التافنة 155، 157.

جيم

الجنوب القسنطيني 20، 58، 59، 63، 88، 114، 115- 127- 171،.

زاي

الزاب 18، 23، 44، 48، 51، 58، 61، 63، 64، 65- 69- 70- 71، 72، 73، 76، 78، 79، 8، 84، 90، 95، 96، 170.

زريبة أحمد 65

زريبة الوادي 65، 67، 111.

الزعاطشة 129، 136، 138، 145، 178.

زُغوانة 16، 17.

زمالة 53، 89، 130، 139، 166،.

زمورة 57، 131.

زواغة 45، 54، 59، 105، 126، 147، 156.

زواوة 35، 39، 41، 57، 61، 132، 133،

شين

شَطّ ملغيغ 116

الشلف 23

الشمال القسنطيني 54، 61، 79، 164.

فاء

فاس 35، 36.

فرجيوة 45، 54، 59، 105، 126، 128، 147، 158

فرقار 65

فليسة 40، 42، 61، 89، 110، 132.

الفنايا 42

فوقالا 65

قاف

القالة 51- 141 .

قالمة 154

قسنطينة 5، 18، 22، 31، 38، 39، 40- 45- 48- 50- 51- 52، 53، 55، 58، 61، 62، 64، 65، 70، 75، 77، 78- 79- 82، 83، 84، 85، 88، 89، 92، 98، 101، 104- 107- 111- 113، 114، 117، من الصفحة 120 إلى غاية الصفحة 132، 134- 138، 144، 147، 150، 157، 159، 161، 162- 163- 165.

قصر السلطان 53

قصر الطير 58

قفصة 64

القل 45 ، 54، 105، 159.

القلعة 48

القنطرة 100، 123، 145، 170

كاف

كدية عاتي 185

كوكو (إمارة) 33، 41.

لام

ليانا 65

ليخانا 65

ليشانة 136- 138

ليوا 65

ميم

مازونة 48- 52- 124.

متيجة 23

مجانة 59- 83- 86- 92- 127- 159- 167

المحلة 45- 53- 54.

مدشر الكرف 35

مدوكل 111

المدية 52- 177.

مستغانم 53- 71.

المسيلة 23- 58- 64.

مشيرة 129- 134- 151.

مُصيدْ 99

معرَكة القصر 136

معركة بادس 137

معركة بيار الجديد 151

معركة سالسو 139

معركة صحيرة 138

مقرة 48

مكة 2

مليانة 48- 53.

مليلي 31- 65.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

منعة 100 - 123.
ميلة 42 - 44 - 45 - 62 - 71 - 73 - 78 - 130 - 145

نون

نفطة 64
نقاوس 48 - 82.
نوميديا 64

واو

واحات سوف 51
واد مدّركل 99
وادي الرمال 39 - 40 - 41.
وادي الزناتي 131
وادي السمار 51
وادي الشبكة 51
وادي الصومام 51 - 55.
وادي العثمانية 98 - 147.
وادي العرب 67
وَادِي القُطْن 78
وادي بني منصور 51
وادي جدي 124
وادي ريغ 51 - 70 - 78 - 109 - 111 - 113 - 117.
وادي زياد 126
وادي سالسو 140
وادي سوف 77 - 117.
وادي صرات 51
وادي طرفة 125
وادي عبدي 116
وادي مرجانة 51
وادي ميزاب 51 - 141.
ودان 48
ورقلة 40 - 51 - 65 - 70 - 71 - 84 - 85 - 88.
الوظاية 135
وظيظ 21
وليلي 21
ونوغة 16 - 17 - 34.
وهران 52 - 55 - 62 - 150 - 161.

ياء

يوشعرون 65

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضـــــوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس التفصيلي للموضوعات

الموضوعات	الصفحة
الإهداء	
شكر وامتنان	
المقدمة	1 - 20

الفصل الأول
أصل أسرة بن قانة

أولا / علم الأنساب وأهميته	1
ثانيا / الفكر الشريفي مفهومه ونشأته	6
1- مفهوم الشريفية	6
2- ظهور الشريفية	8
3- الفكر الشريفي عند المغاربة	13
ثالثا / سلسلة النسب الشريف للأسرة	14
1- رأي بوعزيز بن قانة آغا الزيبان	15
2- رأي قوفيون	18
3- رأي ابن الشارف علي حشلاف	25
رابعا / رأي فيرو	37
خامسا / آراء أخرى حول أصل الأسرة	46

الفصل الثاني
مشيخة العرب وانتقالها إلى أسرة بن قانة

أولا / مدخل	50
1- الإطار الجغرافي والحدود	50
2- إدارة البايلك وتنظيمه	51
3- أهمية بايلك الشرق	54
ثانيا/ الصراع على مجال النفوذ	55
1- علاقة القبائل بالسلطة الحاكمة	56
2- الصراع القبلي	57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 - القيادات الدينية والمرابطية ومكانتها 58
4 - الثورات ضد الحكم التركي 59
ثالثا / لماذا تمركزت الأسرة في منطقة الزاب؟ 61
1 - أهمية الصحراء في الصراع ببالك الشرق. 61
2 - التعريف بالزاب. 62
3 - بسكرة قاعدة الزاب. 63
رابعا/ لقب "شيخ العرب". 70
1 - لماذا عبارة الشيخ" 70
2 - ظهور منصب "شيخ العرب" 73
3 - وظائف شيخ العرب ومهامه 76
خامسا/التنافس والصراع على لقب "شيخ العرب" 79
1 - الذواودة شيوخ العرب. 80
2 - بن قانة شيوخ العرب. 82
3 - إشكالية حصول بن قانة على اللقب. 83
4 - الموقف من حصول بن قانة اللقب 86
سادسا/ صراع بن قانة على لقب شيخ العرب 88
الطور الأول مرحلة التمكين 89
الطور الثاني بداية الفتنة 90
الطور الثالث الصراع الفعلي 91
الطور الرابع استقرار حذر 93

الفصل الثالث
دور أسرة بن قانة في تثبيت الحكم العثماني ببايلك الشرق

مدخل 97
أولا مكانة بن قانة عند بايات قسنطينة 98
1 - المصاهرة 98
2 - الوساطة 100
3 - القرب من مصادر صنع القرار 101
ثانيا المكانة الاجتماعية للأسرة 102
1 - مظاهرها 102
2 - علاقة بن قانة ببني جلاب في وادي ريغ 105

ثالثا . المكانة السياسية للأسرة ـــــ 106
1 - الاستوزار ـــــ 106
2 - مشيخة العرب ـــــ 107
رابعا . الدور العسكري للأسرة ـــــ 121
1 - عناصر قوة بن قانة ـــــ 121
2 - أهم المعارك التي شارك فيها بن قانة ـــــ 123
أولا . خلال العهد التركي ـــــ 124
ثانيا . بعد سقوط قسنطينة ـــــ 128
خامسا . الدور الاقتصادي للأسرة ـــــ 130
1 - أصناف الضرائب ـــــ 132
2 - دور شيخ العرب ـــــ 134
أولا في تحصيل الضرائب ـــــ 134
ثانيا في تنشيط الحياة الإقتصادية ـــــ 135

الفصل الرابع
موقف أسرة بن قانة من الاحتلال الفرنسي

أولا / أوضاع البايلك بعد 1830 . ـــــ 139
1 - احتلال عنابة وأثره في المقاومة ـــــ 141
2 - الحملة الأولى لإحتلال قسنطينة 1836 ـــــ 142
ثانيا / أحمد باي ودوره في المقاومة ـــــ 147
ثالثا / دور بن قانة في إضعاف مقاومة أحمد باي ـــــ 153
رابعا / تجدد الصراع بين بن قانة وفرحات بن سعيد ـــــ 161
خامسا / ولاء بن قانة لفرنسا ـــــ 168
1 - بداية النفور بين بن قانة وأحمد باي ـــــ 168
2 - أسباب ودوافع الولاء لفرنسا ـــــ 171
الخاتمة ـــــ 188
فهرس الملاحق ـــــ 193
قائمة المصادر والمراجع ـــــ 209
فهرس الأعلام والقبائل والمدن والمناطق ـــــ 223
الفهرس التفصيلي للموضوعات ـــــ 232

فهرس الملاحق 193
قائمة المصادر والمراجع 209
فهرس الأعلام والقبائل والمدن والمناطق 223
الفهرس التفصيلي للموضوعات 232

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية